ديوان سيد قطب

جمعه ووثقه وقدم له

عبد الباقي محمد حسين

الوفاء للطباعة والنشر

Bibliotheca Alexandrina
0003529

دِيوَان
سَيِّد قُطُب

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م

صححه وضبطه وفسّر غريبه

لجنة النشر بدار الوفاء

الوفاء للطباعة والنشر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة .

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

فرع المنصورة : أمام كلية الطب ت : ٣٤٧٤٢٣ .... ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

فرع القاهرة : ٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٢٤٥١٨ / ٣٩٢٤٦٠٦

ديوان سيد قطب

جمعه ووثقه وقدم له

عبد الباقي محمد حسين

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

أخـــى أنْتَ نَفْسِى حينما أنْتَ صُورَةٌ

لآمَـالِىَ القُصْـوى التى لَـمْ تُشَـارِفِ

سيد قطب

الإهداء(١)

« أخى » ذلك اللفظُ الذى فى حروفِه
رُموزٌ ، وألغازٌ ، لِشتىٰ العَواطِفِ
« أخى » ذلك اللَّحْنُ الذى فى رَنينِه(٢)
تَرانِيمُ(٣) إخلاصٍ ، وَرَيًّا(٤) تَآلُفِ
« أخى » أنت نَفْسِى ، حينما أنتَ صُورةٌ
لِآمَالىَ القُصْوىٰ التى لم تُشارِفِ(٥)
تمنيتُ ما أعياَ المقاديرَ ، إنما
وجدتُكَ رَمزاً للأمانِى الصَّوادِفِ(٦)
فأنتَ عَزائِى فى حياةٍ قصيرةٍ
وأنتَ امتدادِى فى الحياةِ وخَالِفِى
تَخِذْتُك لى ابناً ، ثم خِدْناً(٧) ، فياتُرىٰ
أعيشُ لألْقَى منكَ إحساسَ عاطِفِ ؟
على أيّما حالٍ أراكَ مُخلِّدِى
وباعثَ أيام العِذَابِ السَّوالِفِ
فدونَكَ أشْعارِى التى قد نَظَمْتُها
لِتبقىٰ على الأيامِ رمزَ عواطِفِى

١ ـــ إهداء ديوانه الشاطىء المجهول .   ٢ ـــ الرنين : الصوت .
٣ ـــ ترانيم : كل ما استُلِذَّ صوته ، والمراد إخلاص عن رضا وقبول دون هدف أو غرض .
٤ ـــ رَوِى من الماءِ رَيًّا : شَرِب وشبع ، والمراد تآلفٌ صافٍ محبوبٌ .
٥ ـــ شارَفه : فاخره فى الشرف .
٦ ـــ الصوادف : المراد الأمانى التى تنتظر دورها كما جاء فى لِسان العرب .
٧ ـــ خدنا : صديقا .

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الديوان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ،

وبعد .

فمملكة الإبداع الأدبى عطاء من الله ، يهبه لمن يشاء من عباده ، ولهذا سميت موهبة ، وهى تكمن فى القدرة على استخدام اللغة استخداما جميلا قادراً على حمل الأفكار والمشاعر .

إن الأديب يرى الكون والحياة رؤية متميزة خاصة ، وتتوفر له القدرة على التعبير عن هذه الرؤية تعبيراً دقيقاً وجذاباً . فإدراك الحياة والقدرة على التعبير عن هذا الإدراك سمتان لازمتان للأديب .

والمواهب كثيرة ومتنوعة ، والله أعطى لكل مخلوق موهبة خاصة به ، ولكن المواهب تتفاضل ولا تتساوى ، ويقع الإبداع الأدبى فى أعلى المنازل ، والشعر فى أرقى مراتب الإبداع ؛ لأن الأصوات تتآلف فيه وتترابط فى إيقاع جميل تطرب له الآذان ، وتهتز له النفس والمشاعر ، وتلك مزيته . وهو من المواهب النادرة التى لا يُلَقَّاها إلا القليل ، فمن رُزِقَه بلغ به مقاماً عالياً ، وأصبح موضع إعجاب وإكبار ؛ ولهذا كانت نظرة العرب للشاعر قديما على أنه من طينة الجن ، يأتى بما لا يقدر عليه غيره ؛ فقدموه على كل أفراد القبيلة ، واعتبروه ضرورة من ضرورات العيش فى الحياة ، حتى أن القبيلة التى لا شاعر لها كانت تُعيّر ، وتبقى فى المؤخرة حتى يخرج من بين أبنائها من يعلى شأنها ، ويرفع ذكراها .

وموهبة الشعر عطاء تحفه الفتنة والغواية من كل جانب ، مثل فتنة المال والصحة والولد ... ولا يقدر عليها إلا من خشى الرحمن وجاء بقلب منيب ، وهذا

يتفق فى أساسه مع حكمة الخلق : من العبادة والطاعة مع القدرة على المعصية والغواية : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلموا وسيعلم الذين ظلموا أىَّ منقلبٍ ينقلبون** ﴾(١)

إذن الشعر عطاء ، مسئوليته عظيمة فى توجيه الناس إلى الحق والتعرف عليه ، وتربية أذواقهم ، وتعظيم الفضائل ، وتحقير الرذائل وأهلها ، وترقية الحياة والنهوض بها إلى المستوى الذى أراده الله لبنى آدم ... ولنا فى القرآن الكريم وهو نص عربى مبين آية فى الإبداع الأدبى والبيان اللغوى ، ترشد الناس إلى الحق ، وترسم لهم منهجا فى الحياة متكاملاً . إن دور الشاعر فى ريادة الناس وتهذيب مشاعرهم وأذواقهم لا يُنكَر إذا أدرك حدود هذه المسئولية وتبعاتها ، وهذا لا يتأتى إلا أن يكون لديه إيمان قوى وتصور جلى عن الحياة والناس والكون ، ينبع من عقيدة صحيحة قويمة ، تعصمه من الزلل ، وتحدد معه الغاية وترسم له الهدف . والإسلام — كعقيدة — « لا يحارب الشعر والفن لذاته كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ فى الآية الكريمة السابقة ، إنما يحارب المنهج الذى سار عليه الشعر والفن ، منهج الأهواء والانفعالات التى لا ضابط لها ، ومنهج الأحلام المهومة التى تشغل أصحابها عن تحقيقها » .

وحدود هذه المسئولية متفاوتة ، كشف الرسول الكريم ﷺ عن بعض ملامحها حين قال لحسان بن ثابت : « اهجهم وروح القدس معك » ، بينما فهم لها حدوداً أخرى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الموقف التالى : « ذكر محمد بن إسحاق ، ومحمد بن سعد فى الطبقات أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان من أرض البصرة ، وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها
بميسان يسقى فى زجاج وحنتم(٢)
إذا شئت غنتنى دهاقين قرية
ورقاصة تحدو على كل مبسم

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢٤ — ٢٢٧ .

(٢) الحنتم : الجرة الخضراء .

فإن كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى
ولا تسقنى بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إى والله إنه ليسوؤنى ذلك ومن لقيه فليخبره أنى قد عزلته ، وكتب إليه عمر : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير** ﴾(١) أما بعد فقد بلغنى قولك !

لعل أمير المؤمنين يسوؤه تنادمنا بالجوسق المتهدم

وأيم الله إنه ليسوؤنى وقد عزلتك . فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال : والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط وما ذاك الشعر إلا شىء طفح على لسانى » .

نعم لم يتعاط النعمان بن عدى الخمر ولكن الشعر غلبه وطفح على لسانه ، وتلك هى الفتنة التى تتطلب عزيمة وإرادة تكبحها وتردها إلى صوابها ، لا سيما إذا كان صاحبها فى موضع المسئولية يرعى شئون البشر كما كان النعمان .

إن الكثير من أصحاب المواهب — وعلى رأسهم الشعراء — تغرهم مواهبهم ، فلا يؤدون حقها ، ويخونون أمانتها ، فيسعون بها سعيا أنانيا محصورا ، ويشترون بها ثمنا قليلا ، فيفقدون ذواتهم ، وتمسخ صورهم . يوماً يكتبون عن الحق فتجد لكلماتهم بريقا وأسلوبهم حلاوة فتحسبهم من أهله ، وآخر يكتبون عن الهوى والباطل فلا ترى فيهم إلا شياطينا ، فترتد إلى نفسك يائساً ضائعاً .. وهؤلاء قد لا يريدون الإفساد لذاته ، ولكن الفساد يأتى تبعا لهواهم وشهواتهم ..

وهناك نوع آخر من ذوى المواهب يُلبِس الباطل ثوب الحق ، ويمتطى صهوة الإصلاح متجها إلى الفساد والفاحشة ، ويعجبك قوله ولكن إذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، وهؤلاء أشرهم .

---

(١) سورة غافر : ١ — ٣

دار حوار بينى وبين أحد الزملاء المهتمين بالأدب عندما بالغ فى إطراء شاعر ماجن من شعراء العربية ، ووصفه بأنه أسوة تتبع ، ومثل يحتذى فى الشجاعة وتخليص الناس من الهوان ، لأنه كتب قصيدة سياسية يعرى فيها حكام الأمة العربية ويفضح سيرتهم . فقلت لصاحبى إن هذا الشاعر الذى زدت فى مدحه سبب من أسباب الهوان الذى ينتقده فى أمة العرب ، سواء فى اتجاهه الفكرى والسياسى أو مضامين شعره الأخرى التى تفيض بالإباحية والفجور ، وإلى عهد قريب كان صاحب رأى وشأن ، وأنه لم يفعل ذلك إلا لما أصابه ، وأنه لو ملك زمام الأمور لمال بالناس فى مستنقع الفساد ميلا شديدا . وأضفت إننى لا أحاسبه لأنى لست إلهاً ولا ولى أمر وكل نفس بما كسبت رهينة ، ولا أنكر عليه شيطان شعره ، ولا أنقصه حقه فهو شاعر ، وأن له الحق فى أن يغار على أمته وأن يحزن لهوانها .. ولكن ينبغى أن تزن الأمور بميزان واضح ، وتكون الصورة أمامنا عند السماع لهؤلاء بينة : هو شاعر . نعم . وقصيدته جيدة موافق . لكن لا ننسى أن مثل هذا الشاعر ليس هو المرتجى للخلاص من الذل والضياع الذى عليه الأمة ، وليس هو الأسوة التى نقتدى بها ، ولا المثل الذى نضربه للناس . يجب أن يكون هناك وضوح فى الرؤية والكلمة ، وأحيانا يكون الصمت أبلغ فى الإصلاح من الكلام ، وإلا كان ذلك دليل عجز وهزيمة حيث صرنا نهلل ونعتقد فى كل من هب ودب . إنها الفتنة ، فتنة الموهبة التى تنطلى على خاصة الناس وعامتهم !!

وسيد قطب سبقت لنا دراسة نشرت عن حياته وتراثه الأدبى ، وتناولت بشىء من التفصيل شعره وملامح شاعريته ، وانتهت إلى عدة حقائق هى :

سيد قطب شخصية سوية التكوين ، متماسكة البناء ، نمت نموا طبيعيا بعيدا عن الشذوذ والمفاجآت ، وجاءت نهايتها أمرا محتمل الوقوع فى مثل ظروف العصر الذى عاش فيه . له قلب كبير ، وهمة عالية ، وشهامة فى الطباع ، ونفس ودودة ، وهدوء فى الملامح ، وحديث جذاب ، وقلة فى الكلام ، وصوت منخفض ... ولا أدل على نبله وحنانه من أنه وهب حياته لأسرته ، يرعاها ، ويتكلف فى سبيل ذلك الشىء الكثير ؛ فلم يتزوج حتى لا تشغله الزوجة أو الأولاد عن تلك المهمة التى وجد نفسه مسئولا عنها . ويتعدى عطفه وكرم شمائله دائرة أهله الأقربين إلى الناس

الآخرين من حوله . يروى الأستاذ محمد خضير[1] ، وكان من تلاميذ سيد قطب فى تحضيرية الداودية سنة ١٩٣٣ : أن سيد قطب ـــ رحمه الله ـــ كان يرعى الفقراء من التلاميذ ، يشترى لهم الكساء ، ويدفع لهم النفقات ، وأنه كان رحيم القلب حانى النفس . ويؤكد هذا أيضا الأستاذ زاهر حميدة[2] فيما يحضره من صفات سيد قطب قائلا : « كنت أيام الطلب رقيقَ الحال ، لا تفارقنى الحاجة ، وكانت اللحم بالنسبة لى وبعض الزملاء الآخرين شيئا عظيما ، ثم رزقنا الله بصحبة فتحى بن أخت سيد قطب عليه رحمة الله ، فلم يتردد فى أن يذكرنا عند خاله ، ويعود لنا منه بدعوة مفتوحة إلى بيته ، فصرنا نذهب عندهم كل يوم جمعة لنصيب من طيب الطعام ما لم نقدر عليه ، بل اتخذنا البيت مثابة نهرع إليه كلما ضاقت بنا السبل وعز علينا العيش » . إن سماحة النفس تلك ولين الجانب هذا استعداد واكتساب ، استعداد وهبه الله له ، واكتساب أخذه من البيت الذى نشأ فيه ، فلقد كان والده ـــ رحمه الله ـــ كريم النفس جواداً ، وقورا رزينا ، رحيما عطوفا ، لين الجانب حى القلب ، ديِّناً فى سلوكه وأخلاقه .

سيد قطب أديب شاعر يملك الموهبة ، موهبة الإبداع والتذوق ، وإن هذا العطاء الإلهى هو الذى فرّخ لنا سيد قطب صاحب الظلال والتصوير الفنى ومشاهد القيامة فى القرآن . إن التذوق الرفيع للغة ، والتعبير الجيد عنه هو السمة البارزة التى تميز بها الرجل وجعلت لفكره جاذبية وتأثيرا ، يضاف إلى ذلك إيمانه القوى بفكره والتزامه بكل ما يصدر عنه ؛ ولهذا نسمعه يقول : « إن الفكرة شىء جميل قيم ثمين ، لكنها لا تؤثر إلا حين ينبض بها الشعور من الداخل حتى لينساها الفكر الواعى ، حتى لتكون جزءا من حياة صاحبها » .

« إن السر العجيب ـــ فى قوة التعبير وحيويته ـــ ليس فى بريق الكلمات وموسيقى العبارات ، وإنما هو كامن فى قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء الكلمات ، وأنه فى ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية ، والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس » **« إن كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان ، أما الكلمات التى وُلدت فى الأفواه ، وقذفت بها الألسنة ، ولم تتصل**

---

(١) مهندس بالمعاش .

(٢) مدير عام شئون الأفراد بوزارة التربية والتعليم .

بذلك النبع الإلهي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبرًا واحداً إلى الأمام ، وأن أحداً لن يتبناها، لأنها ولدت ميتة، والناس لا يتبنون الأموات ... » لقد فهم سيد قطب أمانة الموهبة والكلمة ، وعلم أن الصدق فيها أمر ضرورى للتأثير والتعبير ، فنجده يقول : « **إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئاً كثيرا ، ولكن بشرط واحد أن يموتوا لتعيش أفكارهم ، وأن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم ، وأن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ، ويقدموا دماءهم فداء لكلمة الحق .**

إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثاً هامدة ، حتى إذا متنا فى سبيلها أو غذيناها بالدماء انتفضت حية وعاشت بين الأحياء » .

ويتوجه بالنصيحة إلى أصحاب المواهب : « فإلى الذين يجلسون إلى مكاتبهم ، يكدون قرائحهم لينتقوا اللفظ الأنيق ، وينمقوا العبارة الرنانة ، ويلفقوا الأخيلة البراقة ، إلى هؤلاء أتوجه بالنصيحة : وفروا عليكم كل هذا العناء ؛ فإن ومضة الروح وإشراق القلب بالنار المقدسة ، نار الإيمان بالفكرة هو وحده سبب الحياة ، حياة الكلمات وحياة العبارات » .

سيد قطب يعطينا مثلا للأديب الذى غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس وتسلح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب كى يحقق ذاته وأمله . الأديب الذى تحددت معالم نفسيته فى الوضوح والصراحة والمجابهة والثبات على الفكرة التى يؤمن بها مهما كانت النتيجة . فلا نجد من سماته المكر أو الدهاء ، ولا من قيمه الازدواجية أو الانتهازية . الأديب الذى اتصل بالعقاد ليستفيد فى وعى واتزان واستقلالية تحفظ عليه كيانه وتحقق ذاته .

الأديب الذى لم تفتنه الحضارة الغربية عن الصواب وإدراك ما فيها من خير وشر ، وحق وباطل ، وزيف وضلال ، بل منحته فرصة المقارنة بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي الصحيح ، وكانت النتيجة أنه آمن بالأخيرة عن يقين وثبات ، ونقد الأولى وهاجمها انتقاد خبير وهجوم بصير . الأديب الذى استطاع بالكلمة المكتوبة الصادقة أن يؤثر ويوجه الكثير من الرجال والشباب الذين التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التى أحاطت بهم . الأديب الذى قدم حياته فى سبيل الدعوة التى آمن بها .

لقد حققت الدراسة السابقة شعره تحقيقا دقيقا ، وتناولته تناولا موثقاً ، يقوم على الإحصاء والتسجيل ، وتحدثت عن روافد شاعريته ، وطبيعة البيئة التى نشأ فيها ، والظروف التى أحاطت به ، ونوعية المعارف والعلوم التى تركت بصماتها عليه . كما صنفت شعره حسب الموضوعات التى يعالجها ، وخرجت من تحليلها لتلك الأغراض إلى نتائج هى :

خلو شعر سيد قطب من المدح والفخر والهجاء ، بعده عن الغزل الحسى الفاحش ، الذى يصدر عن شهوات النفس وملذاتها وعبث الشباب ومجونه ، ويتركز حول وصف مفاتن المرأة الجسدية، والحديث عن لقاءاتها المحرمة .. على العكس من ذلك تماماً نجد فى غزله الحب الطاهر العفيف ، الخالد الذى يرتفع — كما قال — بالإنسان عن خطل الجسم إلى عالم النور والضياء . بل نجد نوعاً آخر من الحب ، حيث يحدثنا عن نفسه كواحد من شعراء الشباب فى مقالة كتبها فى مجلة الأسبوع سنة ١٩٣٤ ، فيقول : « نفسه خيرة محبة ، يغمر الحنان جوانبها تريد — لو استطاعت — أن تبسم لكل شيء وأن يبسم لها كل شيء ، وهى تعشق الرضا والهدوء وتتلمسه فى كل ناحية وفى كل مظهر من مظاهر الحياة ، وتود لو كانت الحياة منبسطة هادئة لا عوج فيها ولا نتوء .

تصطدم هذه الطبيعة بالواقع فتحار وتتألم وتشكو ، وقد تغضب وتنفعل ، وقد تسخر وتهدد بالانتقام ، ولكنها مع ذلك تحتفظ بخيرها وحنانها فى أشد ساعات الغضب والانفعال والسخرية ، وهى تود ألا تغضب وألا تنفعل فى يوم من الأيام ، حتى إذا انتهى ذلك الموقف عاد إليها حنانها ، وعادت تبحث عن مظاهر الود والمحبة بحث اللاهث المستزيد .

وكل ذلك فى غرارة بريئة مندفعة فى رضاها وسخطها على السواء ، وفى طفوله كبيرة لاتخرج منها إلا وهى تحن إليها ، وتسخط على الحوادث والتجارب التى فجعتها فيها .

ولو تهيأ لصاحبنا أن يتخيل الكون من جديد ما أحسبه كان يتخيله إلا حدائق ومتنزهات تجرى من تحتها الأنهار ، وتغرد فيها الأطيار ، وتجمع فيها الأصدقاء والخلان والمحبون للتناجى والسمر الهامس اللطيف ، ولا ضجيج ولا اضطراب ، ولا تجنى

ولا تزاحم فى ذلك النعيم المقيم .

وهذا الحب الذى يخفق به قلب شاعرنا ليس مقصورا على حب المرأة ولا حب الأصدقاء ، وما أردت ذلك فقط حين قلت إن نفسه محبة ، وإنما قصدت إلى معنى أشمل هو معنى الحب العام الذى يغمر النفوس ، فلا يدع فيها مكانا للبغضاء أو الحقد ، والذى يجعلها نزاعة أبدا إلى الاجتماع والعطف ، وتلقى كل مظهر من مظاهر الحياة بنوع من القبول والرفق ، فهو يود لو يشمل الكون جميعه بالحنان ، وأن يشمله كل شيء فى الكون بالحنان كذلك ، يكون بينهما تعاطف وتراحم وتواد ، وهذا الحب يظهر فى حب المرأة ، أو فى حب الأصدقاء ، أو حب العهود الماضية والدروب البالية ، والأشجار الناضرة الذابلة ، والطيور المغردة والنائحة .. فيكون كل أولئك منصرفاً لذلك الحب الشامل ومظهراً له ، لا تستوعبه ، ولكن تدل عليه ، لأنه أكبر من أن ينحصر فى بعضها أو فيها جميعها :

هو قلب ما درى كيف السرور   لا ولا كيف يرائى أو يخون
يحفظ الود وحاشا أن يجور   ولكم يبكى لمرأى البائسين

وهو قد يصبر ويتجلد حين يصاب فى نفسه ، ولكنه يأسى لمصاب غيره ، لأن هذا المصاب ، يهيج فيه عاطفة الحنان الدفينة :

عجبت لنفسى لا تراع من الأسى   ويقتلها خطب ينيخ على غيرى
ويا ربما أبكى لمن خلت بائساً   على حين يقضى ليله باسم الثغر

والقارىء لهذا الشاعر يجد حب المرأة ، وحب الصديق ، وحب الطبيعة ــ ولا سيما الأشجار والأطيار ــ وحب الذكريات والعهود والأطياف ، وكل ذلك يسير معاً فى تيار واحد ، وبقوة تكاد تتماثل لأنها جميعها ترجع إلى معين واحد وهو معين الحب العام فى تلك النفس الحانية الرءوم »

ويقل الرثاء فى شعر سيد قطب ، مخافة أن يندرج تحت اسم (شعراء المناسبات) ، وقلّت وطنياته للسبب نفسه ، ولسبب آخر هو الكبت الذى فرضه المحتل ، وقلة الأعمال البطولية والوطنية التى تحرك قرائح الشعراء وتلهب مشاعرهم .

إن شعره فى مجمله يقدم صورة فعلية للشباب الذى تلتهمه الحياة المعاصرة

بواقعها المر ، الشباب الممزق الذى تداعبه آماله وطموحه ، ويرده واقع الحياة خائبا خاسرا ، فيسقط فريسة الضياع والتمرد والشكوى ، ويبحث عن نفسه هنا وهناك ، فيضل وينحرف ، ولا ينجو من ذلك إلا من رحم . وهنا يأتى دور العقيدة الصحيحة التى تعصم الإنسان من الزلل وتبصره بذاته وغايته .

وأشير إلى مسألة مهمة هى : **ليس فى أدب سيد قطب ما يشين أو يشكل مغمزًا فى حياته، أو يضع من قدره كعلم بارز فى الفكر الإسلامى المعاصر ، أو يحط من جهده فى مجال الدعوة والإصلاح.. حتى نسمع كثيراً من التحفظات حول نشر تراثه الأدبى** ، بدعوى أن سيد قطب قد تبرأ منه وتخلى عنه ، والحقيقة أن كل هذه التخوفات لا مبرر لها ولا دليل عليها . **فهذا التراث ليس فيه ما يعارض تراثه الإسلامى أو ينقضه**، وما هو إلا نتاج مرحلة من حياة الرجل عبرت عنه تعبيراً صادقا ، ولا يمكن إسقاطها حين نريد أن نعطى صورة متكاملة عن مبادئه ؛ بواعثها ومكوناتها . زد على ذلك أن لهذا التراث أهمية بالغة فى حياة سيد قطب بعد ذلك ، فهو ـــ كما ذكرت ـــ يمثل الأساس الذى كونه وأكسبه كثيرا من التجارب فى الحياة والتذوق والفكر ، **ولولاه لما كان« لظلاله» أثر ، ولا « لمعالمه » وضوح** .

لم يرد نص مكتوب ولا نقل موثق عن سيد قطب يفيد تخليه عن أدبه ، وكان بإمكانه هذا ، وإذا كان الناشر لكتابه « فى ظلال القرآن » قد أعرض عن ذكر مؤلفاته الأدبية وأسقطها من قائمة إنتاجه قائلاً « ليس فى النية إعادة طبعها للشعور بأنها قد أدت دورها فى حينها ، ولم يعد لها إلا الاعتبار التاريخى . وبعضها مما يحتوى آراء أو اتجاهات للمؤلف تبين له خطؤها فعدل عنها » أقول : هذا اجتهاد من الناشر لم يوح به أحد إليه ، وهو اجتهاد غير دقيق ، لأنه أثبت فى القائمة كتابى : التصوير الفنى ، ومشاهد القيامة وهما من الكتب الأدبية . وإذا كنت متفقاً معه فى أن تراث سيد قطب الأدبى قد أدى دوره فى حينه ، فإن هذا ليس معناه التخلى عنه أو التبرؤ منه كما يشاع ، بل أومن بأهمية حفظ هذا التراث ومناقشته وإبراز أهميته ، وقد لا يكون هذا ضروريا لمن عاصروه وعاشروه عن قرب ، بل هو مهم للأجيال القادمة التى ستتمنى ـــ يوما ـــ سيرة واضحة لحياته ورصداً كاملا لأعماله ، كما نطلب نحن آثار من سبق من العلماء ، ونأسى لضياع شىء ولو كان يسيراً . **وخلاصة الأمر : أن سيد قطب لا يضره أبداً أن كان يوماً أديباً أو شاعراً** .

ولقد سبق دراسة شعره دراسة فنية مفصلة ، أبرزت ملامح تجربته الشعرية فى الشكل والمضمون ؛ فعالجت : بناء القصيدة ، اللغة ، الصورة الشعرية ، المفارقة التصويرية ، الخطابية والمناجاة ، وأخيرا الموسيقى الشعرية المستخدمة . وانتهت إلى أن شعر سيد قطب يغلب عليه الوجدان وتميزه العاطفة ، إذ ينتمى إلى جيل الشباب ، جيل : إبراهيم ناجى ، وعلى محمود طه ، والهمشرى ، ومحمود حسن إسماعيل ... الجيل الذى تلا أوائل النهضة المعاصرة ، جيل البارودى وأحمد شوق والرافعى والعقاد ... ولا عجب أن نجده محافظا على منهج الأقدمين خاصة فى رثائه وقصائده الوطنية ، ومجددا على منهج العقاد فى تأمله ووصفه .

وديوان سيد قطب الذى نقدمه اليوم متمم للدراسة التى سبقت ، وهو ملحق لها ، ويشتمل على كل شعره سواء ما أخرجه هو فى ديوان « الشاطىء المجهول » ، أو ما أمكننى جمعه من الصحف والمجلات ، ولم ينشر فى ديوان . ويشكل ديوان « الشاطىء المجهول » حوالى نصف إنتاجه كله تقريبا ، وما جمعته يشكل النصف الباق أو يزيد قليلا .

نشر ديوان الشاطىء المجهول فى يناير ١٩٣٥ ، حجمه من القطع الصغير ١١ سم × ١٤ سم وعدد صفحاته ٢١٠ صفحة ، ويبدأ بالإهداء الشعرى التالى :

« أخى » ذلك اللفظ الذى فى حروفه ... رموز وألغاز لشتى العواطف
« أخى » ذلك اللحن الذى رنينه ... ترانيم إخلاص ، وريا تآلف
« أخى » أنت نفسى ، حينما أنت صورة ... لآمالى القصوى التى لم تشارف
تمنيت ما أعيا المقادير ، إنما ... وجدتك رمزاً للأمانى الصوادف
فأنت عزائى فى حياة قصيرة ... وأنت امتدادى فى الحياة وخالفى
تخذتك لى ابناً ، ثم خدناً ، فيا ترى ... أعيش لألقى منك إحساس عاطف ؟
على أيما حال أراك مخلدى ... وباعث أيامى العذاب السوالف
فدونك أشعارى التى قد نظمتها ... لتبقى على الأيام رمز عواطفى

وينتهى بالتصويبات ، وله مقدمة نثرية كتبها سيد قطب بنفسه آثرنا أن نوردها فى مكانها كما هى لأهميتها .

ويشتمل الشاطىء المجهول على أربعة أجزاء : ظلال ورموز ، صور وتأملات ،

غزل ومناجاة ، ووطنيات . ويضم سبعا وخمسين قصيدة ، وخمس مقطوعات ، مذيلة بأعوام إنشائها ، وأقدمها مقطوعة من ثلاثة أبيات بعنوان « وردة ذابلة » مؤرخة بعام ١٩٢٥ م وأحدثها مؤرخة بعام ١٩٣٤ ، وأطول قصيدة ستون بيتا ، وهى قصيدة « السر أو الشاعر فى وادى الموتى » ، وأقصر قصيدة عشرة أبيات مثل « ابتسامة ، وخراب ، واللغز .. » .

وهذه قائمة بقصائد ومقطوعات « الشاطىء المجهول » بنفس ترتيبها فيه ، مع عدد أبيات كل قصيدة ومقطوعة ، مع تاريخ إنشائها ، مع الإشارة إلى ما يكون قد نشر منها فى الصحف والمجلات :

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	تاريخ إنشائها	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات علاوة على الديوان
١	إلى الشاطئ المجهول	١٨	١٩٣٤	
٢	الشعاع الخابى	٢٨	١٩٣٢	أبولو . نوفمبر ـ ١٩٣٢ . ص ٢٣٣
٣	خراب	١٠	١٩٣٢	
٤	فى الصحراء	٣٦	١٩٣٢	الرسالة . سبتمبر ١٩٤٥ .ع ٦٣٧. ص ١٠١٥
٥	الإنسان الأخير	٤٠	١٩٣٤	المقتطف ـ ١٩٣٤.م ٨٥ . جـ ٤ ص ٤٣٣
٦	خريف الحياة	١٥	١٩٣٤	
٧	خبيئة نفسى	٢٤	١٩٣٤	الرسالة ـ أغسطس ١٩٣٤.ع ٦١. ص ١٣٨٥
٨	النفس الضائعة	١٨	١٩٣٤	الرسالة ـ سبتمبر ١٩٣٤ . ع ٦٣ . ص ١٥٢٩
٩	الغد المجهول	١٥	١٩٣٤	الرسالة . أكتوبر ١٩٣٤ : ع ٦٦ . ص ١٦٦٧
١٠	غريب	١٠	١٩٣٤	
١١	بين الظلال	٢٤	١٩٣٤	
١٢	عودة الحياة	١٤	١٩٣٢	
١٣	البعث	٢١	١٩٣٢	
١٤	السر أو الشاعر فى وادى الموتى	٦٠	١٩٣٤	
١٥	سخرية الأقدار	٦	١٩٢٩	
١٦	التجارب	٣٠	١٩٣٤	
١٧	ليلات فى الريف	١٨	١٩٣٣	
١٨	العودة إلى الريف	٢٥	١٩٣٣	
١٩	الليلات المبعوثة	٢٤	١٩٣٣	
٢٠	الجبار العاجز	١٢	١٩٣٣	
٢١	ناحت الصخر	١٦	١٩٣٤	
٢٢	ريشة الشعر	٢٤	١٩٢٨	البلاغ الأسبوعى . مارس ١٩٣٠ . بعنوان (صورة صادقة) والوادى . أغسطس ١٩٣٠ .
٢٣	ابتسامة	١٠	١٩٣٠	

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	تاريخ إنشائها	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات علاوة على الديوان
٢٤	وردة ذابلة	٣	١٩٢٥	
٢٥	العود	١٧	١٩٢٧	
٢٦	عبث الجمال	٢٠	١٩٢٩	البلاغ الأسبوعى . ديسمبر ١٩٢٩ . ع ١٤٢ ص٢٨ بعنوان (دعها تغرد)
٢٧	يوم خريف	٢٥	١٩٣٢	
٢٨	مر يوم	١٤	١٩٣٤	صحيفة العلوم . أكتوبر ١٩٣٤.ع٢.ص٥٦.٥٧
٢٩	الدنيا	٣	١٩٣٠	
٣٠	هى أنت ؟	١٩	١٩٣٠	
٣١	أحبك	١٣	١٩٣٠	
٣٢	الظامئة	١٥	١٩٣٤	
٣٣	رسول الحياة	١٦	١٩٣٤	
٣٤	لماذا أحبك ؟!	٢٠	١٩٣٤	
٣٥	توارد خواطر	١٥	١٩٣٤	
٣٦	سر انتصار الحياة	١٠	١٩٣٤	
٣٧	المعجزة أو السهم الأخير	١٥	١٩٣٤	
٣٨	اللحن الحزين	١٢	١٩٣٤	
٣٩	الغيرة	٢١	١٩٣٤	
٤٠	مصرع حب: ليلة الشك – اليقين – الجنة الضائعة	٣٦	١٩٣٤	
٤١	الحنين والدموع	٥	١٩٣٤	
٤٢	اللغز	١٠	١٩٣٤	
٤٣	قبلة	١٣	١٩٣٤	
٤٤	داعى الحياة	١٢	١٩٣٤	المقتطف . م ٨٥ . جـ ٣ . ص ٢٩٦
٤٥	تحية الحياة	١٠	١٩٣٤	
٤٦	الخطر	٢١	١٩٣٤	
٤٧	يقظة	٨	١٩٣٤	
٤٨	رقية الحب	١٨	١٩٣٤	
٤٩	الحياة الغالية	١٣	١٩٣٤	الرسالة . أكتوبر ١٩٣٤ . ع ٦٩ .ص ١٧٨٩
٥٠	الكون الجديد	١٠	١٩٣٤	
٥١	حب الشكور	١٥	١٩٣٤	الرسالة . نوفمبر ١٩٣٤ . ع ٧١ . ص١٨٦٨
٥٢	عصمة الحب	١٠	١٩٣٤	
٥٣	الانتظار الخالد	١١	١٩٣٤	
٥٤	الحب المكروه	٢٠	١٩٣٤	
٥٥	نكسة	١٤	١٩٣٤	
٥٦	على أطلال الحب	٢٠	١٩٣٤	

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	تاريخ إنشائها	مكان وتاريخ نشرها في الصحف والمجلات علاوة على الديوان
٥٧	البطل	٢٤	١٩٣٤	
٥٨	إلى البلاد الشقيقة	١٥	١٩٣١	مجلة الشباب . أكتوبر ١٩٣٨ . بعنوان (فلسطين الدامية) ونقلت بهذا العنوان في كتاب (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث) جـ ٤ . ص ٣٩ .
٥٩	صرت الوطنية	١٩	١٩٣٢	
٦٠	ذكرى سعد	٢١	١٩٣٢	
٦١	مأساة البداري	١٥	١٩٣٢	
٦٢	طليعة الضحايا	١٧	١٩٣٣	

فيكون مجموع أبيات الديوان ١١٠٣ ثلاثة ومائة وألف

وهذه قائمة أخرى بالقصائد التي وجدتها خارج ديوان الشاطئ المجهول ، مرتبة ترتيبا زمنيا ، وفيها عدد الأبيات ، وأماكن وتاريخ النشر في الصحف والمجلات .

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	مكان وتاريخ نشرها في الصحف والمجلات
١	من بالبغي يعتصم (١)	١٠	البلاغ اليومية ١٦٠ / ١ / ٢٥
٢	عهد الصغر	١٦	البلاغ الأسبوعي . يناير ١٩٢٨ . ع ٦١ . ص ٧
٣	جولة في أعماق الماضي	٣٤	البلاغ الأسبوعي . فبراير ١٩٢٨. ع ٦٦ . ص ٣٣ وأعيد نشرها في ع٦٩ بعنوان (سبحة في أغوار الماضي)
٤	وحي الخلود	٢١	البلاغ الأسبوعي . أبريل ١٩٢٨ . ع ٧٣ . ص ٣٤
٥	سعادة الشعراء	٢٥	البلاغ الأسبوعي . مايو ١٩٢٨ . ع ٧٨ . ص ٢٥
٦	هدأة الليل	٢٢	البلاغ الأسبوعي . يونيو ١٩٢٨. ع ٨١ . ص ٢٦
٧	ليلة	١٢	البلاغ الأسبوعي سبتمبر ١٩٢٨ . ع ٩٤ . ص ٢٥
٨	الماضي	٢١	البلاغ الأسبوعي . يناير ١٩٢٩ . ع ٩٧ . ص ٢٦
٩	بسمة بعد العبوس	٢٠	البلاغ الأسبوعي . فبراير ١٩٢٩ . ع ١٠٢ . ص ٢٦
١٠	عزلة في ثورة	٣٩	البلاغ الأسبوعي . مارس ١٩٢٩ . ع ١٠٤ . ص٢٧
١١	الصبح يتنفس	٢٠	البلاغ الأسبوعي . ابريل ١٩٢٩.ع ١٠٦ . ص ٢٧ ثم نشرت في الوادي بتاريخ ٢٧/ ٨ / ١٩٣٠
١٢	اضطراب حائق	٢٦	البلاغ الأسبوعي . ابريل ١٩٢٩ . ع ١٠٨. ص ٢٧
١٣	نظرة موحشة	٣٢	البلاغ الأسبوعي . أبريل ١٩٢٩ . ع ١١٠ . ص ٢٧
١٤	هدأت يا قلب	١٢	البلاغ الأسبوعي . مايو ١٩٢٩ . ع ١١٢ . ص ٢٧

(١) لم أتمكن من الحصول عليها .

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات
١٥	زفرات جامحة مكبوحة	١٩	البلاغ الأسبوعى . مايو ١٩٢٩ . ع ١١٤ . ص ٢٧
١٦	طيف	١٨	البلاغ الأسبوعى . يونيو ١٩٢٩ . ع ١١٧ . ص ٢٧
١٧	رثاء عهد	٢٠	البلاغ الأسبوعى . سبتمبر ١٩٢٩ . ع ١٣٠.ص ٢٧
١٨	الصديق المفقود	٣٢	البلاغ الأسبوعى . يناير ١٩٣٠ . ع ١٤٧ ص ٢٧
١٩	صوت	١٥	البلاغ الأسبوعى . مارس ١٩٣٠. ع ١٥٥ ص ٢٥
٢٠	عهد ذاهب	٢٤	البلاغ الأسبوعى . يوليو ١٩٣٠ . ص ٢٧
٢١	الذكرى الخالدة لسعد زغلول	٣٨	الوادى . أغسطس ١٩٣٠ . ع ٤٣ .
٢٢	السعادة حديث الأشقياء	١٥	البلاغ الأسبوعى ١٩٣٠. ع ١٦٦ ص ٢٨ ،
٢٣	عينان	٨	أبولو . مايو ١٩٣٤ . ص ٨٤١ .
٢٤	حدثينى	١٢	الأسبوع . سبتمبر ١٩٣٤ . ع ٣٩
٢٥	خصام	١٦	الأسبوع . أكتوبر ١٩٣٤ . ع ٤٥
٢٦	بيانو وقلب	١٢	الأسبوع . أكتوبر ١٩٣٤ . ع ٤٨
٢٧	الخطيئة	١٠	صحيفة دار العلوم . أبريل ١٩٣٥ . جـ ٤
٢٨	القطيع	٤٠	صحيفة دار العلوم . يونيو ١٩٣٥ . جـ ١
٢٩	إلى الثلاثين	٢٠	المقتطف . مارس ١٩٣٧ . جـ ٣ . م ٩٠ . ص ٣٢٣
٣٠	ريحانتى الأولى أو الحرمان	٢٠	الرسالة . سبتمبر ١٩٣٧ـ ع ٢٢٠ . ص ١٥٤٦
٣١	غنىٌ ...!!	٢٤	الرسالة . أكتوبر ١٩٣٧. ٢٢٤ . ص ١٧٠٩
٣٢	خطى الزمن الوثاب	١٤	صحيفة دار العلوم . أكتوبر ١٩٣٧ . جـ ٢
٣٣	صدى قبلة	٢٠	المقتطف . أكتوبر ١٩٣٧ . جـ٣ م ٩ . ص ٣٢٠
٣٤	عبادة جديدة	١٥	الرسالة . نوفمبر ١٩٣٧ . ع ٢٢٦ . ص ١٧٨٩
٣٥	وحى جديد	٣٢	الرسالة . نوفمبر ١٩٣٧ . ع ٢٢٩ . ص ١٩١٢
٣٦	على القمة	٢٥	المقتطف نوفمبر ١٩٣٧ . جـ٤ . م٩١ ص ٤١٣
٣٧	المهرجان	٣٨	صحيفة دار العلوم . مارس ١٩٣٧ . جـ٤
٣٨	تسبيح	١٥	الرسالة سبتمبر ١٩٣٨ . ع ٢٧٣ ص ١٥٩٣
٣٩	فى السماء	١٣	الرسالة . أكتوبر ١٩٣٨ . ع ٢٧٥ .ص ١٦٧٣
٤٠	حلم النيل	٦	صحيفة . دار العلوم . أكتوبر ١٩٣٨ . جـ٣
٤١	مصرع قصيدة	١٢	الرسالة . ديسمبر ١٩٣٨.ع ٢٨٣ . ص ١٩٩٣
٤٢	موت سوسو	١٥	المقتطف . ١٩٢٠ . جـ٤ م٩٣ . ص٤٦٠
٤٣	وداع الشاطئ	١٥	الرسالة . سبتمبر ١٩٤٠ . ع ٣٧٧ .ص ١٤٨٧
٤٤	أكذوبة السلوان	١٠	الرسالة . يونيو ١٩٤١ .ع ٤١٤.ص ٧٦٦
٤٥	الزاد الأخير	١٥	الرسالة . يوليو ١٩٤١ .ع ٤٢٠ .ص ٩٣٥
٤٦	فى مفرق الطريق	٢٠	الرسالة . أغسطس ١٩٤١ . ع ٤٢٤ . ص ١٠٤٧
٤٧	بين عهدين (العش المهجور / نداء العودة)	١٩	الرسالة . فبراير ١٩٤٢ . ع ٤٥١ . ص ٢٥٠
٤٨	وجوه طريفة	١٤	الرسالة . مارس ١٩٤٢ . ع ٤٥٦ . ص ٣٨٩
٤٩	عاشق المحال	١٤	الثقافة . مايو ١٩٤٢ . ع ١٧٥ . ص ٢٤
٥٠	نوبعة أو شطر من العمر	٤٢	الثقافة . نوفمبر ١٩٤٢ .ع ٢٠٤ . ص ٢٢

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات
٥١	حلم الحياة	٣٢	الثقافة . يوليو ١٩٤٣ . ع ٢٣٦ . ص ٢٤
٥٢	إلى الظلام	١٥	الثقافة . يوليو ١٩٤٣ . ع ٢٣٨ . ص ٢٤
٥٣	الكأس المسمومة	١٥	الرسالة . أكتوبر ١٩٤٣ . ع ٥٢٩ . ص ٦٦٩
٥٤	نداء الخريف	٤٢	الرسالة . أكتوبر ١٩٤٣ .ع ٥٣٨ . ص٨٥٨
٥٥	الوادى المقدس	٦٠	الرسالة . مايو ١٩٤٤ - ع ٥٦٦ . ص ٣٩٥ ثم نشرت فى الرسالة . أبريل ١٩٤٦ ص ٤٤٨ بعنوان (وادى الخلود)
٥٦	وحى لقاء	١٤	الرسالة . يونيو ١٩٤٤ . ع ٥٧١ . ص ٤٩٥
٥٧	حلم الفجر	١٥	الرسالة . أكتوبر ١٩٤٤ . ع ٥٨٨ . ص ٩١٧
٥٨	صدى الفاجعة	١٨	الرسالة . مارس ١٩٤٥ .ع ٦١٠ .ص ٢٥٨
٥٩	انتهينا	٣٠	الرسالة . أبريل ١٩٤٥ .ع ٦١٦ . ص ٤٢٩
٦٠	نهاية المطاف	٢٠	الرسالة . أغسطس ١٩٤٥ .ع ٦٣١ .ص ٨٤٩
٦١	فى ليلة من ليالى الربيع	١٦	الرسالة . أغسطس ١٩٤٥ . ع ٦٣٣ . ص ٩٠٤
٦٢	حلم قديم	١٦	الرسالة . أكتوبر ١٩٤٥ . ع ٦٤٠ .ص ١١٠١
٦٣	قافلة الرقيق	١٨	الكتاب . يونيو ١٩٤٦ .جـ ٨ . م٢
٦٤	أقدام فى الرمال	١٤	الكتاب أكتوبر ١٩٤٦ . جـ١٢ . م٢
٦٥	بعد الأوان	٢٠	العالم العربى - جمادى الآخرة ١٣٦٦ .ع ٢ . ص ٥٥
٦٦	جمال حزين	١٠	الفكر الجديد - يناير ١٩٤٨ .ع٤
٦٧	خدعة الخلود	١٥	الأديب ١٩٤٨ . جـ٥ .ص ١٦
٦٨	هتاف روح	١٥	الرسالة . ابريل ١٩٥٠ .ع٨٧٧ .ص ٤٧٢
٦٩	دعاء الغريب	١٨	الكتاب يونيو ١٩٥٠ . ص ٤٩٧
٧٠	هُبَلٌ .. هُبَل	٢٧	فى كتاب (شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث جـ٤ .ص ٤١ تأليف أحمد عبد اللطيف الجدع ، وحسنى أدهم جرار (مؤسسة الرسالة)
٧١	أخى	٣٢	المصدر السابق كتاب (شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث) جـ٤ .ص ٤٣

فيكون مجموع قصائد الشاعر خارج ديوان الشاطئ المجهول واحد وسبعون قصيدة ، ومجموع الأبيات ١٤٧٠ سبعون وأربعمائة وألف .

ولقد أشيع أن لسيد قطب دواوين أخرى غير الشاطىء المجهول . والحقيقة أنى لم أعثر على غير الشاطىء المجهول . وأسماء الدواوين التى نسبت له هى : أصداء الزمن ، الكأس المسمومة ، وقافلة الرقيق وحلم الفجر فخبرها كالتالى :

« أصداء الزمن » أغلب الظن أنه قد صدر لسيد قطب ديوان بهذا العنوان ، والدليل

على ذلك أنى عثرت على بعض القصائد فى مجلتى : الرسالة وصحيفة دار العلوم تفيد تذييلاتها أنها من ديوان سيصدر فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ بعنوان : أصداء الزمن ، وعناوين هذه القصائد هى : « عبادة جديدة » ، « وحى جديد » فى مجلة الرسالة ، « وخطى الزمن الوثاب » فى صحيفة دار العلوم . ودليل آخر هو تأكيد الموظف المختص بمكتبة معهد الدراسات العربية العالى الكائن بجاردن سيتى على أن هذا الديوان كان موجودا بمكتبة المعهد ، لكنه فقد فى أيام محنة سيد قطب مع الإخوان .

وأما الكأس المسمومة ، وقافلة الرقيق ، وحلم الفجر فليست إلا عناوين لقصائد نشرها سيد قطب فى مجلتى : الرسالة والكتاب ، ولم أعثر على أى خبر أو أثر يفيد أنه قد ظهرت له دواوين بهذه الأسماء ، ومن المحتمل جداً أن يكون الأمر قد التبس على الناشرين الذين نشروا مؤلفات سيد قطب أيام محنته دون إذن أو تصريح ، فظنوا تلك القصائد دواوين فنشروا أسماءها فى قائمة مؤلفاته .

وأخيرا فإنى قد صنفت القصائد فى هذا الكتاب حسب الموضوعات التى تعالجها ، وهى :

١ ــ **التمرد** : ويشتمل على القصائد : اضطراب حانق ، زفرات جامحة مكبوحة ، عزلة فى ثورة ، عاشق المحال ، بعد الأوان ، وحلم قديم .

٢ ــ **الشكوى** : وفيه نجد قصائد : خريف الحياة ، الصديق المفقود ، غريب ، خراب ، النفس الضائعة ، نهاية المطاف ، الغد المجهول ، مر يوم ، خطى الزمن الوثاب ، سعادة الشعراء ، وسخرية الأقدار ، إلى الثلاثين .

٣ ــ **الحنين** : وقصائده هى : جولة فى أعماق الماضى ، عهد الصغر ، رثاء عهد ، الماضى ، وحى الريف : (العودة إلى الريف ، ليلات فى الريف ، الليلات المبعوثة) ، بين عهدين : (العش المهجور ، نداء العودة) ، ريحانتى الأولى أو الحرمان ، السعادة حديث الأشقياء ، ابتسامة ، هتاف روح ، دعاء الغريب ، عبادة جديدة ، تسبيح ، فى السماء ، نداء الخريف ، عهد ذاهب .

٤ ــ **التأمل** : فى الصحراء ، الإنسان الأخير ، إلى الظلام ، قافلة الرقيق ، أقدام فى الرمال ، القطيع ، خدعة الخلود ، الدنيا ، الخطيئة ، السر أو الشاعر فى

وادى الموتى ، بين الظلال ، إلى الشاطىء المجهول ، الشعاع الخابى ، التجارب ، هدأت يا قلب ، عودة الحياة ، البعث ، مصرع قصيدة ، فى مفرق الطريق ، وجوه طريفة ، بسمة بعد العبوس ، خبيئة نفسى ، على القمة .

٥ ــ **الغزل** : وتتناوله القصائد التالية : هى أنت ، الظامئة ، رسول الحياة ، تحية الحياة ، أحبك ، لماذا أحبك ، توارد خواطر ، سر انتصار الحياة ، المعجزة ، اللحن الحزين ، الغيرة ، مصرع حب ، الحنين والدموع ، اللغز ، قبلة ، داعى الحياة ، الخطر ، يقظة ، رقية الحب ، الحياة الغالية ، الكون الجديد ، حب الشكور ، عصمة الحب ، الانتظار الخالد ، الحب المكروه ، نكسة ، على أطلال الحب ، غنى ، وحى جديد ، أكذوبة السلوان ، وحى لقاء ، حلم الفجر ، انتهينا ، الكأس المسمومة ، حلم الحياة ، حدثينى ، خصام ، بيانو وقلب ، ليلة ، نظرة موحشة ، طيف ، عينان ، صدى قبلة ، صوت .

٦ ــ **الوصف** : وتعالجه قصائد : هدأة الليل ، وردة ذابلة ، الصبح يتنفس ، يوم خريف ، وداع الشاطىء ، فى ليلة من ليالى الربيع ، وادى الخلود أو الوادى المقدس ، حلم النيل ، عبث الجمال ، ناحت الصخر ، الجبار العاجز ، العود ، جمال حزين ، وبريشة الشعر أو صورة صادقة .

٧ ــ **الرثاء** : ونجده فى قصائد : وحى الخلود ، الذكرى الخالدة لسعد ، ذكرى بسعد زغلول ، صدعة الفاجعة ، البطل ، طليعة الضحايا ، نوسه أو شطر من العمر ، وموت سوسو ، الزاد الأخير

٨ ــ **الوطنيات** : إلى البلاد الشقيقة ، مأساة البدارى ، صوت الوطنية ، والمهرجان .

وأسأل الله أن يرحم سيد قطب ، وينفعنا بعلمه ، ولا يفتنا بعده ، ولا يحرمنا أجره ، ويهدينا سواء السبيل .

عبد الباق محمد حسين تهامى

باريس فى يوم الجمعة ١٨ من المحرم ١٤٠٨ هـ ١١ من سبتمبر ١٩٨٧ م

مقدمة الديوان

كتبها الأديب الناقد « سيد قطب » بيراعه الثاقب ولمسته الحريرية عام ١٩٣٤ فى مقدمة ديوانه « الشاطئ المجهول » آثرنا إثباتها فى أول الديوان للاستفادة من رأى الشاعر وأفكاره فيها .

المقدمة

بقلم الناقد سيد قطب

تمهيد :

أعرفُ مؤلفَ هذا الديوانِ ؛ معرفةً وثيقةً عميقة ، قد لا يتأتى لأىّ سِواى أن يعرفَها ! ولقد صاحِبتُه زُهاء[1] سنواتٍ عشر أو أكثر قليلا ، وراقبتُ خوالجَه[2] وسَرائرَه وخَبَرْتُ اتجاهاتِه وميولَه ؛ وكونتُ لى رأياً عنه ، أقربَ ما يكون إلى حقيقته .

ولقد كان يَشْجُرُ بيننا الخلافُ على كثيرٍ من الخَوالج والقصائد ، ولكنا كُنَّا نلتقى عن قريب أو بعيد ، إلا أمرا واحدا ، لا نزال مختلفين فيه أشدَّ الاختلاف .

ذلك أنه راضٍ عن مجموعة هذا الديوان ؛ أمّا أنا فلستُ راضيا عنها إلا بمقدار ، وما أزال أتطلعُ إلى مُثلٍ عُلْيَا ، كما آخذُ عليه بعضَ أنواعِ الضعفِ والخطأ ؛ وما يشبه الضعفَ والخطأ فى بعض الأفكارِ وبعض الألفاظ !

وفى هذه المقدمة ؛ سأستعرض آراءَ الشاعر واتجاهاتِه ثم أذكر مآخذَه وعيوبَه مُحاوِلاً ألا تؤثِّر صُحبتى الطويلةُ له ، والصداقةُ العميقة بيننا ؛ فى تحليلى لديوانه !!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية :

فى الفصل الأول من هذا الديوان* ، وفى كثير من قصائد الفُصول الأُخرى ، تُطالع القارىء ، نظرياتٌ علميةٌ وفلسفيةٌ كثيرة ، ولكنها لم تحتفظ بِسَمْتِها[3] العلمى وشخصيتِها المحددة ، بل استحالت صورةً من صورِ الشعر ، فيها موسيقيته وعليها مِسْحَتُه ؛ ولها سِحْنَتُهُ[4]

(١) زهاء : ما يقرب من .

(٢) خوالجه : خواطره ونزعاته .

(*) كما جاء فى ديوان الشاطىء المجهول .

(٣) بسمتها : بما تميّزت به .

(٤) السحنة : الهيئة واللون .

وليس هناك عداء بين الشعر وبين الفلسفة والعلم فليس الثلاثة أنداداً(٥) حتى يَشْجُرَ بينها العداء !

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم ؛ ومن الفلسفة أيضا ، ولن يَعْسُر عليه ، حين يبلغُ حَداً مُناسباً من النُّضُوج ؛ أن يلتهمَهما جميعا ، ويَعتصرَهما دماً ، ويُمثّلَهما غِذاءً ، يُقوّى من بِنْيَتِه ؛ وإن لم يُحسّ بوجوده !

ولن ننكر على الشعرِ إلمامَه بالحقائقِ العلميةِ والفلسفية فيما يُلِمُّ به من حقائق أخرى تُناسب طبيعَته ؛ إلا إذا قَصَرْنا طرقَ « المعرفة » على القُوىٰ الواعِية فى الإنسان ، وهذا مبدأ لم يسلمْ من المآخذ ، حتى فى أكْثَفِ العصور مادية ، وكثيرٌ من مدارس السيكلوجية(٦) الحديثة ، تحسب للقُوىٰ المجهولةِ فى النفس الإنسانية حسابا كبيرا ، وفى مقدمتها « مدرسة التحليل النفسى » .

وهأنذا ألخصُ بعض هذه المسائل ، التى تُعْرَضُ للقارىء فى هذا الديوان ، والتى أدْرَكَها الشاعر بالإحساسِ والتأمُّل تارةً ، وبالاستغراقِ والتجردِ تارةً ؛ فالتقتْ بعد ذلك بنظرياتٍ علميةٍ وفلسفيةٍ مقررة ، واتفقتْ معها ؛ أو اختلفتْ ، لأنها لم تتقيدْ بها ، ولم تأتِ عن طريقِها وحدَه .

الجسم والعقل والروح :

القولُ بالتباينِ بين الجسم والرُّوح ، قديمٌ مُتداولٌ فى الفلسفة القديمة ، والشاعر مَيّالٌ إلى الأخذ بالرُّوح العامة لهذه الفلسفة القديمة ، وإن لم يأخذْ بنصوصِها فى الفصل بين هذين العُنْصرين ، لاعتقاده بوحدةِ الوجودِ .

وبالتحديدِ يرى أنَّ هناك شيئين متميزين « جسماً ورُوحاً » ولكن بينهما اتصالاً ...

أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يُفرِّق بعد ذلك بين القوىٰ العقلية ؛ والقوىٰ الرُّوحية فى الإنسان ، وبتعبيرٍ أدق بين القوىٰ الواعية ، والقوى المُلْهِمَةِ « وليست هى الغرائز » القوى المجهولة الكُنْه والوظيفةَ ، والتى تعمل دون شعور بها ؛ للسمو بالإنسانية .

---

(٥) النِّدُّ : المِثْل والنظير .

(٦) السيكلوجية : علم النفس .

ويرىٰ أن العقل يستطيع أن يَكْفُلَ للإنسانية حياتها اليومية وما يقربُ منها ولكنه يَقْصُرُ عن اتصالِها بالمُثُل العُليا الغامضة ، وبالعوالِمِ المجهولة ، كما يَقْصُرُ عن إدْماجِهَا فى الوحدةِ الكونية الكُبرَى ، والحقيقة الثابتة المتصلة ، التى تبعد عن الفواصل من أمثال « قبل وبعد . ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير » .. إلخ

وفى قصيدةِ الشاطىء المجهول ؛ وهى أُولَىٰ قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث ، كما أن فيها ظاهرة أخرى ؛ وهى عدم ثقة الشاعر بالقُوىٰ الواعية ؛ وشدةُ إيمانه بالرُّوح وما يتصل بها من بَدَاهةٍ(٧) ، واستغراقٍ ، وتجردٍ ؛ وصوفيةٍ

لقد حَجَبَ العقلُ الذى نستشيرُه   حقائقَ جَلَّتْ عن حقائِقنا الصُّغْرىٰ
هنا عَالَمُ الأرواحِ فَلْنَخْلَع الحِجَا(٨)   فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسِّحْرَا

الجسم والزمن والوحدة :

القُوىٰ الرُّوحية ــ عند الشاعر ــ هى التي تربطه بالوحدة الكونية الكُبرىٰ كما تقدمِ ، فى حين تَقْصُرُ القُوىٰ العقليةُ عن ذلك ، وهو يرى أن الشعورَ بالزمن ؛ نتيجةٌ لوجودِ الجسمِ والقوىٰ الواعية ؛ وأن الرُّوح تحسُّ بالوجود المطْلَق ؛ لا يقيده الزمن ؛ وبالبداهة(٩) لا يقيده المكان .

ولذلك فهو حينما خَلَعَ الجسم وخلع الحِجَا فى « الشاطىء المجهول » رأى أنْ ليس هناك « حيث » ولا « أمس » ولا « اليومِ » ولا « الغد » ولا « غير » ولا « أنا » ... إلخ

ولكنه رأى « الأزمان كالحَلْقَةِ الكُبرى » ورأى « الوحدة التى احتجبت سراً » . وكذلك فى قصيدة « الليلات المبعوثة » حين تجرد لم يَرَ للزمانِ مَعْلَماً ولا رَسْماً ورأى كل شىء كرمز الدَّوام .

وقد يكون لهذا الإحساس علاقةٌ بنظرية النسبية(١٠) لأنشتين ، كما قد يكون

---

(٧) وضوح الأفكار والقضايا بحيث تفرض نفسها على الذهن (فى الفلسفة) .

(٨) الحجا : العقل .   (٩) بالبداهة : بالتفكير السليم .

(١٠) نظرية النسبية : النظرية التى يتوصل فيها على أساس مبدأ النسبية إلى معرفة ما تُفضِى إليه من نتائج .
ونظرية النسبية لأنشتين : العلاقة بين الزمن والحجم والكتلة والتى يطلق عليها أنها تتغير طبقا لزيادة السرعة =

له علاقة بنظريات التصوف الإسلامي ولكنه الإحساس المستقل للشاعر ؛ الذى يشعر به ، ويكرره فى كثيرٍ من قصائده .

ويبدو شعورهُ بالوَحدة الكَوْنية بشكلٍ واضحٍ فى قصيدة « الإنسان الأخير » ؛ حين يستيقظُ والكون قد خَلا من الأحياءِ

ففى نفسِه ما يُشْبهُ الموتَ سَكْرَةً ... ومِنْ حَولِهِ موتٌ نَمتْه المقابرُ
وفى نفسِه مِنْ مِثْلِها كلُّ ذَرَّةٍ ... فهاتِيك أشلاءٌ(١١) وهَذِى خَواطِرُ

وفى قصيدةِ « خبيئة(١٢) نفسى » إذ يقول

خَبيئةُ نَفْسِى فى ثناياك مَعْرِضُ ... لِما لَقِيَتْه الأرضُ فى الجَوَلانِ
وإنكِ طَلْسَمٌ(١٣) الحياةِ جَميعِها ... وصورتُها الصُّغْرى بكلِّ مَكانِ

ويبدو شعورُه بوَحدةِ الإنسانية ؛ فى مواضع كثيرة منها أن يجعلَ الإنسانَ الأخيرَ يحاولُ كَشْفَ أسرارِ الغيبِ إكمالاً للجهادِ الإنسانى لهذه الغاية

فياليَته يَدْرِى بما خَلْفَ سِتْرِه ... فَيَخْتِمُ سِفْرَ(١٤) الناسِ فى الكونِ ظَافِرُ

وفى قصيدة التجارب ، يبدو إيمانُه بوَحدة الشعور فقد صَوَّرَ شقيًّا وُهِبَ ماضياً سعيداً ؛ فلم يُطِقْ عليه صَبْراً وعادَ ماضيه الشَّقى تَوْحيداً لشعورِهِ !

الإحساس بالزمن ، ومحاولة الخلود :

تَبدو ظاهرةٌ ؛ تستحقُ الالتفاتَ فى شعر هذا الديوان ، فكثيرٌ منه ، يدلُّ على إحساس متيقظٍ بالزمن ومروره والأسفِ على انقضائه ؛ والتنبُّه إلى قِصَرِ الحياة ؛ ومحاولَة خلودِها أو امتدادها على الأقل .

ويملأ الإحساسُ بالزمن كثيراً من فُصول الديوان المختلفة ؛ ففى فصل « الظلال والرموز »يبدو هذا الإحساسُ على أشُدّه فى قصيدة « البعث » .

= النظرية النسبية : Theory of relativity
The relationship between : Time, Size and mass, which are said To change with increased Speed .P. 932 long dic . of Contemporary English .

(١١) أشلاء : مفردها شِلْو ، والأشلاء : أجزاء الجسم بعد الموت والبِلَى .

(١٢) خبيئة : المَخْبُوء .

(١٣) الطَّلْسَم (فى علم السحر) : الشيء الغامض .

(١٤) سفر : كتاب .

هكذا عِشْتُ كسكانِ القُبورِ في ربيع العمرِ ؛ في العهدِ النَّضِيرْ
آه لو أسْطِيعُ للماضى الحَسيرِ(١٥) رَجْعَةً ، مِنْ بَعْدِ ما جاءَ وَمَرْ
كنتُ أُحْيِيه كما يَحيا الشَّبابُ نابضاً بالحُبِّ ؛ جَيّاشَ الأَمَانِى
مُمْسِكاً أَهْدابَه(١٦) خوفَ الذِّهابِ ! مُسْتَعِزاً فيه حتى بِالثَّوانِى

وفى فصل « الصور والتأملات » تجده جَازِعاً آسفاً على أنه « مر يوم » من حياته .

لم تكنْ فيه حَياةٌ أو أملْ أو تَمَتُّعْ
وهو مَحسُوبٌ علينا فى الأَجَلْ فَهو أَضْيَعْ

وكذلك تَجِدُهُ ينادى ليلاتِ الريف فى لهفةٍ « إيه ليلاتنا ، اخْلُدِى ، لا تغيبى » !

وفى فصل « الغزل والمناجاة » تجده يتحدث عن « الحياة الغالية » فيقول .

واليومَ آسفٌ للدقائِق تَنْطَوِى مِنْ عُمرِى الغَالى الثمينِ الطيِّبِ
واليومَ أَرْقُبُها وأَرْقُبُ خطوَها فأَعِيشُها مِثْلَين بعدَ تَرَقُّبِى !

وفى مواضع أخرى كثيرة

وليس غريبا ؛ أن تلمحَ اعتزازَه بالماضِى وأَسَفَه عليه مُتَفَشّياً فى معظمِ فصولِ الديوان ، فهو تتمةٌ لهذا الإحساسِ الغريبِ بالزمن .

وهو لهذا يحاولُ الخلود ، ويسلُكُ إليه طرائق شتى فتارة يَعْتَصِمُ بالحب .

وغَناءٌ عن الخلودِ غرامٌ هو رمزٌ وَوَصْلَةٌ للبَقَاءِ

وتارةً يلجأ إلى الريف ؛ لأن مظاهر الدَّوام والاستقرارِ فيه ؛ تُخففُ حدةَ الشعور بمرور الزمن

ياريفُ فيكَ مِنَ الخُلُودِ أثارَة(١٧) تَنْسَابُ فى خَلَدِى وفى أَوْهَامِى

فإذا أعياه ذلك ؛ وأعيا طبيعةَ الخلق ، فهو يتعزّى بأخيه ؛ ويُهدِى إليه الديوان لأنه امتدادُه فى الحياةِ .

---

(١٥) الحسير : المُتْعَبُ الكليل . (١٦) أطرافه . (١٧) أثارة : من أثره يأثُرُ أثرًا وأثارةً : تبع أثره .

تمنيتُ ما أعيَا المقاديـرَ إنما وجدتُك رمزاً للأمانِى الصَّوادِفِ
فأنْتَ عَزائِى فى حياةٍ قَصِيرةٍ وأنتَ امتدادِى فى الحياةِ وخَالفِى

المجهول :

يملأ الشَّغَفُ بكشفِ « المجهول » والحديث عن « السِّرِّ » حَيزاً كبيرا من الديوان ؛ ويمدُّ جنَاحيْه على حيزٍ آخر ، ومن هنا جاء اسمه .

ولعلّها محاولةٌ من محاوَلات الخُلودِ ، أو تَعْمِيق الحياة وتمديدها ؛ بمعرفةِ عَوالم وَمصَائرَ مجهولة ، يضيّق الجهلُ بها أُفقَ الحياة .

أم لعلّها نتيجةٌ للفصلِ بين أجزاءِ الكونِ والحياة ، بهذا الجسم الذى لابدَّ له من الفواصِل والحدودِ مع شوقِ القُوىٰ الرُّوحية ، إلى العوالِم المجهولَةِ ، التى حجبها الجسم والقُوىٰ الواعية .

وعلى أى حالٍ فالحديثُ عن المجهولِ يأخذ صوراً متعددة ، ويشغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر ، حتى لقد يُلِحُّ عليه فى فصل « الغزل والمناجاة » فى قصائد كثيرة .

ملكة التصوير وروح القصص :

يتبين للناقد ، أن الشاعر فى هذا الديوان ؛ يقف موقفَ المُصوِّر فى كثير من القصائد ؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير .

وقد يزيد على الصورة الصامتة فى كثير من الأحيان حركةٌ نابضةٌ ؛ والأمثلةُ على ذلك فى « الشُّعاع الخَابِى . وخراب . والصحراء . والإنسان الأخير . وخريف الحياة . والجبار العاجز . ونَاحِتِ الصَّخرِ » لا بل الأمثلة هى هذا الديوان كله ، فهو مُتْحَفُ صُوَرٍ ، قبل أن يكونَ قصائدَ شعرٍ !

ولكن أى تصوير ؟

إنه التصوير الهادىء ؛ الغامض . فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران فى الشاعر خاطر التصوير ، بل خاطر التعبير وهو يَهرُبُ من الضجةِ كما يهرُبُ من الوضوح ، فإذا اضطر لملابستهما ، فهو يعيش فيهما ولكن لا يعبِّر عنهما .

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعا تتفق مع هذا الميل وكذلك ألوان الأزهار التى يَألَفُها ؛ والمناظر التى يفضلها .

وهو مصورٌ حِسيٌّ فى بعض الأحيان . كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها ، أو الخواطر النفسية ؛ ومنها ما يجول فى نفسه هو ؛ فتعجب لهذا « الوعى الفنى » الذى يستطيع معه تصوير خَلجَات نفسِه تصويرَ « المنتبه » لها فى حركتها الداخلية المستمرة كما فى « خبيئة نفسى ، والنفس الضائعة ، والغد المجهول ، وغريب » وسواها .

وكذلك تجد رُوحَ القصص واضحةً ومتفشيةً فى كثير من المواضع ، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة ، أو حوار كما فى « التجارب » و « فى الصحراء » أو يجعل بعض القصيدة قَصَصاً ، لتصويرِ موقِف من المواقف .

موسيقية الديوان :

منذ عهد قريب جداً ، كشفتُ عن ظاهرةٍ تستحق التسجيلَ ، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقا ؛ يتفشى فى هذا الديوان كله ؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته .

ويجب قبلَ الحديث فى هذا ، أن أذكر أن موسيقا القصيدة ؛ غير وزنها . فالوزنُ يتحققُ بأيِّ الألفاظِ ؛ ولكن المُوسيقا ؛ كما تعتمد على الوزن ؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة .

هذه هى الموسيقا السمعية ، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقى وهى الموسيقا الفكرية ؛ ثم الموسيقا الرُّوحية .

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ ، والثانية بتسلسل الفكرةِ وتلاؤمِ أجزائها ، والثالثة بالجو العام الذى يحس به القارىء للقصيدة . ومَامِنْ شَكٍّ فى أن جواً نفسيا خاصاً يَحفُ بالقارىء دون أن يحددَ أسبابَه .

وهذه الموسيقا الرُّوحية هى التى أعنى أنها واحدة فى الديوان ، وهى من لَونٍ واحد . لون الموسيقا الصعيدية ! موسيقا أولئك « الصعايدة » الغُرباء ؛ وهم يرتِّلُونها فى نَغَمٍ رتيب ، فيه شَجْوٌ[17] وفيه ألم ، وفيه حنين . ولكن فيه كذَلك رجولة

(١٧) شجو : حزن .

وخشونة وروعة .

وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهلٌ . ونظرية « العقل الباطن » تفسره فقد انْدَسَّتْ(١٨) هذه الألحانُ فى نفس الشاعر وهو طفلُ فى « موشا » وهى قرية من قرى أسيوط وهو يقول عن هذا الريف :

إنى فَقَدتُكَ فى الطفولةِ غافلاً   عمَّا حَويتَ مِن الوجودِ السَّامِى
لكن وَجَدتُك إذ كَبرتَ بِخاطِرِى   رَمزاً أُحِيطَ بِغَمْرةِ الإبْهامِ

التعبير :

تبدو فى هذا الديوان ؛ صورة واضحة للتعبير الدقيق المُصوِّر للأفكار ؛ وأضْرِب مثلا لذلك بقصيدة « فى الصحراء » فهناك نَخْلَةٌ مَلَّتْ الحياةَ التى لاتعرِفُ سِرَّها « يرمز بها إلى الأحياء جميعا » فهذه النخلة تقول لأختها :

مُنذُ مَا أُطْلِعْتُ فى هذا الخَرابِ   وأنا أسْأَلُ : ما شَأْنِى هُنا ؟

ولو قال « منذ مَا طَلَعتُ » لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التى أُرْغِمَتْ على الحياة « فَأُطْلِعَتْ » دون إرادتِها ؛ ولم « تَطْلُعْ » هى بمشيئتها . ومثل هذه الدِّقة كثير فى الديوان إلا أن هذا لا ينفى أن هناك ضعفاً فى بعضِ التراكيب ؛ وخطَأً فى بعضِ الألفاظِ وإن تكن معدودة .

والذى يستحقُّ التنبيه أن هناك جُرْأَةً فى الاشتقاق ، قد تُؤدى إلى الفوضى ، وقد يستغلُّها العاجزُون فى اللغة استغلالا ... !

خاتمة :

وبعدُ : فهناك مَباحثُ طويلةٌ عن بقية فصولِ الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصلُ « الغزل » وفصلُ « الوطنيات » أتركها للقراء .

ثم أنبه إلى أن هذا الديوان ، قصائد مختارة من مجموعة شعر الشاعر معظمها من إنتاجه فى عام ١٩٣٤ ، أما بقية القصائد فقد حال تضخُّمُ هذا الجزء ، دون نشرِها وستُنْشر فى مجموعات أخرى .

---

(١٨) اندست : دخلت فى خفاء واستتار ، أو دخلت بقهر وقوة .

التمـــرد

إنّ نفسي ليس ترضَى : أيُّ نفس

تقبل العيــش كسُــكّانِ القبــورْ ؟

سيد قطب

عُزْلَةٌ فى ثَوْرَة !!![1]

حَدِّثِينِى أنْتِ يا نَفْسِى فما أفهمُ العَالَــمَ أو يَفْهَمُنِــى
إننــى أنكَرْتُــه اليــومَ كما أنــه بالأمسِ قَدْ أنْكَرَنِــي
لم أجدْ فى الكون إلا ألَما إنّما الوَحْدَةُ أصلُ الشَّجَنِ

* * *

وَحْدَةُ الأرواحِ أنْكَى[2] الوَحَدَاتِ وَحـدةُ الأجسامِ تُنْسَى وتَهـوُنْ
أى بؤسى تستـحثُ الذكريـاتِ كانفرادِ الرُّوحِ فى وادِى الشُّجُونْ
إنَّ رُوحى قد تَنـاسَتْ « خُذْ وهَـاتِ » وانزوتْ فى عالمٍ[3] جَمِّ السُّكُـونْ

* * *

لم أجدْ قلباً إذا ارتعتُ[4] خَفَق خفقـةَ الــحُبِّ بوحْــىٌ صادِقِ
وإذا شَذَّ فؤادٌ فَصَدَق أتبعَ الـحُبَّ بِغَدْرٍ مَاحِــقِ[5]
وفـؤادِى يَتنـزى[6] فى حَرِقٍ[7] وَاجِفاً[8] مِنْ كُلِّ حَدسٍ طارِقِ

* * *

وحبيبٌ قَدْ سَمَتْ رُوحِى إليه وعبدتُ الطُّهْرَ فيـه والجَمَـالْ
ووقفتُ النفسَ والفكـرَ عليـه والأمانــيَّ وأطيــافَ الخيــالْ
ورأى مِنــى أسيراً في يَدَيـه فتولَّى لاهِيـاً عنــى ومَــالْ

* * *

---

(١) نشرت فى مارس ١٩٢٩ .
(٢) أنكى : أشد جرحا أو ألماً .
(٣) جم السكون : شديد السكون : سكون تام .
(٤) ارتعت : فزعت .
(٥) ماحق : هالك .
(٦) يتنزى : يتوثب .
(٧) حرق : نار .
(٨) واجفا : مضطربا .

لم أجدْ في الكونِ ما أنْشُدُه مَثَلا أعْلَى فأرْوِي ظَمَئي
وإذا صوّرتُ ما أقْصدُه بُهِتَ النّاسُ لهذا النّبأِ
وتولّى بعضُهم ينْقُدُه جاهداً والبعضُ يَروِي خَطَئِي

* * *

وتقاليدٌ وأسْرَى يَنْبذُون هذه الأصنامَ مُغْلُولي الفِكَرْ
وإذا ثُرتُ عليها يَسْخَطُون ويقولون تمادَى وكَفَرْ !
وَيْحَهم ماذا تُراهم يبْتغُونَ ؟ أترى نحيا شُخُوصاً مِنْ حَجَرْ ؟!

* * *

إنْ ذكرتُ الحُبَّ قُدْسياً نَقِياً حسِبُوه من خيالِ الشُّعَراءْ
إننى أُدْرِكُهُ رُوحاً خَفِياً يَهْبطُ الأرضَ ومَأواه السَّمَاءْ
وهم يَبْغُونَه إثماً فَرِياً يُرْتَدَى في أثْوابِ البغاءْ !

* * *

يَسْتبِي الحُسْنُ فُؤادِي فأميلُ مُبْدياً كُلَّ الذي بِي مِنْ شَغَفْ
مُوفيا بالعهدِ عنه لا أحولُ ظَاهِرَ العِفَّةِ مَوفُورَ الشَّرَفْ
ماالذى يَبْغِيه مِنْ عَذْلِي جَهولٌ وأنا أنْقَى فؤاداً وأعَفْ

* * *

أترى أحيا بِرُوحٍ لا تَحِسُّ وفؤادٍ ليس يَدْرِي مَا الشُّعورْ ؟
أكتمُ الأنفاسَ إن جَالتْ بِحسٍّ ثُمَّ أبقَى صخرةً بين الصُّخُورْ ؟
إنَّ نفسِي ليس تَرضَى : أيُّ نفسٍ تقبلُ العيشَ كسُكّانِ القُبُورْ ؟

* * *

حدثينى أنتِ يا نفسُ إذَن واتركِي العَالَمَ في الكَوْنِ يَمُوجْ
واعشَقِي كُلَّ جمالٍ يُفْتَتَنْ واضحَ الطَّلعةِ بَسَّامٍ بَهيجْ
وخُذِى مَا شِئتِه من كلِّ فَنٍّ ودَعِي مَنْ هَاجَ في الأرض يَهيج !

* * *

حَلِّقِي يا نفسُ في كلِّ فَضَاءِ واهبِطِي بينَ الأقاحِي والزُّهُورْ

واسمَعِي ماشئتِ مِنْ عَذْبِ الغِناء حينما تَهْتِفُ باللّحْن الطّيورْ
إنما الكونُ ومَنْ فيه هَبَاء بعدمَا يَرْضَىٰ عن النفسِ الضّميرْ

* * *

حَدِّثي يانفسُ إني لَسميعٌ إنْ لَهاَ(٩) الناسُ ولم يَسْتَمِعُوا
وَصِفِى إحساسَكِ السّامِى البديعَ ودَعِيهم حيثُ هُمْ قَدْ وَدَّعُوا
وإذا الألفاظُ أعيتْ ، فالدموعُ فإذا جَفّتْ ، فخفْقٌ يُسْمَعُ

* * *

أقفرَ العَالمُ من كلِّ سَميرٍ يُبْعِدُ الوَحْشَةَ عَنِّى غيرَ نَفْسِى
فَلْيُفْضِ ما جَاشَ فيها من شعورٍ ولتكنْ إلْفِى ومَنْ أرجُو لِأُنْسِي
وَحْدَةٌ فيها هُدوءٌ وسرور ومناجاةٌ ، فيا نَفْسِي تَأَسّي

(٩) لها : من اللهو .

آضْطِرَابٌ حَائِق ![1]

أحيـــــــاةٌ أمْ نارُ الجحيم بِلظَاهَا الهائــج المُسْتعِــرْ ؟[2]
لا . ففى نفسِى من الشَّجْو الأليمِ من حَياتى فَوقَ مَافى سَقَرْ !

* * *

آه . لا شَكْوىٰ ولا بَثٌّ شَجَنْ لاأريدُ الضعفَ . كلا . لاأريــدْ
سوفَ لا يظهرُ منى مَاكَمُنْ[3] فليشدَّ الخَطْبُ إنى لَشديدْ

* * *

ولمن أشكُو إذا شئتُ الشَّكَاه ؟ ولمن أسطيعُ إيضاحَ شُعورِى ؟
أينَ مَن ينظرُ مِنّي مَاأراه في شعورِي ، غيرَ نَفسِى وضَميرِى؟!

* * *

أُغرُبي عَني بعيداً يا حَيَاتي قد كَرِهتُ العيشَ فى جَوٍّ قَذِرْ !
أُغـرُبى محفوفــةً باللعنـــاتِ آبعُدي عن سَاخِطٍ جهِمٍ[4] ضَجِرْ ![5]

* * *

لافِــراراً من جهـــادٍ كالجَبَـــانِ لا . فمـــا كنتُ جَبَانـــاً أحْـذَرْ !
إنما أنْتِ سبيــــلٌ للهـــوانِ لستُ أرْضَاه ونَـــفْسِى تَشْعُـــرْ

* * *

أأنَاسِيٌّ أرى أم حَشَرَاتٍ شَوَّهَتْ من طَلْعَةِ الكونِ الجميــلْ ؟
يُشْبِهـونَ النــاسَ فى تلك السِّمــاتِ بينما أنْفُسُهـــم رِجْسٌ يَسِيـــلْ !

* * *

---

(١) نشرت فى ابريل ١٩٢٩ . (٢) المستعر : المتوقد ، المشتعل . (٣) كَمُنَ : اختفى .
(٤) جهم : عابس الوجه . (٥) ضجر : ضاق وتبرم .

حَقَــروا الكونَ وأغـراضَ الحيـاةِ   حَسبُوهــــــــــا دَنَساً فى دَنَسْ
وصَغَـــــاراً ليس يَرْضَاه إلـــــه   وَهَبَ الأرواحَ نُورَ القَـــــــبَسْ[٦] !

* * *

إنَّهــم لَم يَعرِفُــوا معنــى الجمــالِ   إنَّهــم قد جَهِلُــوا سِرَّ الوجُـــودْ
وإذا طَالَعَهــم طيـــفُ الكمـــال   لائحــاً يَهفُــو ، تَولَّــوا فى جُمُــودْ

* * *

فَهِمُــوا العــيشَ طَعامــاً وشَرَابـــاً   ورَواحـــاً حيثُ شاءوا وغُـــدُوَّا
أنــفسٌ كالكهــفِ مازالت خَرَابـــاً   من شعــورٍ يُلْهِــمُ النــفسَ السُّمــوَّا

* * *

فإذا حدثتَ عن طُهْـــرٍ بديـــعِ   وشعــورٍ يَغْمُـــرُ النــــفسَ بَرَاءْ[٧]
أدْرَكُــوه سَافِــلَ الشأنِ وَضِيـــعِ   وهــو أسمىٰ مااستطَاعتْــه السَّمــاءْ !

* * *

حَقَـرُوا العِفَّــةَ والــحِسَّ البَــراءَ   حَقَـرُوا الـرُّوحَ وهَامُــوا بالجُسُــومْ
حَقَـرُوا الإخــلاصَ مَحْضاً والوفَــاءَ   ورَأَوْا في النــفسِ مَحْيَاهــا الذَّميــمْ

* * *

أيِــذَا مَا أخــلصَ الــوُدَّ فُؤَادٌ   لفـــؤادٍ مُخْــــلِصٍ ، فَائتَلَفَــــا
لم يكـــــــــنْ ذلك إلا لِفَسادِ   يَثْلِمُ[٨] العِـرْضَ ويُــؤذِى الشَّرَفَــا ؟

* * *

لا . فمـــا أقْفَــرَ هاتــيكَ النفــوسَ   لا . فمـــا أجْمَــدَ ذيــاك الشُّعُــورْ
إنَّ وَجْــه الكــونِ مُغْبَــرٌّ عَبُـــوس   بِهِمُــو . فَلْيَغْرُبُــوا عنــه يُنِيــرْ !

---

(٦) القبس : النار أو شعلة منها .
(٧) براء : خالص (بعيد عن الشبهات) .
(٨) يثلم : يصيب .

زَفراتٌ جَامِحةٌ مَكْبوحَة(١)

اذهبْ وخَلِّفْنِى هُنــا متألِّمــا   لا تَلْقَنِى سَمْحــاً ولا مُتَجَهِّمـا !
اذهبْ وخلِّفنى تذوبُ حُشاشَتِى   ويَبُضُّ(٢) قلبى من قرارتِه دَما
اذهبْ فلن أشكُو إليك عَواطِفى   يومــاً ولن ألقاكَ إلا أبْكَما
أرخصتَ حُبِّى إذْ بَثَثْتُكَ بعضَه   فَلْيَبْقَ مَكْبوحاً إذَنْ فَتَكَتَّمَا
إن كانَ بَثُّ الحبِّ عندك مَأْثَما   فكذاك عِنْدى سَوف يغدُو مَأْثَما

* * *

اذهبْ وفى نفسِى لِبُعدِكَ حَسْرةٌ   والعيشُ بَعْدَك صَار صُلْباً عَلْقَما
سَأنامُ مهموماً وأصْحُو حائِراً   وأهيمُ فى وَادِى الأسَىٰ مُتألِّمَا
ويُخيِّم البؤسُ المُمِضُّ(٣) فلا أرى   إلا شَقَاءً فى الحياة مُخَيِّمَا
لكن سأكتمُ ماتُكِنُّ جَوانِحى   وأعيشُ مَكْبوحَ الجَوىٰ(٤) مُسْتَسْلِمَا

* * *

واويلتاه لقد أهنْتُ عَواطِفى   وحسبتُها عبثاً يُمَجُّ(٥) مُذَمَّمَا
وأراكَ تأبَىٰ أن أكونَ مُتابعاً   لك فى الغُدُوِّ وفى الرَّواحِ مُيمِّمَا
لك مَاتَشَاء ، فما أطيقُ تَبَذُّلاً   منى ولستُ أطيقُ منك تَبَرُّمَا
لك ماتَشَاءُ ، فلن أرى متنائِيا   عنى فأرجُو عَطْفَه مُسْتَرْحِمَا
وإذا شَكَوتُ فللسماءِ سَأشْتكِى   ألَمِى وأبْدُو صَابِراً مُتَبَسِّمَا .

* * *

(١) نشرت فى مايو ١٩٢٩ .
(٢) يبض : رَشَحَ كالعرق من إجهاد الدقّ .
(٣) الممض : المؤلم من مَضّ يَمَضّ : ألِمَ من وجع المصيبة .
(٤) الجوى : حُرقة الشوق .
(٥) يُمَجُّ : يُلْفَظُ من مَجَّ ، ويقال : كلام تَمُجُّه الأسماع .

سأعـيشُ عَيشَ الزَّاهِدِيـــن وكانَ لِى أمـلٌ حَطَـمْتُ قِوامَـه فتَحطَّمَـا

أملِـى الـذى قَدْ كانَ لِى هو أن يعيـ ـشَ الحبُّ فينَـا طَاهِــراً ومُكَرَّمَـا

أمَّـا وقَـد أرْخَصتَـهُ وأهنتَـهُ ورَأيتَـهُ إثماً لديكَ مُحَرَّمَـا

فليـذهَبْ الأمَلُ الـذى أمَّلْتُـه حِينـا وعِشْتُ بظلِّـه مُتَنَعِّمَـا

سأصُون عهـدَ الحبِّ عَفًّـا طَاهِـراً حتـى أمـوتَ بِه شهيـداً مُغْرَمَـا

عاشِقُ المُحَال[1]

ضِقْتَ بالقيـــدِ فانْطَلِـــقْ   أيُّهـــا الآبِقُ[2] الشَّرودْ[3]
قد تحررتَ فاستَبِـــقْ   للصِّرَاعـــاتِ مِنْ جَدِيـــدْ

* * *

انْطَلِـــقْ تَصْعَـــدُ الرُّبَـــاه   ثم تَهْـــوى إلى السُّفُـــوحْ
شَارِداً تَقْطَـــعُ الحيَـــاهْ   فى التَّعِـــلَّاتِ[4] والطُّمُـــوحْ

* * *

انْطَلِـــقْ تَفجَـــأُ الخَطَـــرْ   كالـــذى يَفْجَـــأُ الرَّجَـــاءْ
لُعْبَـــةٌ فى يَدِ القَـــدَرْ   تَزْرَعُ الأرضَ والسَّمَـــاءْ

* * *

جَمْـــرَةٌ أنْتَ تَتَّقِـــدْ   خَلْـــفَ سِتْـــرٍ مِنَ الرَّمَـــادْ
وهـــىَ تَذْكُـــو بِلا مَدَدْ   ثم تَغْـــدُو إلى نَفَـــادْ

* * *

أنْتَ مِنْ طَيْـــفِ القَلَـــقْ   صَاغَكَ اللهُ والجُمُـــوحْ
تَعْشَقُ الأيْنَ[5] والحَـــرَقْ   والعَقَابِيـــلَ[6] والجُـــرُوحْ

* * *

---

(١) نشرت فى مايو ١٩٤٢ .   (٢) الآبق : الهارب .
(٣) الشَّرود : المطارد الذى لا مأوى له .
(٤) التعلات : جمع مفرده التَّعِلَّة : ما يُتعلَّل أو ما يُتلهى به .
(٥) الأيْنَ : التعب والإعياء .
(٦) العقَابيل : جمع مفرده العُقْبُول : الشديد من الأمور أو الدواهى .

أنتَ ترنُــــــو إلى المُحَـــــــالْ عَاشِقــــاً بُعْـــدَه السَّحِيـــــقْ
فإذا شَارَفَ المَنَــــــــــالْ خِلْتَـــه مِنْ لَقَـــى[7] الطَّرِيـــقْ

* * *

ضِقْتَ بالقيـــــــــــدِ مِنْ ذَهَبْ ضِقْتَ بالأمْنِ والقَـــــــــــرَارْ
فَانْطَلِـــــــــــقْ ثم لا تَثِبْ عِشْتَ للخَـــوفِ والعِثَـــــارْ[8]

(٧) من لَقى الطريق : ما طُرِح وتُرِك لهوانه على الطَّريق .
(٨) العِثار : السقوط .

حُلْمٌ قَدِيم(١)

طَافَ بِی مُسْتَطِلعاً حُلْمِی القَدِيمْ
فَتَطَلَّعْتُ إليهِ فی وُجُومْ
قلتُ : مَنْ أنْتَ ؟ فأغْضَی خجلاَ
قال لی : حُلْمُكَ فی العَهْدِ الوَسِيمْ !(٢)
قلت ! يَاحُلْمُ . متی عَهدیَ ذَاكْ ؟
منذُ كَمْ ياحُلْمُ قَدْ طافَتْ رُؤاكْ
قال : لَم يَبْعُدْ بأطيافِی المَدَی
قلتُ : ماأبْعَدَ مامَرَّتْ خُطَاكْ
شَدَّ يا حُلْمِیَ ماقَدْ حَالَ حِسِّی ؟
شَدَّ يا حُلْمِیَ ماأنْكَرتُ نَفْسِی !
أتُرى ذاك الذِي تَعْرِفُه ؟
قال : ماتُبْصِرُ عَيْنِی غيرَ رَمْسٍ(٣) !
ومَضَی عَنِّی فی يأسٍ عَقِيمْ
سَادِرَ(٤) الخَطْوةِ فِی الأرضِ يَهيمْ(٥)
قلت : يَا حُلْمِیَ تمضِی مُفْرَداً
ليسَ فی الرَّمْسِ سِوَی قَلْبٍ رَمِيمْ(٦) !

---

(١) نشرت فی أكتوبر ١٩٤٥ .
(٢) الوسيم : الحسن الجميل .
(٣) رمس : القبر مستوياً مع وجه الأرض .
(٤) سادر : غير مبال ولا عابیء .
(٥) يهيم : خرج علی وجهه فی الأرض لا يدری أين يتوجه .
(٦) الرميم : البالی (فانٍ) .

بعد الأوان[1]

الآنَ والأيامُ مُدْبِرَةٌ ، تُوَلْوِلُ بالنُّواحْ
والأفقُ مخضوبُ الأديمِ[2] ، وقد تأذَّنَ بالرَّواحْ
أقبلتِ ويحكِ تَبْسَمِينَ ، فأينَ كنتِ لدى الصَّباحْ ؟
وَجهُ الخريفِ يُطِلُّ فاستمِعِى لإعوالِ الرِّياحْ !

* * *

بَعْثرتِ أيامَ الشبابِ ، فويحَ أيامِ الشبابْ !
لا نستقِى إلاَّ عَلَى رَنَقٍ[3] وأنفسُنَا غِضَابْ
لم تَصْفُ كَأْسُ حياتِنا يوماً ولا لَذَّ الشرابْ
والآنَ تنطلِقينَ فى لَهَفٍ إلىَّ وفى ارتقابْ

* * *

عَينـاكِ وَالِهتَـانِ[4] لَاهِفتَـانِ[5] كلُّهمـا دُعَـاءْ
وحنينُ مَلْهوفٍ تَطلَّعَ فى قُنوتٍ[6] للسَّمـاءْ
ويحى فأينَ أنا وأينَ حنينُ أيامِى الظِّماءْ ؟!
صَمْتُ الخريفِ يَلُفُّنِى وعليه شَاراتُ المَسَاءْ !

* * *

ذَهَبَ الزمانُ هُناكَ ، فامضِى أنت عَنِّى
ماعَادَ يُوقِظُنى نِداؤكِ خِلْسَةً مِن بعد وَهْنِ

---

(١) نشرت فى ١٩٤٧ .
(٢) الأديم : بياض النهار .
(٣) رَنَق : كدر (الماء العكر) .
(٤) والهتان : متحيرتان من شدة الوجد أو الخوف .
(٥) لا هفتان : حزينتان مستغيثتان .
(٦) قنوت : خضوع وذلة .

ماتتْ مُنَايَ جَمِيعُها ، فعَلامَ يَخْدَعُنِي التَّمَنِّى ؟
فَرَقَ الزمانُ طريقَنا ، فامضِى وحَسْبُكِ ذَاك مِنِّى !

* * *

هَذِى خُطَاىَ على الطريقِ وتلك وَاجِفَةٌ(٧) خُطَاكْ
الريحِ تطْمِسُها فلا خَطْو ولا أثَرٌ هُنَاكْ
شَبَحَانِ قد عَبَرا فلم تَشعرْ بِهذا أو بذاكْ
تَتْلُوهُمـا الأشْبَـاحُ والأيـامُ مَاضيـةٌ دَرَاكِ(٨) !

(٧) واجفة : مضطربة .

(٨) دَرَاكِ : اسم فعل بمعنى أَدْرِكْ ، مغزى الأيام وما تحمله من عِبَر . أو من أَدْرَكَ الشيءَ : أى حققت الأيامُ — فى مُضيها — ماتريد من الإنسان .

الشكوى

لكنها نفسٌ سمتْ فتألّمتْ

والماءُ لا يصفُو الحياةَ لشاربِ

سيد قطب

سَعَادَةُ الشُّعَرَاء(١)

دَعْنِي ولا تَنْفُسْ(٢) عَلَيَّ مَوَاهِبي   خُذْهَا وخُذْ أَلمِي بها وَمَتَاعِبِي
دعْني فلستُ كما حَسِبْتَ مُنَعَّمًا   بمواهب مَلَكَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
أنتَ الخَلِيُّ فخلِّني وعَوَاطِفِي   آلمتَ وُجْدَانِي فَلَسْتَ بِصَاحِبِي
دَعْني أعيشُ كما يَشاء لِيَ الأَسَى   لا كنتَ مِثْلِي . لادَهَتْكَ نَوائِبِي
إني شَقِيٌّ لو علمتَ دَخَائِلِي   فَدَعِ المظَاهِرَ لاتَرُعْكَ(٣) جَوانِبِي

* * *

الشِّعْرُ من نِعَمِ الحياةِ عَرَفْتُه   وعَرَفْتُ فيه البُؤسَ ضَرْبَةَ لازِبِ(٤)
الشعر ذوبُ حُشاشَةٍ(٥) مَسْفُوكَةٍ   أَلَمًا وَوَجْدًا في حنينٍ ذَاهِبِ
مَا ضَرَّ قوماً لا تُذَابُ قلوبُهم   شِعْراً وَدَمْعاً مثل قَلْبِي الذائبِ

* * *

الناسُ تَقْنَعُ بالحياةِ وتَرْتَضِي   مِنها مَحَاسِنَ شُوِّهَتْ بِمثَالِبِ
والشاعِرُون تَؤزُّهم(٦) أَدْرَانُها(٧)   يَبْغُونَها لم تمتزجْ بِشَوائِبِ
حِسٌّ أَرَقُّ من الأثيرِ(٨) يُهيجُه   ماقدْ تمرُّ عليه مَرَّ اللاعِبِ
وهي الحياةُ لِمَنْ يَرِقُّ شُعورُه   أَلم وأن يُكَثِّفَ(٩) فَلَذةَ رَاغِبِ

* * *

مَنْ لِي إذَا جَنَّ الظلامُ بَهْدأةٍ   كالهادِئينَ وَمَنْ يُطَمْئِنُ جَانِبِي

---

(١) نشرت في مايو ١٩٢٨ .
(٢) لا تنفس : لا تحسد .
(٣) لا ترعك : لا تثير إعجابك .
(٤) لا زب : ثابت : لاصق .
(٥) حشاشة : بقية الروح في الجسد .
(٦) تؤزهم : تهزهم .
(٧) أدرانها : أوساخها .
(٨) الأثير : المراد النسيم .
(٩) يُكَثِّفَ : من كثف يكثُف : يغلظ والمراد تقوى .

أنا في الطبيعةِ مُغرمٌ بمشاهدٍ   تُلْهِى فؤادِى عن أعزِّ رَغَائِبِى
الليلُ يُشْجِينى برائعِ صَحْوِهِ(١٠)   وكواكبٌ يَغْرُبْن إثْرَ كَواكبِ
والبدرُ يُوحِى لِى بِسرٍّ طوافِه   مُسْتَوْحِشاً لم يأتنسْ بِمُصَاحِبِ
والحُسْنُ يَدْعُونى إليه فأنثنِى   ويَصُدُّنِى عنه بِصَفْقةِ خَائبِ

* * *

البائِسُون إذا سَمِعْتُ أنينَهم   أحسستُ أن مصابَهم هوَ صَائِبِى
والبَاسِمُون إذَا شهدتُ ثُغورَهم   هَاجتْ حَنينى للصَّفاءِ الذَّاهبِ
والبعدُ يُؤذِينى ورُبَّ مفارقٍ   لَمْ يُؤْذِهِ يومًا تنائِي غائِبِ
وكَرَامةٍ لو مُسَّ منها جانبٌ   أصْغَرْتُ عيشِي عندَها ومَطالِبِى
بَلغَ الحِفاظُ بِها القداسةَ والتُّقَى   وحَذَارِ وَهمٍ خاطِىءٍ أو صَائِبِ

* * *

يَاليتَ لي نَفساً إذا ماسمْتُها(١١)   عَكَرَ الورودِ استرشدتْ بتجَاربِي
لكنَّها نفسٌ سَمَتْ فَتَألَّمتْ   والماءُ لا يصفُو الحياةَ لشاربِ
دَعْنِى أعيشُ مُعذَّباً متألِّماً   بمواهِبِى ياشِقْوتِى بِمواهِبِى

---

(١٠) صحوه : المراد صحوه وهدوئه .

(١١) سمتها : أذقتها .

سخريةُ الأقْدار[1]

أغلبُ الظنِّ ، وقد تدرى الظنونُ   أنّهـا ألعـابُ دَهْـرٍ سَاخـرِ
مَاهـرٍ يَهْـزَأُ بالمُسْتهزئيـنَ   يبعثُ النُّكْتَةَ عفوَ الخاطرِ ![2]

* * *

وسَواءٌ أضحكتْ سُمَّارَه   أم دَهَتْهـمْ بالرزَايا والمِحـن
فهـو يُلقِـى أبـداً أدوارَه   وهو لايُسأَل عن ماذَا ومَن ؟

* * *

يسمعُ الأنَّاتِ تشتقُّ[3] القلوبَ   صارخاتٍ كشجيَّاتٍ[4] النُّـواحِ
ليكادُ الصَّخْرُ مِنْ هَوْلٍ يَذُوبُ   وهـو يَلْقاهـا بِهُـزءٍ ومِـزَاجٍ !

---

(١) نشرت فى ١٩٢٩ .

(٢) عفو الخاطر : دون إعداد سابق أو بنت لحظة الكلام .

(٣) تشتقُّ : تشقُّ .   (٤) كشجيات : من شَجِنَ شَجَنًا : حَزِن .

الصديقُ المَفْقُود !(١)

ابحثُوا لي مااستطعتُم عن صديقْ فلقد أعياني البحثُ الكثيرْ !
مخلِصِ الطَّبْعِ له قلبٌ رَقيقْ خالصُ الإحساسِ فَيَّاضُ الشعورْ

* * *

إنَّ هذَا القلبَ يَهْفُو أبدَا
لصديقٍ أَصْطَفِيه مُفْرَدَا
وأُرِيدُ الودَّ رَطْباً كالنَّدىٰ
غيرَ أنَّ الكونَ ذُو طَبْعٍ صَفيقْ(٢) نَاضبَ الإحساسِ مَمْسُوخَ الضميرْ
يحقرُ الإخلاصَ فى القلبِ الشفيقْ ويَرىٰ الغدرَ بِإعجابٍ جديرْ

* * *

طالما هِمْتُ(٣) بحبِّ الأصدقاءِ
وتغنيتُ بألحانِ الوفـاء
ساميات كأناشيدِ السَّماءْ
سكرةٌ عَجْلىٰ ومنْ ثَمَّ أفيقْ فإذا بي أَلْمَسُ الغدرَ الحقيرْ
وإذا الإخلاصُ خَلَّابٌ(٤) بريقْ مِنْ سَرابٍ أو سَنَا بَرْقٍ قَصِيرْ

* * *

أيهذا الكونُ إنْ كنتَ تُجيبُ !
أيُّ عيش فِي حِمىٰ الغدرِ يَطيبُ؟
ثم ماذا تَبتغِـي تلكَ القلـوبْ

---

(١) نشرت فى يناير ١٩٣٠ .
(٢) صفيق : قبيح .
(٣) همت : تعلّقت .
(٤) خلّاب : يخدع ببريقه .

غيرَ إحساسٍ من العطفِ رقيقْ   يَغْمُـرُ الأَريـاحَ فَيَّـاحَ العَبِيــرْ
فإذَا العَيشُ رَجَــاءٌ ووُثــوقْ   وإذا الكَــونُ رِضاءٌ وَحُبــورْ

* * *

إنَّ هذا العطـفَ رَمْـزٌ للخُلــودِ
وغِـذَاءُ الـرُّوحِ فى هذا الوجُـودِ
كلُّ ما فِي الكـونِ لولاه زهيـــدْ
ورَحِيبُ العيشِ لولا العطفُ ضَيِّقْ   والنعيمُ العَزَبُ(٦) مَسْلُوبُ النعيمْ
وأرى الإنسانَ بالعطفِ خليـقْ   فى جحيمِ العيشِ والعيشُ جحيمْ

* * *

ابحثُوا لى بيـنَ أطيـافِ الرجــاءِ
عن صديقـى ذلك الطُّهْـرِ البَـراءِ
لن أملَّ البحثَ لو طَالَ العَناءْ
ليس هذا اليأسُ باليأسِ الحقيقْ   فهو لن يُخْبِي فى نفسِى السَّعيرْ
حِيرةٌ تائِهــةٌ ماإنْ تُفِيـــقْ   وهى الوحدةُ أو عَيشُ القُبورْ

* * *

يا صديقَ الغيبِ يا طيفَ الأمَـلْ
هَاهُنــا قلبٌ من الوحــدِة مَلْ
ينشدُ الإخـلاصَ فى قلبِ خَضَلْ(٧)
وهـو لاينـوِى عِتاباً لصديـقْ   حينما يُخْطِىءُ أخطَـاءَ الغَرِيـرْ(٨)
فبحسبِى قلبُه السمحُ الرقيـقْ   في فَيافِى العيشِ إلْفاً لِي سميرْ

---

(٥) فياح : منتشر .
(٦) العَزَبُ : البعيد الخفى ، من لا زوج له والمراد من لا مثيل له .
(٧) خَضَلٌ : من خَضَلَ يَخْضَلُ : نَدَىَ وابتلَّ : نَعُمَ ، والمراد قلب غض فيه حيوية وصفاء كصفاء الدُّرِّ .
(٨) الغرير : الساذج : الشخص بدون خبرة .

خراب ... ![1]

أَقْفرتْ شَيْئاً فَشيئاً كاليباب غيرَ آثارٍ من النَبْتِ الهَشِيمْ[2]
باقياتٍ رِيثَما يَسْفَى[3] التراب فإذا الكونُ خَلاءٌ فى وُجُومْ !

* * *

كان ينمُو هاهُنا نورٌ صغيرْ فوقَ نبتٍ لَيِّنِ العودِ هَزيلْ
فَذَوَى النورُ ، وما كانَ نَضيرْ ! إنما المُعْدَمُ يَرضَى بالقليلْ !

* * *

زهرةٌ فى إِثْر أُخرى تَحْتَضِرْ وهُو يرنُو ذاهلاً للزَّهَرَاتْ
مُلْقَياتٍ حولَه بينَ الحُفَرْ والرِّياحُ الهُوجُ تَلوِى مُعْوِلاتْ

* * *

وإذا الكونُ حوالَيْه خَرابْ مُوحِشُ الأرجاءِ مفقودُ القَطِينْ[4]
وهو يرنو فى وُجومٍ واكتئابْ يكتُمُ العَبْرَةَ فيه والأنينْ

* * *

ويُدوِّى حولَه صَمتُ الفَناءْ حيث تُمْحَى كلُّ آثارِ الوجُودْ
أينَ ؟ ـــ لا أينَ ! ـــ الأمانِى والرّجاءْ طَمَسَ اليأسُ عليها والكُنُودْ[5]

---

(١) نشرت ١٩٣٢ . (٢) الهشيم : اليابس من كلّ شيء .
(٣) يَسْفَى : من السَّافِ من الريح : ما حملته من التراب والغبار ، واحدته سافة .
(٤) قطِينُ الدار : أهلها .
(٥) الكنود : نكران النعمة من كَنَدَ النعمة : كفرها وجحدها .

خريفُ الحياةِ(۱)

بَكَرَ الخريفُ فلا ورودَ ولازهور ... ومَشَى الركودُ فلا نسيمَ ولا عَبيرْ
صَمَتَتْ صَوادحُها فما تشدُو الطيو ... رُ بها ، وماتشدُو الجداولُ بالخريرْ
وسَرَى القَفارُ بكلِّ مُخْصِبَةٍ فَما ... تجدُ الخصيبَ بها ؛ وما تجدُ النضيرْ
والسُّحبُ طافيةٌ تُغشّى كالسُّتورِ ... وتسيرُ وانيةَ الخُطا سيرَ الأسيرْ
فإذا الحياةُ يغضُّ(۲) رَونَقها(۳) الأسَى ... وإذا القلوبُ بها كَلِيمٌ(٤) أو كَسيرْ

* * *

والحبُّ ! ويحَ الحبِّ من هذا البكورِ ... غامتْ عليه سحابةُ اليأسِ المريرْ
وذوتْ بِجنتِهِ أفانينُ المُنَى ... وخَبا بهيكلِ حُسنِه القبسُ المنيرْ
وسَها عن التقديسِ والتسبيحِ فى ... محرابِهِ العُبَّادُ مَسْحُورو الدهورْ
ومَشَوا بساحتِه كما يمشى الخليُّ ... من الغرامِ فلا حنينَ ولاشُعورْ
هانتْ شَعائرُهُ ومَسَّ ستورَهُ ... فى جُرْأةٍ ، غيرُ المقدسِ والطَّهورْ

* * *

الأرضُ غيرُ الأرضِ فى دورانِها ... لتكادُ مِنْ فَرْطِ السَّآمةِ لا تدُورْ
والريحُ غيرُ الريحِ فى جَولانِها ... لتكادُ تكتمُ فى جَوانِحها(٥) الزفيرْ
والطيرُ غيرُ الطيرِ فى ألحانِها ... لتكادُ تَنْعَبُ بالخرابِ وبالثبورْ(٦)
والناسُ غيرُ الناسِ فى آمالِها ... ليكادُ يجثُو اليأسُ فى تلك الصدورْ
بَكَرَ الخريفُ فويلَه هذا البكورَ ... ودنَا المصيرُ فويلَه هذا المصيرْ !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) يَغضُّ : يقلل وينقص .

(٣) الرونق : الصفاء والحُسْن

(٤) كليم : مجروح من الكَلْم وهو الجُرْح .

(٥) الجوانح : مفردها الجانحة : ضلع من الصدر والمراد : داخل الصدر .

(٦) الثبور : الهلاك .

النفسُ الضائعة[1]

أأنا ؟ أم ذاك رمزٌ لغابرِ ؟ ... لَأنكَرْتُ من نفسِي أخصَّ شعائِري !
لَأنكَرْتُ إحساسِي وأنكرتُ مِنْزَعى[2] ... وأنكرتُ آمالى ، وشتَّى خَواطِرى
وأنكرتُ شِعْرِى وهو نفسِى بريئةٌ ... مُمحضةٌ من كلِّ خِلطٍ مُخامرِ
وتَفصِلُنى عما مضَى من مَشاعِرى ... عهودٌ وآبادٌ طِوالُ الدياجـرِ
وأحسبُها ذكرَى ؛ ولكنَّ بُعدَها ... يخيِّلُ لِى : أنْ لم تمرَّ بخاطِرى !

* * *

أُنقِّبُ[3] عن ماضىَّ بين سرائرِى ... فألمحُه كالوهمِ ؛ أو طيفِ عابرِ
أعيشُ بلا ماضٍ كأنِّى نَبتَةٌ ... على السطحِ تطفُو فى مهبِّ الأعاصرِ !
وما غايرُ الإنسانِ إلا جُذورُه ... فهل ثمَّ نَبْتٌ دونَ جِذْرٍ مُؤازرِ ؟
وقد يتعزَّى المرءُ عن فقدِ قابلٍ ... فكيفَ عزاءُ المرءِ عن فَقْدِ غابرِ ؟

* * *

أُنقِّبُ عن نفسِي التى قد فقدتُها ... بنفسِي التى أحيا بها غيرَ شاعرِ !
وأطلبُها فى الروضِ إذ كان هَمُّهَا ... تَأمُّلهُ يُفضِى بتلك الأزاهـرِ
وفى الليلِ إذ يغشَى ، وكانت إذا غَفا ... تيقُّظَ فيها كل غافٍ وسادِرِ
وفى الليلةِ القَمْراءِ إذْ تَهْمِسُ الرُّؤى ... وتُومِىءُ للأرواحِ إيماءَ ساحـرِ
وفى الفجرِ ، والأنداءُ يَقْطُرنَ والشذَى[4] ... يفوحُ ، ويُشْجِى[5] سَمْعَهُ لحنُ طائرِ
وفى الحبِّ إذ كانت شُواظاً وحُرْقَةً ... ومَهْبِطَ آمالٍ ومَطْمَحَ ثائـرِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) منزعى : المِنْزَعُ : النزوع إلى الغاية والنزوع : الحنين والشوق .
(٣) أُنقِّبُ : أبحث .
(٤) الشذى : الرائحة .
(٥) يشجى : يطرب أو يثير إحساساته .

وفى النَّكْبةِ النَّكْباءِ والغبطةِ التى تجودُ بها الأقدارُ جُودَ المُحاذِرِ .
ولكنَّنى أيئستُ أن ألتقى بها وتاهتْ بوادٍ غامرِ التيه غَائرِ
سأحيا إذَنْ كالطيفِ ليستْ تُحسُّه يدانِ ، ولا يَجْلُوه ضوءٌ لناظرِ

الغدُ المجهول[1]

ياليتَ شِعْرِى[2] ، مايُخبِّئه غَدِي ؟ ... إنى أروُحُ مع الظنونِ وأغْتدِى
وأُجيلُ بَاصرتِى[3] بها وبَصيرَتِى[4] ... أبغى الهُدى فيها ، ومأأنا مُهتَدِ
حتى إذا لاحَ اليقينُ خِلالَها ... أشفقتُ من وجهِ اليقينِ الأسْودِ
وأشحتُ عنه ، ولو أطقتُ دَعَوْته ... وطرحتُ عنى حَيْرَتِى وتَردُّدِى
فكأننـــى الملّاحُ تاه سفينــهُ ... ويخافُ من شطٍّ مريبٍ أجْرَدِ !

* * *

مَاذا سَيُولَدُ يومَ تُولَدُ ياغدِى ؟ ... إنِّى أُحسُّ بهولِ هذا المولِدِ !
سَيصرِّخُ الشكُّ الدفينُ بمُهْجَتِى ... فأَبِيتُ فاقدَ خيرَ ماملكتْ يدى
ستروغُ مِنْ حولى عواطفُ لم تزلْ ... تُضفى علىّ بعطفِهـا المُتـوددِ
ستَجِفُّ أزهارٌ يفـوحُ عبيرُهـا ... حَولى ؛ وينفحنى بها الأرجُ[5] النَّدِى
والمِشْعَلِ الهادِى سيخبُو ضوؤُه ... ويلفُّنى الليـلُ البهيـمُ بمفـردِى

* * *

ماذا تُخلِّفُ يومَ تذهبُ ياغَدِى ؟ ... لاشىءَ بَعـد الفقـدِ للمتفقـدِ
« سَتُخلِّفُ الأيامَ قاعاً صفصفاً[6] ... تذرُو الرياحُ بها غبارَ الفدفدِ[7] »
لَامُرتَجىً يُرْجَى ، ولا أسفٌ على ... ماضٍ يضيعُ كأنّه لَم يُوجَدِ
أبداً ولاذِكْرىٰ تُجَدِّدُ ماانطوىٰ ... حتى التألم لايعودُ بِمَشْهَدِى !
رَبّاه إنى قدْ سئِمتُ تَردُّدِى ... فالآنَ ، فَلْتقدُمْ بهولكِ ياغَدِى

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) ياليت شعرى : يتمنى أن يعلم .
(٣) الباصرة : قوة الإبصار .
(٤) البصيرة : قوة الإدراك والفطنة .
(٥) الأرج : أرِجَ الطِيبُ : فَاحَ .
(٦) صفصفا : المستوى من الأرض لانبات فيه
(٧) الفَدْفَدُ : الأرض الواسعة المستوية لا شىء بها .

غريبٌ .. ![1]

غريبٌ . أجل أنا فى غُرْبةٍ وإن حفَّ بى الصَّحْبُ والأقربُونْ
غريبٌ بنفسِى وماتنطوى عليه حَنايا فؤادِى الحنُونْ
غريبٌ وإنْ كَانَ لمَّا يزلْ ببعضِ القلوبِ لِقلبى حنينْ
ولكنّها داخلتْها الظنونُ وجَاورَ فيها الشُّكُوكَ اليقينْ
غريبٌ فَوَاحاجتى للمُعينِ وواهفَ نفسى للمُخلصينْ

* * *

أكادُ أُشارِفُ قفرَ الحياةِ فأُشْفِقُ من هولِهِ المرعبِ
هنالك حيثُ رُكامُ الفَناءِ يَلُوحُ كمقبرةِ الغيهبِ[2]
هنالك حيثُ يموتُ الرّجاءُ وتُثْوَى الأمانى كالمُتْعَبِ
فأرْجِعُ كالجازعِ المُستطارِ[3] أُرجّى أمانىَّ فى المَهْرَبِ
ولكنّه مُقْفِرٌ أو يكادُ فيا للغريبِ ، ولم يَغْرُبِ !

---

(١) نشرت ١٩٣٤ . (٢) الغَيْهَبُ : الظُّلْمَة .

(٣) المستطار : هائج مِنْ اسْتُطِيرَ : ذُعِرَ وأُفْزِعَ ، ويقال : اسْتُطِيرَ فؤاده .

مَرَّ يوم (١)

مَرَّ يومٌ منــــذُ مااستيقــــظتُ أمسِ   مَرّ يومْ !
نَبـــأٌ يَأْبـــاه وِجْــدَانى وحِسِّى   فهـــو وَهْـــم

* * *

مَرّ يومٌ ؟ قالتْ الساعــــــــــــهُ مَرّ   قولُ واثـــقْ !
أسأل الشمسَ : أحقًّـــا ؟ والقمـــرَ   فيوافـــقْ !

* * *

أهـــو يومٌ فى الــرُّؤى لافى الزّمـــانِ   والحقيقَـــهْ ؟
أمْ تُرى يومٌ طَواه العَقْرَبـــــــــانِ(٢)   فى دقيقـــهْ ؟

* * *

كيـــف مَرّ اليـــومُ ! ما هذا العـــجبُ   كيـــف مَرْ
تَكْـــذِبُ الأفـــلاكُ أمْ حِسِّى كَذَبَ ؟   أمْ سَحِـــرْ ؟

* * *

لم تكـــنْ فيـــه حيـــاةٌ أو أمـــلٌ   أو تَمَتُّـــعْ
وهـــو محْسُوبٌ علينـــا فى الأجـــلِ   فهو أضْيَـــعْ !

* * *

تُحسَبُ الأقـــدارُ بالْكـــــــم(٣) فلا   هى تُفَـــرِّقْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) عقربا الساعة حين تدير مفتاحها يطويان الدورة كلها فى لحظة واحدة ولا يكون معنى هذا مرور أربع وعشرين ساعة ! .

(٣) بالكم : أى بالكمية لا بالقيمة .

بيـــــــــــــــنَ يومٍ مَرٍّ[٤] أو يومٍ حَلاَ أو تُحقـــقْ !

* * *

ونُــــــــبـــؤدِيها كما نَبْغِـــــــــــى الحساب وهو عُمـــرْ !
فيـــه من خِصبٍ وفيــــه من يَبــــاب[٥] وهـــــى تَذْرُو

(٤) مَرٌّ : من المرارة ضد حلا من الحلاوة .

(٥) يباب : خراب .

إلى الثلاثين[1]

إلى الثّلاثِين نَصّى[2] الرِّكابَ[3] حَثِيثةً[4] يالَيالِ
مَضى من العُمرِ أغلى اللُّبَابِ فلستُ آسٍ لِغالِ
مَضى من العُمرِ مايُستَطابُ مِنَ بَهجةٍ أو جَمالِ
مَضى كما جاء عَهدُ الشّبابِ عهدُ المُنَى والخيالِ
وضَاعَ فى غَمرةٍ واضْطرابِ ومَرَّ دُونَ احتفالِ

فأسْرعى يالَيالِ

عَلامَ مِنْ بَعْدِه تُمْهلينْ؟ وأىّ غيبٍ تُهابْ ؟
وما احتفالٌ بمرِّ السِّنين ؟ من بعدِ مَرِّ الشّبابْ ؟
وما الذى ياليالِ يكونُ بعد اكْتِهالِ الرِّغابْ
يكونُ — وَاحَسْرَتاه — السكونُ عَلى ضفافِ اليَبابْ[5] ؟
يكونُ — كالقيد — عَقلٌ رزينٌ ! يعطُو[6] لشطِّ الصّوابْ!

فيالسُوءِ المآبْ (٧)

فذلك العقلُ رمزُ القيودِ ونحنُ شَرُّ العُنَاه[8]
يَزُودُنا عن مراقِى الخُلُودِ وخيرِ ما فى الحَياه
والطّيشُ رمزُ الشّبابِ المُرِيدِ يَسمُو بِنا عَن مداه
فنحنُ نَرْنُو لهذا الوجودِ بِفِتْنَةٍ وانْتِبَاه

---

(١) نشرت فى مارس ١٩٣٧ .
(٢) نصّى : اظهرى من نَصَّ ينصُّ : رفع وأظهر ، عيّن وحدّد .
(٣) الرِّكاب : السّرْج : ماتوضع فيه الرِّجل ، والمراد : الاستعداد والتهيئة من (نصّى الركاب) .
(٤) حثيثة : من الحثيث : السريع الجاد فى عمله . (٥) اليباب : الخراب .
(٦) يَعطو : يبطىء . (٧) المآب : المصير
(٨) العُنَاه : مفردها عانٍ : الخاضع الذليل .

فلا نُبالى بِصَرْفِ(٩) الجُدودِ(١٠) ولا نَخـــافُ الغَـــداه
فكلُّ يومٍ حَياه
يُضَاعَفُ اليومَ مِنّى الـمُصَاب إنْ لَم أعِشْ بالخيـــالِ
قَضَيتُ ـــ واحسرتاه ـــ الشبابَ كالكهـــلِ فى كلِّ حَالِ
يَجِيشُ بالنـفس سَيْـلُ الرِّغَابِ فلا يُمْسِى اعتـــدالْ
وَوُجْهَتى فى الحيـاةِ الصَّوَابُ ونظـــرتى للمـــآلْ ! (١١)
عصيتُ أمْرَ الحيـاةِ المُجَابُ فكـــان رُشْدى ضَلالى !
فأسْرِعى ياليال

(٩) بَصَرْفِ : من صَرْف الدهر : نوائبه وحِدْثانه .
(١٠) الجدود : الحظوظ والمراد : فلا نبالى بالأحداث التى يخطها الحظ لنا .
(١١) المآل : المصير والنهاية .

خطا الزمن الوثّاب[1]

خُطَا الزَّمنِ الوثَّابِ . بعضَ التَّوثُّبِ إلى أينَ ؟ قد أوْغَلْت فى غيرِ مَذْهبِ
تُمُرِّينَ كالأوهامِ لا أستَبِينُها وتَمضِينَ عَنِّى مَوْكِباً إثرَ مَوْكِبِ
وإنى لكالمخمُور قد غابَ وَعْيُه وكالشَّبح الهَيْمانِ[2] فى غيرِ مَطْلَبِ
تشَابهتْ الأبعادُ عِنْدِى فما أرَىٰ أمامِى فَرقاً بينَ نَاءٍ ومُكْثِبِ
ويَارُبَّما نَسِى أمُوراً قَرِيبَةً وأوغَلَ فى الماضِى البعيد المُنَكِّبِ

* * *

خُطَا الزَّمنِ الوثَّابِ . بعضَ التوثُّبِ طَويت حَياتى بينَ صُبحٍ ومَغْرِبِ
قِفى لحظةً ؛ أنظُرْ إلى الأملِ الذى ضَممْتِ ثَناياه على كلِّ مُعْجِبِ
وأسْتَرْجِعُ المَاضِى رُويداً وَهِينَةً[6] أُداعبُ فيه الطفلَ أو أُضْحِكُ الصَّبِى
وأسْمَعُ أوهامَ الفتىٰ وخَيالَه كما يَسْمَعُ المُشتاقُ ألحانَ مُطرِبِ
قِفى لحظةً ؛ أنظُرْ إلى الأملِ الذى أبَحْتُ له مِن مُهْجتِي كلَّ مَشْرَبِ
وغَذَّيتُه نَفسِى ، وقَدْ بِعْتُ دُونَه حَواضِرَ أيامِى ومَاضِى المُجَرَّبِ
قِفى . أنتِ قد جَفَّلتِ[7] مَاضِىَّ فانزوى ونَفَّرتِ آمالى وعَمَّيْتِ مَأْرَبِى[8]

* * *

تَمرِّينَ يا أيامُ قَفْراءَ ؟ أمْ أنا خَويتُ[9] من الإحساس ؟ قُولى وأطنِبي
وأحْسَبُ أنْ لَن تُعرِبِى[11] بِمقالةٍ إذا كان سَمْعى لايصيخُ لمُعْربِ !

---

(١) نشرت فى اكتوبر ١٩٣٧ .
(٢) الهَيمان : من هَامَ يَهِيمُ : خرج على وجهه فى الأرض لا يدرى أين يتوجه .
(٣) ناء : بعيد .
(٤) مكثب : قريب .
(٥) المنكّب : من نَكَّبَ عنه : عَدَلَ وتنحّى .
(٦) هينَة : يقال : امش على هِينتك : على رسلك : على مهل وتُؤدة .
(٧) جَفَّلتِ : طردتِ .
(٨) مَأربى : حاجتى الشديدة .
(٩) خَويتُ : من خَوَىٰ المكان : خلا مما كان فيه .
(١٠) أطنبى : أطيلى (تكلمى تفصيلا) .
(١١) تعربى : توضحى وتبينى .

نهايةُ المَطَاف[١]

تَنْشُدُ السُّلْوَانَ[٢] من حُبٍّ عَقِيمٍ — وتـرومُ البُـرْءَ من دَاءٍ قديـمْ
هاهُو السُّلوانُ فانْظُـرْ : أتَـرى — شَارَةَ الموتِ على تلكَ الرُّسُومْ ؟
شَاه[٣] فى خاطرِك الكونُ وماتْ — وتَخلَّتْ عنك أحْلَى الذِّكْرَياتْ
وبَـدَا العُمْـرُ حَزِيناً عَاطِـــلا — كامِدَ السَّحْنَةِ[٤] مَجفُوَّ[٥] السِّمَاتْ
قَدْ مَضَى الحُلْمُ ، فَحقِّق فى العَيانْ — هل تَرى إلَّا خواءً [٦] فى الزَّمانْ ؟
وتهاويـلُ الـرُّؤى ... ياوَيْحهـــا ! — غالها[٧] الصَّحْوُ فماتتْ مُنْذُ كَانْ !
نَمْ قَرِيرَ العينِ إنْ كنتَ تَنامْ — لَفَّكَ الصمتُ وغَشَّاكَ الظَّلامْ
يَأْمَنُ الدُّنيـا ويَخْلـو لِلكَـرى — مُعْدَمُ الكفينِ مَفْقُودَ الحُطَامْ[٨] !
قَدْ خَلا الهيكلُ من وَحْيِ الصَّنَمْ — وغَدا معبودُكَ الأَسْنَى[٩] حُطَمْ[١٠]
أتُطيـقُ الآن تَحيـا مُلْحِـــدَا — أم تُرى تَخلُو لشيطانِ النَّدَمْ
ضِقْتُ بالخوفِ ودُنيا الاضطرابْ — أتَرى الأَمْنَ هُنا بين اليَبَابْ ؟
أيها المنكوبُ فى أحْلى المُنَى — الحياةُ الحبُّ والحُبُّ العَذابْ !
ضِقْتَ بالقيدِ ! فهاأنتَ طَلِيقْ ! — مايُبَاليكَ إذن حَادِى الرَّقِيقْ !
فَهُو يُخْلِي[١١] فى الفيافِي[١٢] كُلَّ مَنْ — لايُساوِى ثَمَنَ القيدِ الوَثِيقْ !

---

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٤٥ .
(٢) السُّلْوان : من سَلَا يَسْلُو : نسيه وطابت نفسه بعد فِراقه .
(٣) شاه : قَبُحَ .
(٤) السَّحْنَة : الهيئة
(٥) مَجفُو : من جفا يجفو : غَلُظَ والمراد : حزين الهيئة غليظ السمة والطبع .
(٦) خواء : من خَوَىٰ يخْوِى : خلا مما كان فيه . والمراد : الفراغ .
(٧) غالها : أهلكها .
(٨) الحطام : متاع الدنيا .
(٩) الأسنى : الأعلى .
(١٠) حُطم : مُحطَّم .
(١١) يخلى : يترك .
(١٢) الفيافى : الصحراوات .

عُمْرُك الفَارِغُ كالثِّقْلِ زَهيدْ ليس فيه مِنْ طَرِيفٍ(١٣) أو تَليدْ
وهــى الأيامُ تَقْضِى مِثْلَمــا تَنْقَضِى أيـامُ مَأجُورٍ شَرِيـدْ
أينَ أحْلامُكَ بالعُشِّ الجميلْ ؟ أينَ آمَالُك فى الظِّلِّ الظَّليلْ ؟
قَدْ مَضَى الحُلْمُ ووَلَّى مُوهِنَا فاركَنْ الآن إلى الصَّحو الطَّويلْ !
ثُمَّ يامنكـودُ(١٤) ماكـنتَ تَرومْ ومَشَى السُّلوانُ فى الحبِّ القديمْ
نَمْ قريرَ العَينِ واهنأْ بالكَرى الكَرىٰ المَيِّت فى القلبِ العَقيمْ !

(١٣) طريف أو تليد : حديث أو قديم .

(١٤) منكود : سيء الحظ ، الشؤم .

الحـــنين

كان والمؤلمُ في « كان » الفَنَاءُ !

حيث لا رجعى ولا طيفُ أمَلْ

سيد قطب

عَهدُ الصِّغر (١)

إذا الليلُ جَنَّ(٢) تجيشُ(٣) الفِكَرُ ... ويُورِّق جَفنِي مَرُّ الذِّكَرْ
ويخلُو فؤادِي لِأحلامِه ... فيجعلُ منها حديثَ السَّمَرْ
وتخلُدُ رُوحي إلى الذكريا ... تِ فتَسْرى تِبَاعاً سِراعاً تَمُرْ
فآنا تَؤزُّ(٤) وآنا تَلِذُّ ... وآنا تَسُوءُ وآنا تَسُرّ
هدوءٌ طويلٌ وصمتٌ رهيبٌ ... وفى النَّفسِ أشجانُها تَشْتَجِرْ
إذا ماذكَرْتُ زماناً تَقَضَّى ... بديعَ الرُّسُومِ جميلَ الأثَرْ
تراءى لِنَفسِي عهدُ الصِّغَرِ ... فتشتاقُ نَفْسِي لعهدِ الصِّغَرْ
لعهدِ الرِّضَاء وعهدِ الحُبُورِ ... وعهدِ الصَّفَاء القليلِ الكَدَرْ
أنامُ وأَصْحُو على ما أشا ... ءُ طروبَ الفؤادِ قريرَ النَّظَرْ
وتصحُو الغزالةُ(٥) مِن خِدْرِها ... فتزهُو الورودُ ويحيا الزَّهَرْ
وتبدو الرِياضُ رياضُ القُرَى ... بوشيٍ جميلٍ ووجهٍ نَضِرْ
ويَسْجَعُ فيها الحمامُ طروباً ... وتشدُو البلابلُ فوقَ الشجرْ
رعَى الله عهداً جميلاً تَوَلَّى ... وخَلَّفِنِي للأَسَى ثُمَّ مَرْ
وأسْلَمنِي لِصِعابِ الأمورِ ... وكيدِ الصُّروفِ وطولِ السَّهرْ

* * *

ألا يَارَعَى الله عهدَ الصِّغَرِ ... ألا يا لحا (٦) الله عهدَ الكِبَرْ
فذلك عهدُ صَبُوحٌ أغَرُّ ... وهذا عبوسٌ ظَلُومٌ قَتِرْ (٧)

---

(١) نشرت فى يناير ١٩٢٨ .

(٢) جَنَّ الليل : أظلم .

(٣) تجيش الفكر : تتدافع وتتدفق الأفكار .

(٤) تؤز : تهزُّ وتحرك فى شدة .

(٥) الغزالة : يقصد الشمس .

(٦) لَحَا فلاناً : لامه وعزله . والمراد : معاتبة عهد الكبر والمراد قبحه ولعنه .

(٧) ضيق العيش من قَتَر. فلانٌ قَتْراً : ضَاق عَيْشُهُ .

جولة فى أعماق الماضى(١)

حَدِّثانِى بما مَضَى حَدِّثانِى ... وأعيدَا إلىَّ عَهْدَ الأمانِى
واذكُرا لى زمانَ عشتُ طَروباً ... لا أُبالى بحادِثاتِ الزمانِ
وصِفَا لى لياليًا قد تقضَّتْ ... كنتُ فيها كالحالِمِ الوَسْنانِ
صَوِّرَا لى الرياضَ والزهرَ والورْ ... دَ ولحنَ الطيورِ عَذْبَ الأغانى
وأعيدَا لمَسْمَعِى ذكرياتٍ ... لا تَصَدَّى لها يدُ النِّسيانِ
واسمحا لى بزفرةٍ وحَنينٍ ... ليس لِى سَلوة سِوى التحنانِ(٢)
واغفرا لى دُموعَ عينى فإنِّى ... لأرى الدمعَ فوقَ كل بيانِ
إنه النَّفسُ رُقِّقتْ ثم سَالتْ ... أو هو القلبُ ذائباً من حنانِ
وأقلُّ الوفاءِ للعهدِ ذِكْرَى ... هى خيرٌ من حاضرِ الأزمانِ
وقليلٌ عند التذكُّرِ شوقٌ ... ودُموعٌ تُكِنُّ أسْمَى المعانى
إنّ ذِكْرى القديم للنَّفسِ تُؤسِى(٣) ... وتُهيِّجُ الشُّجونَ للوجدانِ
وهُو واللهِ بعضُ أجزاءِ نَفسِى ... باعدتْ بينها يَدُ الحَدثَانِ(٤)
فاذكُرا لِى القديمَ همساً ورفقاً ... ودَعانى أجيشُ لا تَعذِلانِ

* * *

ياديـاراً نَشأتُ فيها صبيًّا ... وصَحِبتُ الشبابَ فى العُنفُوَانِ
لكِ منى تحيةٌ وسلامٌ ... أنتِ دارُ النعيمِ والرِّضْوانِ

---

(١) نشرت فى فبراير ١٩٢٨ . ثم نشرت فى مارس بعنوان (سبحة فى أغوار الماضى)
(٢) التحنان : الحنين الشديد ، أو الرحمة . قال تعالى ﴿ وحَنَانًا من لَدُنَّا ﴾ .
(٣) تؤسى : تُحزن من أسِىَ عليه وله يَأسَى (أساً ، وأسىً) : حَزِنَ .
(٤) الليل والنهار .
(٥) رسيس من رسَّ يرُسُّ رسيسا : دخل وثبت والمراد : أثر باق ثابت .

فيك يادارُ من صِباي رسومٌ زاهيــاتُ النقـــوشِ والألـــوانِ
هي عندى أعزُّ من كلِّ شيءٍ وهى تبقى وكلُّ ماعَـزَّ فَانِ
فيك يادارُ من هَواى رَسيسٌ(٥) وألــذُّ الهوىٰ هوىٰ الشُّبــانِ

* * *

فهو رَوضُ الحياةِ فى ذلكِ الحيـ ـنِ وفيه القُطوفُ شتىٰ دَوانِ(٦)
وهو وحى من جانبِ اللهِ يُوحىٰ وهو سرُّ الإلـه فى الإنسانِ
ما أرى العيشَ غيرَ حبٍّ بريءٍ من ذميـمِ الأهـــواءِ والأدْرَانِ
رُبَّ يومٍ قضيتُه فى حُبـورٍ بين جمعٍ من صفوةِ الخِلّانِ
دونَـه الدهـرُ والحيـاةُ جميعـاً فى رِضاءٍ ومتعـةٍ وامتنـــانِ

* * *

إن تلك الحياةَ شيءٌ عجيبٌ وهى النَّفسُ كلَّ يومٍ بِشَانِ
كيف كان الربيعُ ثوباً بهيجاً وهـو اليـومَ ناصِلُ(٧) الألـوانِ ؟
ها هو الروضُ والوردُ والزهـ ـرُ وهذا الحَمَامُ من فوق بانِ
لأرى الوردَ غير جذرٍ وساقٍ أو أُحِسُّ الغِناء عذباً شَجانى
إنها النَّفسُ حين تَصفُو تَراها خلعتْ صَفْوهـا على الأكـوانِ
وهي النَّفسُ حين تَغْبَرُّ يَبْدُو كلُّ نورٍ أمامهـا كالدُّخـــانِ
لو تساوىٰ الإحساس فى كلِّ آنٍ تتساوى الأشياء فى كلِّ آنِ
عَمَّـــــــــرك اللهِ ما المحاسِنُ إلا صورةُ النَّفسِ فى بديع افتنانِ
وكذا القُبْحُ صورةٌ قد تَراءتْ فى خيـالٍ فحُقـقت للعيـــانِ
فرعى اللهُ عهـدَ أُنسٍ أرانى صورةَ الكَونِ فى جمالِ الحسانِ
وَرَعـــــــى اللهُ خيرةً ورفاقـــــــاً ورَعَـــى اللهُ أربعـــاً(٨) ومَعـــانى(٩)

---

(٦) دوَان : دانية : قريبة .

(٧) ناصل الألوان : زالت ألوانه من نَصَلَ اللونُ ينصُلُ نَصْلاً : زال .

(٨) أربعاً : مفردة رَبْع ، والرَّبْعُ محلة القوم ومنزلهم وقد يطلق على القوم مجازاً .

(٩) المعَانُ : المنزل .

المَاضِى(١)

شَبَحُ الماضى ومـا الماضِى سِوى   بعضِ نَفْسِى قَد تولاَّه العَدَمْ
يَتراءى كُلَّما شَطَّ(٢) النَّوىٰ(٣)   فإذا الذكرىٰ شُجُونٌ وألَمْ
وإذَا الكَامِنُ(٤) فى نَفْسِى ثَارَ
جَائشاً(٥) مُضْطرِماً
كالجحيمْ
كُلَّما أقبَلَ يومٌ ومَضَىٰ   أوْغَلَ الماضى بمجهولٍ سَحِيقْ
ذاهباً عني كبرقٍ أوْمضَا   ثم دَوَّىٰ بعدَه الصمتُ العميقْ
وهو صمتٌ تحته صَخَبٌ مُثَارْ
وحنينٌ أُضْرِمَا(٦)
ووجُومْ
آه لو ملكتُ تصريفَ الزَّمنْ   كيفمَا أهوىٰ وأنَّى أرْغَبُ
لرجعتُ الدَّهْرَ للماضِى إذَنْ   فإذا بِى حيثُ كُنَّا نَلْعَبُ
ورِفاقٌ لَيِّنو العودِ صِغارْ
ليس تدرِى الأَلَما
والهُمُومْ
زَهَراتٌ نَضِراتٌ باسماتٌ   تَلْمَحُ الغِبْطَةَ فيها والرِّضَاءْ
مَرِحَاتٌ مُشرقاتٌ لاهياتٌ   لا ترىٰ فى الكونِ إلا ماتشَاءْ
فهو روضٌ زَاهرٌ دَانى الثِّمارِ

---

(١) نشرت فى يناير ١٩٢٩ .
(٢) شطّ : بَعُد .
(٣) النوى : الفِراق .
(٤) الكامن : المختفى .
(٥) جائشا : هائجا .
(٦) أضرما : أشعِل .
(٧) الغبطة : الفرحة .

وهي نورٌ قد نَمَا
فى الكُرومْ
تَتَساقَيْ[8] الودَّ مِنْ غيرِ انْتِباه فإذا العَيشُ سرورٌ وفَرَحْ
وإذا الكونُ وما فيه حَيَاه تتبدَّى فى نشاطٍ ومَرَحْ
تلك أيامٌ طويلاتٌ قِصَارٌ
فى زمانٍ بَسَمَا
ونَعِيمْ
أينَ مِنِّى ذلك العهدُ الوَسِيمُ أينَ مِنِّى بعضُ أيامِ الصِّغَرْ
إنَّها مَرَّتْ كما يهفُو[9] النسيمُ فيُحَيِّي ويُحييه الزَّهَرْ
ذهَبَ الماضِى وأعيا الانتظارْ
وهو يعدُو قُدُماً
كالظَّلِيمْ[10]
أيُّها الماضِى رُويداً فى خُطَاكَ فعلامَ اليومَ تَمْضِى مُسْرِعاً
إيه مَهْلاً حَسْبُنَا طولُ نَواكَ[11] وبحَسْبِى مِنْكَ أن لن تَرْجِعَا
لَجَّتْ[12] الذكرى ولم يبقَ اصطبارْ
وستغدُو عَدَماً
لا يدُومْ

---

(٨) تتساق : تتبادل الشراب .
(٩) يهفو : يحنُّ ويشتاق .
(١٠) الظليم : ذكر النعام .
(١١) نواك : فراقك .
(١٢) لجت : لازمت وتمادت من لجَّ فى الأمر : لازمه وأبى أن ينصرف عنه .

رِثَاءُ عَهْد[1]

أأنا أرْثيكَ يا عَهْدَ المُنَىٰ ؟ أأنا أرْثيكَ يا عهدَ الوَفَاءِ ؟
أنْتَ يَا عَهْدُ . أأرْثِيكَ أنَا ؟ لا . فَلَنْ أقْوىٰ على هذَا الرِّثَاء !

* * *

لا . ولَنْ يَجرى على الطِّرْسِ[2] قلمٌ لا . وَلَنْ تُعْلِنَ هَذَا كَلِمَاتْ
أرِثَاء ؟ أغَدَا الماضِي عَلَمٌ ؟ أو هل يَغْدُو رَهيناً بِفَواتْ ؟

* * *

رَبِّ . حقٌّ ذاكَ أمْ هاجِسُ سُوءِ يَنْفُثُ الهمَّ بِنفسِي والقَلَقْ ؟
أمضَىٰ عهدٌ هو العمرُ الهنِيءُ ؟ أو حقٌّ ذاك يارَبُّ أحَقْ ؟

* * *

أو عهدٌ هو رَيَّا مُهْجَتَين[3] وهُو سَارٍ[4] فى الحَنَايَا والشِّعَابْ
يَنْطَوِى كالبرقِ فى غَمْضَةِ عينٍ ثم يبدُو لائحاً مِثْل السَّرَابْ ؟

* * *

أو يغدُو ذلك العهدُ الوسيمُ حُطَماً[5] تَلْهُو به أيدِى الفَنَاءْ ؟
زَهْرَةٌ فى الكُمِ[6] تُلْقَاهَا هَشِيمْ[7] ونعيماً وَادِعاً يَضْحَى شِقَاءْ

* * *

أهُنَا مَثْواكَ ياعهدُ . هُنا ؟ أهُنا ياعهدُ أقْصَىٰ خُطَواتِكْ ؟

---

(1) نشرت فى سبتمبر ١٩٢٩ .
(2) الطرس : الورق الذى يكتب عليه .
(3) ريَّا مهجتين : مايروى قلبين .
(4) سار : سارى : منتشر .
(5) حطماً : بقايا لا فائدة منها .
(6) الكم : البرعم .
(7) هشيم : عشب جاف .

وإذَا أَدْعُوك ياعهدَ المُنَى لَم تُجبْ دَاعيكَ من بعدِ وَفَاتِكْ ؟

* * *

وإذَا قَلّبْتُ ياعهدُ يديَّ حسرةً قاتِلةً أو لَهْفَا[٨]
أتُرىٰ تَرنُو بإشفاقٍ إلىّ أم تَرُدَّ الطَّرْفَ عَنّى صَدْفَا[٩] ؟

* * *

ولو انى اسطعتُ يا(عهدُ) الرِّثاءْ بعدَ إذ يَمْضى من العمرِ سنينْ
فبأي القولِ أسطيعُ الوَفَاءْ وبأيِّ الدمعِ تُذْرِيه العيونْ ؟

* * *

أنْتَ جزءٌ من فؤادِى قَدْ فقدتُه ماغَنَاءُ[١٠] القولِ فى صَدْع فُؤَادْ ؟
أو غَنَاءُ الدَّمْعِ فى ماضٍ عَدِمْتُه هو أغْلَى ما أُرَجِّى مِنْ تِلادْ ؟[١١]

* * *

آه ياعهدُ وما آلَمَ آهْ وهى ذَوْبُ النفسِ لاَرَجْعُ أنينْ
أغربِى عَنِّي بعيداً يا حَياهْ لايطيقُ العيشَ منكوبٌ حزينْ

---

(٨) لهفا : شوقا .
(٩) صدْفًا : من صَدَفَ عنه يَصْدِفُ صَدْفا : أعرض ومال وصدف فلان عن الشيء : صرفه .
(١٠) غَنَاء : فائدة . (١١) تلاد : المال الأصلى القديم والمراد : الأصالة .

عَهْدٌ ذاهِب ؟!

عَزَّ حتى لَتوقِيه العيونُ وتُفديه الأمَاني والقُلوبْ
وتَسامَى عَنْ مَنالاتِ الظُّنونِ وبَدَا كالخُلْدِ مَأمونَ المَغِيبْ
لا تَراه النفسُ إلَّا بَاقِيا
أبَدَ الدهر قَوِيّاً وَاقِيا
طاهرَ الأرْدَانِ(٢) عَفًّا سَامِيَا
كالرجاءِ العَذْبِ فى الذِّهن الخصيبِ زَاخِراً مَا إنْ يُرائِى أو يَخيبْ
هُو عَهدٌ صِيغَ من حُبٍّ نَقِيٍّ وسُمُو فوقَ إحْساسِ البَشَرْ
وَوِقاءٌ سابغُ الغيضِ(٣) نَدِيٌّ وحَنانٌ مِثلَ أرْواحِ الزَّهَرْ
صَوَّرتْه ساعةَ العَطْفِ السَّماءْ
ورعتْه يدُ أمْلاكٍ بَراءْ
فغذته بأفاويقِ(٤) النَّقاءْ
وتَجلَّى الغيبُ عَنْه فَسفَرَ فى جلالٍ وجمالٍ مُزْدَهِرْ
كَانَ . والمُؤْلِمُ في « كَانَ » الفَناءُ ! حيثُ لا رَجْعَيٰ ولا طيفُ أَمَلْ
وَرَمَاه بَغْتَةً سَهْمُ القَضَاءِ فَتَراخَىٰ فى انحلالٍ واضْمَحلْ
وتَراءى بَعدَ حِينٍ خَالِيَا
من رُوَاءٍ(٥) كانَ فيه حَالِيَا(٦)
مُوحِشُ الأرجَاء يبدُو خَاوِيَا

(١) نشرت فى ١٩٣٠ .

(٢) الأردان : مِن الرُّدْنْ : ما يخرج مع المولود والجمع أردان ــ أو القز أو الخزُ أو المغزول والمراد : طاهر الوسط الذى يعيش فيه .

(٣) الغَيْضُ : القليل .. يقال أعطاه غيضاً من فيض : أى قليلا من كثير .

(٤) أفاويق : مفردها ، الفِيقَةُ : اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، والمراد بأطيب وأطهر الطعام .

(٥) رواء : جمال . (٦) حاليا : مزينا .

غاضَ(٧) مِنه كلُّ أُنْسٍ وارتَحلْ   مِثْلما يَخْلُو من الأهلِ الطَّلَلْ(٨)
أيُّها العهدُ الذي مَرّ . ودَاعاً   هو ذوبُ النفسِ أو فيضُ الألَمْ
سوفَ تَبْقَىْ أبدَ الدَّهْرِ شُعاعاً   فى ضميرِى يَتَراءى فى الظُّلَمْ

سوف أبْكيكِ بُكاءَ الثَّاكِلِ(٩)
وأرويكَ بِدَمْعِى الهاطِـــلِ
وأُناجِيكَ بِقَلْبِـي الذَّابِـــلِ

طَالَما أحْيَا فَأمَّـــا يَنْصَرِمْ(١٠)   ذَلكَ العمرُ تولّانـــا العَـــدَمْ

---

(٧) غاض : نضب وانتهى .
(٨) الطلل : بقايا الدور .
(٩) الثاكل : من فقد وحيده .
(١٠) ينصرم : ينتهى .

السعادةُ حديثُ الأشْقِياء[1]

إيه حَدِّثْ عن السَّعادةِ إنى | قد مللتُ الشَّقَاء كُلَّ الشَّقاءِ
أَطْلِعْ الصُّبحَ في حَديثِك يجلو | بعضَ هذا الأسى بِفيضِ الضِّياءِ
يا أخي ضَاقَ بالحوادثِ ذَرْعى[2] | وسَئِمتُ الشَّكَاةَ مِنْ بَأسائِي
ومَلِلتُ الحديثَ فيها فحدِّثْ | أنتَ يا صَاحِبي حديثَ الهَناءِ
إنَّ بعضَ الحديثِ يُدني الأماني | بخيوطٍ — وإنْ وَهتْ —[3] مِنْ رَجاءِ

* * *

أبعثُ الطَّرْفَ في الفَضاءِ مَلِيًّا | فأرى الأُفقَ ضيقاً فى الفَضاءِ
والصباحُ الوديعُ ما عَادَ يَسْرِي | لفؤادِي كما سَرَى بالرِّضَاءِ
والربيعُ الأنيقُ ما عَادَ يُذْكِي | فِيَّ وَمْضَ[4] الحياةِ كالأحياءِ
والجمالُ الذى يَشيعُ فى النفسِ رُوحاً | عادَ مَيْتاً مُعَطَّلَ الإيحَاءِ
هى نفسٌ أحالتْ الكونَ قَفْرًا | فتراءى مُعطلاً مِنْ وَرَاءِ
هى نفسٌ تحطَّمَتْ يالنفسِي | هي دَائِي فلستُ أرجو شِفَائِي

* * *

يا أخي ثارتْ الشُّجُون وهاجتْ | حُرقَاتى وأيقظتْ لأوائِي[5]
يا أخِى هَاتِ من حديثِك . صَوِّرْ | فى خَيالي مَلامِحَ السُّعَداءِ
كيفَ يَحيَون غِبْطَةً وابتسامَا | كيفَ يرضَون للأمانِى الوضَاءِ
أو فأمْسِكْ فكلُّ شيءٍ مُثيرٌ | لِشُجُونِي . وخَلِّنِى وشَقَائِي

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٣٠ .

(٢) ضاق ذرعى : لم أطق : لم أتحمل .

(٣) وهت : ضعفت .

(٤) ومض : بريق ، لمعان .

(٥) لأوائى : المراد أيقظت آلامه وآهاته .

(١)

ليلات فى الريف(١)

مِنْ حنينِ الفؤادِ ؛ من خَفقَاتِه ... ذلك الشّعرُ ، من صَدى زَفَرَاتِه(٢)
وَسِعَتْه الألفاظُ وَزناً ومَعْنىً ... ثم ضاقتْ عن رُوحه وسِمَاتِه
هُو وحىٌ لذكرياتٍ حِسَانٍ ... أَوْدَعَ الخُلْدُ بينها ذِكْرَيَاتِه
وليالٍ يَا حُسنَها مِنْ ليالٍ ... يَشْتَرِيها مُخلّدٌ بحياتِه
هَمسَ الصمتُ بينها هَمسَاتٍ ... خَفّضَ الكونُ عِنْدها خَفقاتِه
وسَرىٰ البدرُ مُغْمِضَ الجفنِ وَسْنَا ... نَ كَطَيْفٍ مُسْتَغْرِقٍ فى سُباتِه

* * *

يا جمالاً بريفِ مِصرَ قريراً ... هادىءَ البالِ فى خُشوعٍ وَقُورِ
لستُ أنسى ليالِيَا فيك مرتْ ... هُن أطيافُ عهدِنا المَأثورِ(٣)
حينَ نَسْرِى والبدرُ يَنْشُرُ ضوءاً ... فوقَ سهلٍ كالعيْلَمِ المَسْجُورِ(٤)
بينما الزهرُ حالمٌ فى رُباه ... وغُصونٍ مُهَدَّلاتِ(٥) الشُّعُورِ
وخريرُ الأمواهِ سَاجٍ(٦) رتيبٌ ... مثلَ شَدْوٍ فى عَالَمٍ مَسْحُورِ
ونَجِيٌّ (٧)من الرِّفاقِ بِهَمْسٍ ... وحديثٍ مُسْتعذَبٍ مِنْ سَمِيرِ
قَدْ وَعَىٰ الدهرُ هذه الليلاتِ ... ووعينَا آثارَها الباقياتِ
فهى ذِكْرىٰ تُوشّجتْ(٨) بنفوسٍ ... حانياتٍ لطيفِها رَاجِفَاتِ(٩)

---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ .

(٢) زفراته : الزفرة : مايخرجه الإنسان نفس حار ، والمراد ما ينفس بها عن نفسه .

(٣) المأثور : المفضل . (٤) العيلم المسجور : البحر المملوء .

(٥) مهدلات : مسترسلات الشعر . (٦) ساج : ساكن هادىء .

(٧) نجىٌّ : من النجوى : الحديث الخافت بين الرفاق .

(٨) توشجت : ارتبطت برباط قوى (وشيجة ، وشائج) .

(٩) راجفة : مرتعشة (ليس عن خوف ولكن عن انفعال) .

سوف تُبيِّيهِ رُقْيةٌ من خُلودِ عوَّذَتْها[10] الفناءَ .والحَادثات . !

هذه مَسْكَةٌ من الأبدِ البَـا قِي المعهودِ قبلَ خَلْقِ الحياة

ذَخَرَتْها الأحقابُ حتى اجتمعْنَا فأبيـحتْ فمالَهــا من فَوات

(١٠) عوّذَتْها : حصنتها .

(٢)

العودةُ إلى الريف(١)

مَهْـدَ الرَّجَـاءِ ومَهْبِـطَ الأحـلامِ ⁂ وطَنـى علـيك تحيتـى وسَلامِـى
ياريف فيك من الخلودِ أثارَةٌ(٢) ⁂ تنسابُ فى خَلَدِى(٣) وفى أوْهامِى
وتردُّ إحْسَاسِى إليك إذَا خَلَتْ ⁂ نفسى إلى الآمالِ والآلامِ
وكأنَّنِى المسحورُ يَقْفُو سَاحِراً ⁂ فى بُهْـرةٍ(٤) كالطائـفِ النَّـوامِ !

* * *

إنى فقدتُك فى الطفولةِ غافِلاً ⁂ عمَّا حَوَيتَ من الوُجُودِ السَّامِى(٥)
لكن وجدتُك إذ كبرتُ بخاطرى ⁂ رمزاً أُحيطَ بِغَمْـرةِ الإبهامِ(٦)
وتـكشفتْ نفْسِى فلَـحتْ(٧) كأنما ⁂ نَفْسِى وأنْتَ جُمِعْتُما بِتُوَامِ(٨)
ووجدتُ أحْلامِى لديكَ وَضيئةً ⁂ لم تُبْلِ(٩) جِدَّتَها يدُ الأيـامِ
واليومَ عُدتُ إليكَ أحْسَبُ أنَّنى ⁂ طيرٌ يؤوِّبُ بعدَ جَهدٍ دَامِ(١٠)
يا ريفُ تَدعُونى إليكَ ؛ وإننى ⁂ للمستطارُ إلى لقاكَ الظَّامِى !

* * *

هذا الهدوءُ كأنَّما هُو عَالَمٌ ⁂ فى الوهمِ ، لَمْ يَتَبَدَّ لِلأَقوامِ
وكأنَّه الحُلُمُ الجميلُ يَحوطُهُ ⁂ صمتٌ كصمتِ العابدِ المُتسامِى
وتُحَسُّ بالسرِّ العميقِ تَخالُهُ ⁂ يُضْفِى علىَ الأيقـاظِ . والنُّـوامِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ .
(٢) أثارة : بقية .
(٣) خَلَدى : عقلى .
(٤) فى بهرة : فى دهشة .
(٥) غادر الشاعر الريف صبيا .
(٦) الإبهام : الغموض .
(٧) فلحت : فظهرت .
(٨) بتُوَام : التؤام : الصدف ، التُّوامية : الدُّرّة
(٩) لم تُبْلِ : لم تفنِ [من تُبْلِى] .
(١٠) دام : من الدم أو من اللوام .

ويلوحُ فى وضحِ النهارِ وَينْطَوِى ما بينَ طياتِ الظُّلامِ الطَّامِى(١١)
هو ذلك السِّرُّ الذى مِفْتَاحُه ضُمَّتْ عليه جَوانِحُ الأهرامِ

* * *

إنى أجولُ بِخَاطرٍ مُتنقلٍ فى حيثما امتدَّ البسيطُ أمامِى
فإذا مَواكِبُ للجمالِ وَديعةٌ جَمعتْ طرائفَها يَدُ الإلهامِ
للطيرِ فيها ، للأزاهرِ ، مَوْكِبٌ للناسِ ، للحشراتِ ، للأنْعامِ !
مُتآلفينَ ، سَرىٰ الرِّضَا لنفوسِهِم فيما اغْتَذَوا من مَشْرَبٍ وطَعامِ !
كلٌّ يرجِّعُ للطبيعةِ لَحْنَه فى ذلك الوادِى الخصيبِ النَّامِى
وهُنا الطبيعةُ كالغريرةِ(١٢) إنما وَرِثَتْ وقارَ أُبوّةٍ مُتَرامِ(١٣) !
تَلْهو ، ولكن فى براءةِ طِفْلةٍ من نَسْلِ آلهةٍ غَبَرْنَ كِرَامِ !
عَبَدتْهم الأوهامُ فى غَمَراتِها واندسَّ بعضُ الوهمِ فى الأفهَامِ
وتَوارَثَتْه طبيعةٌ خَلَدَتْ بها مصرٌ على كَرٍّ من الأعوامِ
يا ريفَ مِصرَ ، وأنت سِرُّ بَقائِها اسلمْ ، فَذَلِكَ مَواهِبى وحُطَامِى

(١١) الطامى : الشديد .
(١٢) كالغريرة : المراد على فطرتها .
(١٣) مترام : ممتد .

(٣)

الليلاتُ المَبْعُوثة(١)

بعد عامٍ كاملٍ من الليلاتِ الأُولى عاد الشاعرُ للرِيف ، فقضى فيه ليلاتٍ مثلها ، فى جوٍّ نفسى مُماثل ، وبين رِفاق هم الرفاق ، وكان عدد الليلات الأُولى والثانية مُتحداً .

أَهُو البعثُ ياليالِى الخُلودِ ؟ أَمْ تُرىٰ أنتِ خَلْقَةٌ من جديدِ؟
أم تُرىٰ صورةٌ منك صِيغتْ بين وَحى الإِلْهامِ والتجويدِ ؟
يا ليالىّ ما أراكِ سِوى أنتِ كما كنتِ مرةً فى الوجودِ !
ها هُنا والزمانُ يَحْلُم وَسْنَا نَ سعيدٌ لها (٢) بِحُلْمٍ سَعيدِ !
ورَنَا(٣) البدرُ فى حَياءٍ وَديعٍ وهو راضٍ رِضاءَ طفلٍ وَليدِ
ورِفَاق هم الرِّفاقُ ، ونَفْسِى هى نفسِى ، وعَالَمِى ، وعهودِى !
ما أرى مَعْلَماً تغيَّر أو رَسْماً مَحَتْه يدُ الزمانِ الكَنُودِ(٤)
أنتِ ليلاتُنا ! فَقُصِّى علينا كيف أفْلَتِّ من زمانِ القيودِ ؟

* * *

قَدْ تسللنَ خِفْيةً فى الظلامِ بينما الدهرُ سَادِرٌ(٥) الأوهامِ !
ثم وَافيْنَنَا وهُنَّ سُكَارىٰ حالماتٍ أُغْرِقْنَ فى الأحلامِ
هامساتٍ لَنا . لقد بُعِثَ العَهْدُ فهيا مِن كُلِّ لَهفانَ(٦) ظَامِ(٧)

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) من اللهو .
(٣) رَنَا يرنُو : أدام النظر فى سكون طرف .
(٤) الكَنُود : يذكر المصيبات وينسى النِّعم .
(٥) سادر : لا يهتم ولا يبالى بما صنع والمراد حائر الأوهام .
(٦) لهفان : المتحسّر .
(٧) ظام : ظامىء .

فأجبنَــا دُعاءَهــنَّ سِراعـــاً وخلَعْنا دُنيا الحِجا(٨) والحُطامِ(٩)
ورقينا مَدارجَ الخُلْدِ والكَو نُ مُسَجًّى(١٠) فى غَفْلةٍ وظَلامِ
ها هُنا كنتُ منذُ عامٍ ! ولكن يا لنفسِى ! فها هُنا أىَ عامِ ؟
ما أرى للزمانِ رسماً ! فهذا كلُّ شيءٍ هُنا كرمزِ الدَّوامِ
إيه ليلاتِنا ، أعيدِى علينا قصة الخُلْدِ ، فالأمانِى ظَوامِ(١١)

* * *

خَيَّمَ الليلُ فى خُشوعٍ رَهيبِ غير لمحِ الرؤى ، وخَفْقِ القُلوبِ
وسَرينا نرتادُ سِرَّ الليالِى وهى تُفضِى(١٢) بسرِّها المرهوبِ
وتُجَلِّى لنا زَماناً زماناً وعجيباً وراءَ سِتْرٍ عجيبِ !
ومَتاعاً مِنَ الحياةِ نَفيساً ضَمَّنَتْه آلافُ عهدٍ خَصيبِ
قَد رَشَفْنا(١٣) خلاصةً منه تُغْنِى عن حياةِ الورى وعيشِ الشُّعوبِ
وسَرى فى النفوسِ معنًى جديدٌ عَبَّرتْ عنه بالغِناءِ الرتيبِ(١٤)
وتسامتْ أرواحُنا فى نَجاءٍ وتهادتْ قُلوبُنا فى دَبيبِ
تِلك ليلاتُنا ، وهذا صَداها إيهِ ليلاتِنا ؛ اخْلُدى ، لا تغيبى

---

(٨) الحجا : العقل (الإدراك والفطنة) . (٩) الحُطام : متاع الدنيا .
(١٠) مُسَجّى : فى سكون أو مُغطى من سَجّى الميت : غطاه .
(١١) ظوامىء : مفردها ظامىء . (١٢) تفضى : تبوح بسرها .
(١٣) رَشَف : شرِبَ مَصاً بشفتيه ، والمراد : الشراب باستمتاع .
(١٤) الرتيب : الثابت المستقر ، والمراد : ذى النغمة الثابتة .

رَيْحَانَتِي الاولى
أو
الحِرْمَان[١]

رَيْحَانَتِي الأُولىٰ وَرَوْحَ[٢] شَبَابِي أَئِذَا دَعَوْتُ سَمِعْتُ رَجْعَ جَوَابِ
أنا في الجحيمِ هُنا وأنتِ بجنةٍ مِنْ رَوْحِ إعْجابٍ ورَيْقِ[٣] شَبَابِ
أنا فى الجحيمِ وأنت نَاعمةُ المُنَىٰ خَضْرَاءُ ذاتُ تَطَلّعٍ وطِلابِ
أنا لا أُرِيدُكِ هاهنا فى عالَمِي إنى أُعيذُكِ مِنْ لَظَىً وَعذَابِ
لَكِنَّها الذِّكْرَىٰ تثورُ بِخَاطِرِي مَجْنُونَةً حمقاءَ ذاتَ غِلابِ

* * *

عَيْنِي رَعَتْكِ وأنتِ نَابِتَةٌ فلم تَغْفَلْ ولم تَفْتُرْ[٤] ولم تَتَألَّمِ
وتَعَهَّدَتْكِ يَدِى وأنتِ نحيلةٌ وغِذَاكِ من نَفْسِى الحَنانُ ومِنْ دَمِي
فَتَمَوْتِ والآمالُ حَوْلَكِ تَنْتَشِي وتَهُمُّ رَاقِصةً وتَهْتِفُ بالفَمِ
حتى إذا أَيْنَعْتِ وانطلقَ الشَّذَىٰ[٥] ألفيتُ نَفْسِى فى صميمِ جَهنَّمِ
مُلْقىً هُنالك لا أُحِسُّ ولا أرَىٰ إلّا الشُّوَاظَ وكُلَّ داجٍ مُعْتِمِ[٦]

* * *

بينى وبينكِ شُقَّةٌ[٧] لا تَنْتَهِى أبداً أُقارِبُ حَوْلَها وأُباعِدُ
هى شُقَّةُ النفسِ الخَرابِ ، وإنّها لمجاهلٌ لم تُكتشفْ وفَدافِدُ[٨]

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٣٧ .
(٢) رَوْح : راحة أو من رَاحَ رَوْحاً : طابت ريحه .
(٣) رَيِّق : من الرَّوق : أول الشيء ، روق الشباب : أول الشباب .
(٤) تفتر : تضعف .
(٥) الشذى : الرائحة الطيبة .
(٦) داج معتم : شديد الظلمة .
(٧) شقة : مسافة .
(٨) فدافد : أراض واسعة لاشيء فيها .

الشمسُ فيها لا تُطِلُّ ومَا بِها إلا الرواكِدُ والظَّلامُ البَارِدُ
أنا لَسْتُ سَالكهَا وأنت حَفِيةٌ(٩) أن تَجْنُبِى عَنْها ونَجْمُكِ صَاعِدُ
فإذا الذى بَيني وبينكِ كلُّهُ ذِكْرى تُطِلُّ برأسِها وتُعاوِدُ

* * *

وأراكِ مِنْ خَلل الغيومِ أسيفةً إذْ تَذْكُرِين رِعايتى وجُهودِى
وتَرَيْنَ حَاضِرَنا وَغابِرَنا معاً وتُراجعينَ مَواثِقِى وعُهودِى
نَفْسِى فداكِ فلا أراكِ شَجيّةً(١٠) تُرقِي(١١) الغُصُونُ لوجهكِ المَعْبُودِ
وقفٌ عليكِ تَطلُّعِى وتَلهُّفِى وقفٌ عليكِ قَصائِدِى ونَشيدِى
لكن أُعِيذُكِ خَطْرَةً فى عَالَمِى إنّى أُعيذُكِ وَحْشَتِى ورُكودِى

---

(٩) حفية : اللطيفة الرقيقة . قال تعالى : ﴿ إنه كان بى حفياً ﴾ .

(١٠) شجية : حزينة . (١١) ترقّى : تنقل من حال إلى حال .

عِبادةٌ جديدة ؟!(١)

لكَ يا جمالُ عِبَـــادتى ... لك أنتَ وَحدَكَ يا جَمـالْ
تُعْصَىٰ تعاليـــمُ الطُّغَـــا ... ةِ ، أو الهُـدَاةِ على ضَلالْ
ويُخالَـفُ التشريـعُ جهـراً ، ... أو خَفَـــاءً فى احتيـــالْ
وتُجَـــانَبُ الأديـــانُ أو ... تُنسىٰ وتُهْجَـــرُ عَنْ مَلالْ
وأراكَ وَحــــدَكَ يا جمالُ ... تَلقـىٰ الخضوعَ والاحتفـــالْ
والحـــبَّ والإيمــانَ مِــــنْ ... كُلِّ الأنــامِ بكـــلِّ حَالْ!

* * *

المالُ مَعبـــودُ الحيــــا ... ةِ المُسْتَـذِلُ قُوىٰ الرجـــالْ
هو بعضُ قُربـــانِ النفـــو ... س إلى مَقَـامِك فى اِبتهالْ
وأرىٰ الأُلوهـــةَ فيكَ تُو ... حى بالعبـــادةِ فى جَلالْ
ما أنتَ إلا مظْهَــــرٌ ... منها تُوشِّيــهِ(٢) الظِّـــلالْ
فإذا عَبــدْتُك لم أكُــنْ ... يا حُسْنُ مِنْ أهلِ الضَّلالْ
بل كنتُ محمـــودَ العَقِيـــ ... ـدةِ فى الحقيقــةِ والخيـــالْ
أعْنُـــو(٣) لِمــنْ تَعْنُـــو لَه ... كُلُّ النفـــوسِ بلا مِثَـــالْ
مُتفرِّقـــاً فى الكَـــونِ فى ... شتىٰ المَـــرائي(٤) وَالخِـــلالْ(٥)
فإذا تُركَّــــزَ ها هُنــــا ... بَطَـلَ التَّمحُّـلُ(٦) والجِـدالْ !(٧)

---

(١) نشرت فى نوفمبر ١٩٣٧ .

(٢) توشِّية : تنقشه وتُحَسِّنُه من وَشَى الشىءَ وشياً : نمنمه ونَقَشَه وحَسَّنَه .

(٣) أعنو : أخضع . (٤) المرائى : المناظر ، مفردها المرأى : المنظر .

(٥) الخِلال : مُنفَرج ما بين الشيئين ، جاسوا خلال الديار : ساروا وترددوا بينها، والمراد : منتشر فى كل ما نرى وما بين الأشياء وبعضها .

(٦) التَّمَحُّل : الاحتيال ، من تَمَحَّلَ : احتال .

(٧) الجدَال : المناقشة والخصومة ، من جَادَله مُجَادَلة : ناقشه وخاصمه .

تسبيح(1) ... !

لِعينيكِ تَسبيحى وهَمْسُ سَرائرى وفى صَمْتِها المُوحِى مرَادُ(2) خواطِرِى
تُطلُّ على الدنيا فتوقِظُ قَلْبَها وتمنحُ هذا الكونَ إيمانَ شَاعرِ
وتَسْكُبُ فى ألحانِه عبقريــةً من الفنِّ لم تخطرْ بآمالِ ساحرِ
وتجلُو من الدُّنيا عميقَ فنونِها وتكشِفُ فى أطوائِها كلَّ خاطرِ
ومِنْ عجبٍ تُوحِى بفتنةِ ساحرٍ وتَهْمِسُ فى صَمتٍ بتقديسِ طاهرِ

* * *

لقد شَفَّ هذا الوجهُ حتى كأنه خواطِــرُ فنــانٍ نَدِىُّ المشاعـرِ
وقد رقَّ هذا الجسمُ حتى كأنه هَواتفُ حُلْمٍ ناعماتِ البَشَائِرِ
وقد رقَّ هذا الصوتُ حتى كأنه أغاريدُ لَحْنٍ فى السمواتِ عَابرِ
وقد خفَّ هذا الخَطوُ حتى كأنه مرورُ نسيـمٍ بالأزاهيـرِ عاطـرِ
وخِلْتُكِ طَيفاً هامساً فى ضمائرِى وإنك طيفٌ هَامسٌ للنواظرِ !

* * *

لأيقظتِ فى نفسى سعادةَ شاعرٍ وراحةَ موهوبٍ وغِبْطَةَ ذَاخـرِ
وأشعرْتنى معنَى الطلاقَةِ والرِّضَا ومعنى الغِنَى عن كلِّ آتٍ وغابرِ
مَدًى فيه من أفقِ الخلودِ مدارجٌ(3) رَقيْتُ إليها فى سَنى(4) مِنك باهرِ
سَبقتُ به خَطوَ الحياةِ لِنَهْجِها وجُزْتُ به آفاقَها فى المَعَابرِ
فيا لكِ مِن هَادٍ سَنِىِّ المنائِرِ ويَا لى من سَارٍ وَحِىِّ البَصَائِرِ

---

(1) نشرت فى سبتمبر ١٩٣٨ .

(2) مَرادُ : مكان ذهابها ومجيئها .

(3) مدارج : مسالك .

(4) سنى : ضوء .

في السماء[1]

أيقظتِ أنبلَ ما يُجنُّ[2] ضميرى   وبعثتِ جوهرَ عُنْصرِى المَطْمُورِ[3]
فإذا أنا الرُّوح التى تَسمُو بها   دُنيا الحياةِ لأَوْجها[4] المنظورِ
وإذا أنا النُّورُ الذى تجلُو به   تلك الحياةُ غَياهِبَ الدَّيْجُورِ[5]
وإذا أنا الشَّوقُ الذى يَحلُو لها   فتَغِذُّ بين مَسالِكٍ وصخورِ
وإذا أنا الشِّعر الذى تَشْلُو به   فى نَشْوةٍ وتجيشُ بالتعبيـــرِ
وإذا أنا الخيرُ المُمَحَّضُ والهُدَىٰ   والحبُّ والنَّجوىٰ خِلالَ ضَميرِ

* * *

فَبأى معجزةٍ كَشَفْتِ ضَمائِرِى   وجَلَوْتِ كُلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورِ ؟
وغَـدَوتِ فَنِّى فَضَائلى ورَوِيَّتِها   حتىٰ أطلَّتْ بالجَنىٰ المَذْخُورِ[6] ؟
وجعلتِ من زَادِ الخلودِ مَطامِحى   وجعلتِ أَشْواقِى صلاةَ طُهورِ ؟
بالحبِّ والحُسْنِ الوديع ونظرةٍ   بيضاءَ صافيةٍ تُريحُ شُعورى
وتُحيـلُ أشواقي رِضاءَ مُخلَّـدٍ   راضٍ بِخُلْدٍ لم يُشَبْ بِقُصُورِ[7]
وتُحيلُنِى رُوحاً تَرِفُّ على الوَرَىٰ   كالعطفِ ، أو كالحبِّ ، أو كالنُّورِ
فإليكِ تَسْبيحِى وهَمْسُ سَرائرِى   وإليكِ غايةُ غِبْطَتِى وسرُورِى

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٣٨ .   (٢) يُجنُّ : يستر .
(٣) المطمور : المستور ، طمَرَ الشيء طَمْراً : ستره حيث لا يُدرىٰ أو لا يُرى .
(٤) أوجها : أعلى نقطة تُرى : العلو .   (٥) الدَّيجور : الظلام .
(٦) ذَخَرَ الشيء : خبّأه لوقت الحاجة إليه . مذخور : مدّخر : مخبوء .
(٧) شَابَ يشُوب : خلَطَ ، القصور : الإهمال : النقص .

بينَ عَهْدَيْنِ(١)

١ ــ العُشُّ المَهْجُور

طِرْتِ عَنْ عُشِّكِ الْجَمِيلِ فَأُوبى(٢) شَدَّ مَا اشْتَاقَ طَيْرُهُ أَنْ تَؤُوبى !
كَانَ دِفئاً وَكانَ مَرْتَعَ(٣) صَفْوٍ فكَسَاهُ الصَّقِيعُ ثَوبَ القُطُوبِ(٤)
مُنْذُ غَادرْتِهِ قَدِ انْتَثَرَ الحبُّ وطَاحَتْ به رِيَاحُ الْهُبُوبِ
وَتخلَّتْ عِنَايَةُ اللهِ عَنْهُ فَهْوَ فى وَحْشَةِ الغَرِيبِ الكئِيبِ
وَلَيَالِيهِ شَاجِيَاتٌ حَيَارَى يَتَرَامَيْنَ حَوْلَهُ مِنْ لُغُوبِ(٥)

٢ ــ نداء العودة

عُودِى إِلَى الْعُشِّ عودِى وَرَفْرِفِى مِنْ جَدِيدِ
وَرَنِّمِى بالأَغَانى فى جَوِّهِ وَاسْتَعِيدِى
وَأَدْفِئِى بِالأَمَانى مَا مَسَّهُ مِنْ جُمُودِ
وَنَمِّمِى بالتَّعَاوِيذِ(م) وَالرُّقَى وَالنَّشِيدِ
وَأَطْلِقِى فِيهِ لَحْناً يَشْدُو لِحُبٍّ سعيدِ
وَيطْرُدُ الْيَأْسَ عَنْهُ بالشَّدْوِ والتَّغْرِيدِ

* * *

طَالَ انْتِظَارُكِ وَهْناً(٦) فى ظُلْمَةٍ وَكُنُودِ(٧)
وَالرِّيحُ تَعْبَثُ فيهِ بكلِّ غالٍ مَجِيدِ

---

(١) نشرت فى فبراير ١٩٤٢ . (٢) فأوبى : فارجعى .
(٣) مرتع : الأرض المتسعة الخصبة .
(٤) القطوب : من قَطَبَ فلانٌ يقطِبُ قُطُوبا : ضمّ حاجبيه وعَبَسَ ، يقال : رأيته غضبان قاطبا .
(٥) لغوب : التعب مع الإعياء . (٦) وَهْناً : ليلا .
(٧) كُنُود : المراد فى انقطاع .

وَكُلُّ خَفْقِ جَنَاحٍ أَوْ رَجْفَةٍ مِنْ بَعِيدِ
يخَالُ فِيها مَآباً بَعْدَ النَّوَى وَالشُّرودِ

* * *

عُودِى إِلى الْعُشِّ عُودِى وَرَفْرِفِى من جَدِيدِ
أَضْنَاكِ طُولُ الشُّرودِ وَلَذَّةُ التَّصْعِيدِ
عُودِى إِلى الدِّفْءِ فِى عُشِّكِ الأَمِينِ الوَدُودِ
الْعُمْرُ يَمْضِى فَهَيَّا نُعِيدُهُ لِلْوُجُودِ

نداءُ الخريف(١)

تَعالَــىْ . أَوْشَكَتْ أيامُنــا تَنْفَــدْ
تعالَــىْ . أوشكتْ أنفاسُنــا تَبْــرُدْ
بلا أمَــلٍ ، ولا لُقْيَــا ، ولا مَوْعِــدْ

* * *

تعالَــىْ . هذه الأيَــامُ لا تَرْجِــعْ
ولا تُصْغِى لنــا الدُّنيــا ولا تَسْمَــعْ
ولا تُجْدِى شَكَاةُ الدَّهْــرِ أو تَنْفَــعْ

* * *

كِلانَا ضَائِــعٌ فى الكَــونِ مَفْقُــودُ
فلا هَدَفٌ له فى الأرضِ مَشْهُــــودُ
ولا أمــلٌ لَه فى الغَــيبِ مَوعُــودُ

* * *

ألا مَا أَحْمَــقَ اثنَيْــنِ غَرِيبَيْــنِ !
إذا عَاشَا ــ مَعَ الحبِّ ــ فَرِيدَيْــنِ(٢) !
وهـذا الكَونُ لا يَدْرِى الشَّرِيدَيْـنِ(٣) !

* * *

نَعَــمْ قَدْ أَدْمَتْ الأَشواكُ قَلْبَيْنَــا
وَسَدَّتْ هذه الدُّنيــا طَرِيقَيْنَــا

---

(١) نشرت فى اكتوبر ١٩٤٣ .
(٢) فريدين : وحيدين .
(٣) الشريدين : الشريد الذى لا مأوى له .

ولكـــنْ أيـــنَ مَاضِى حُبِّنَـــا أيْنَـــا ؟

* * *

تَعالـــىْ نُحْيـــى بالأَشْواقِ مَاضِينَـــا
ونَبْـعَثْ فى حِمَـــىْ الـــحُبِّ لَيالِينَـــا
فهـــذا الحبُّ إذْ نُحْييـــه يُحْيينَـــــا

* * *

تعالـــىْ لَمْ يَعُـــدْ فى العُمْـــرِ مُتَّسَعُ
تعالـىْ لم يَعُـدْ فى الكَـوْنِ مُنْتَجَـــعُ(٤)
وغُـــولُ الدهـــرِ لا يُبْقِـــــى ولا يَدَعُ

* * *

تعـالى . نَحـــنُ بَعْثَرْنـــا السُّوَيعَـــاتِ
وضَحَّيْنَـــــا بأيــــامٍ عَزِيـــــزَاتِ
فيـــا أُخْتـــاه يَكْفِينـــا حَماقَـــــاتِ

* * *

أجَـــلْ يا أختُ ما قَدْ ضاع يَكْفِينـــــا
فَعُـــودِى . هَا هُو الـــعُشُّ يُنَادِينـــا
فلا نُخْرِبْـــــه يا أختُ بِأَيْدِينَـــــــا

* * *

ربيـــعُ العُمْـــــرِ يا أُخْتَــــاه قَدْ مَرَّا
فَلَـــمْ نُطْعِمْــــه أو نَغْنَـــمْ بِه ذُخْـــرَا
ومَـــا عَادَ لَنـــا مِنْـــه سِوى الذِّكْـــرىٰ

* * *

فَلا نَخسرْ هَزِيعَيـــنِ(٥) مِنَ العُمْـــــرِ

---

(٤) منتجع : المراد لايوجد مكان يصلح للإقامة
(٥) هزيعين : الهزيع : ربع الليل أو نصفه ، والمراد مضى أكثر العمر .

فَدِفْءُ العُشِّ قَدْ يُجْدِى لَدَىٰ القَرِّ[٦]
وَرُوحُ الحُبِّ قَدْ يُحيِى لَدىٰ القَبْرِ

* * *

وَيَا أُخْتَاه زَادُ العُشِّ يَغذُونَا[٧]
فإنّ الزَادَ قَدْ قَلَّ بأَيْدِينَا
وجَذْبُ العُمْرِ يا أُخْتَاه يُؤْذِينَا

* * *

تَعالَى نَقْطَعُ البَاقِى مِنَ العُمْرِ
رَفِيقَيْنِ على الخَيْرِ عَلَى الشَّرِّ
حَلِيفَيْنِ عَلَى اليُسْرِ عَلَى العُسْرِ

* * *

تَعالى أَوْشَكَتْ أَيامُنَا تَنْفَدْ
تَعالى أَوْشَكَتْ أَنْفاسُنَا تَبْرُدْ
بِلا أَمَلٍ ولا لُقْيَا ولا مَوْعِدْ

---

(٦) القر : شدة البرد .
(٧) يغذونا : من الغذاء .

هُتافُ رُوح (١)

« فى ليلة دفيئة من ليالى كاليفورنيا »

فى الجوِّ يا مصرُ دِفءٌ — يُدْنِى إلَى خيالِكِ
وتَسْتَجِيشُ (٢) حنينى — إلى الليالى هُنالِكِ
للأُمسياتِ السُّكَارَى — نَشْوَى تَرِفُّ خيالِكِ
ونَسْمَةٌ فيك تَسْرِى — رَيَّانَةٌ من جَمَالِكِ
نجواكِ مِلْءُ فُؤادِى — تُرَى خطَرتُ ببالك

* * *

النيلُ والموجُ سَارٍ — يُقَبِّلُ (الشُّطْآن)
والبدرُ والنورُ ساهٍ — كحالمٍ وَسْنَانْ
وفى الجِواءِ (٤) حنينٌ — مُجَنَّحٌ حَيرانْ
ومن هُنالِكَ لَحْنٌ — يَهْفُو إلى الآذانْ
صَدَاه نَاىٌ عميقٌ — فى نَاى هذا الزمانْ

* * *

فى النفسِ يا مِصرُ شوقٌ — لخطْرَةٍ فى رُبَاكِ
لِضَمَّةٍ مِنْ ثَرَاكِ — لنَفحَةٍ مِنْ هَوَاكِ
لَوَ مَضْةٍ مِنْ سَمَاكِ — لِهَاتِفٍ مِنْ رُؤاكِ
لليلَةٍ فيك أُخْرَى — مع الرِّفاقِ هُنَاك
ظمآنُ تهتفُ رُوحِى — متى تُرانى أراكِ ؟

« سان فرانسيسكو »

---

(١) نشرت فى ابريل ١٩٥٠ .
(٣) ريانة : فيها حيوية ونضرة .
(٢) تستجيش : تمتلىء .
(٤) الجِواء : الواسع من الأمكنة .

دُعاءُ الغريب(١)

يا نائيـــاتِ الضِّفَـــافْ　　　هُنَـــا فتـــاكِ الحبـــيبْ
عليـــه طَالَ المَطَـــافْ　　　متـــى يعـــودُ الغـــريبْ ؟

* * *

متـــــى تُمسُّ خُطـــاه　　　ذاك الأديـــمَ(٢) المغبَّـــرْ
متـــــــــى يَشُمُّ شَذَاه　　　كالأقحـــوانِ المُعَطَّـــرْ ؟

* * *

متـــــى تَرىٰ عينـــــاهْ　　　تلك الربـــوعَ المواثـــلْ(٣) ؟
أحلامُـــــــه ومُنَـــــاه　　　تدعـــوه خلـــفَ الحوائـــلْ(٤)

* * *

حنينُـــــــه رَفَّـــافْ　　　إلى الدِّيـــارِ البعيـــدهْ
مَتـــى مَتـــى يا ضِفـــافْ　　　تأوِى خُطـــاه الشريـــده ؟

* * *

رُؤَاكِ فى نَاظِرَيـــــــــــهْ　　　تَرِفُّ كالأحـــــــــــلامْ
تُرىٰ هَفَـــوْتِ(٥) إليـــه　　　على مَدَى الأيـــــامْ ؟

* * *

ليـــــلاتُكِ السَّاريـــــاتْ　　　كالنَّسْمَـــــةِ العبقرِيّـــــةْ
حالتْ إلى ذكريـــــــاتْ　　　مُعَطَّـــــراتٍ نَدِيّـــــهْ

* * *

---

(١) نشرت فى يونيو ١٩٥٠ .
(٢) الأديم : وجه الأرض .
(٣) المواثل : القائمة والمراد قائمة فى ذهنه وخياله .
(٤) الحوائل : الموانع .
(٥) هفوت : اشتقتِ .

مُجَنَّحَـاتِ العبيـرْ   مُرَفْرَفَـاتِ الأَمَـانى
فى عَالـمٍ مسحـورْ   مُوسع بالأَغَانِـى

* * *

هُنـاكَ حيثُ خُطـاهْ   مَنثـورةٌ فى الطريـقْ
مازَالَ فيها الحيـاةْ   تَدْعُـو دُعـاءَ الغريـقْ !

* * *

يا أَرضُ رُدِّى إلـيكِ   هذا الوحيـدَ الغـريبْ
هَواهُ وقـفٌ علـيك   رُدِّى فتـاكِ الحـبيبْ

« سان فرانسيسكو ــ أمريكا »

ابتسامة(١)

أنِــرْ بفــؤادِى كلَّ أسْوانَ مُظْلِــمِ ... بِبَسْمَــةِ رَاضٍ فى الحيــاةِ مُنَعَّــمِ

وصَوِّرْ بها الآمالَ : إنِّــى رأيتُهــا ... تطيــفُ بريَّــا ثَغــركَ المُتَــبَسِّمِ

وطالــعْ بهــا وَجْــهَ الحيــاةِ نَدِيَّــةً ... تَمسُّ حَشاشاتِ القلوبِ بِبَــلْسَمِ(٣)

وتَسْرِى إلى الأرواحِ رُوحــاً مُهَوِّمًا (٤) ... يفــيضُ عليها من رِضاءٍ وأَنْعُــمِ

فَدَيْتُكَ لا تَأْلُ(٥) الحيــاةَ ابتسامــةً ... أرقُّ وأحنــى مِنْ خيــالٍ مُهَــوِّمِ

مُرنِّحَــةَ الأعطــافِ تُومِضُ خِلْسَةً ... وتخْطُرُ فى رِفْــقٍ بذيــالكَ الفَــمِ !

فديتُكَ أَرْسِلْهــا على الكَــوْنِ غِبْطَــةً ... تُشَافِهُهُ هَمْسَ الرَّجَــاءِ المُتَمْتِــمِ

وتدركُهــا الأرواحُ فى خَطَرَاتِهــا ... كما تدركُ الأسماعُ هَمْسَ التَّرَنُّــمِ

فديــتُكَ لا تألُ الحيــاةَ تَبَسُّمًــا ... فإنكَ لم تُخْلَــقْ لِغَيــرِ التَّــبَسُّمِ

وقتكَ الليــالى العــابساتُ عُبوسَهــا ... إذَنْ فتَــبَسَّمْ كيفمــا شِئْتَ وانعَــمِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٠ . (٢) أسوان : حزين .

(٣) بلسم : الدواء الشافى .

(٤) مَهُوماً : فى حالة نوم خفيف ، المراد فى راحة .

(٥) لا تألُ : من ألا يألو : قصَّر وأبطأ ، ومنه : إنى لا آلوك نصحا ، والمراد : لا ينقص .

التـــأمل

إلى الشاطىءِ المجهولِ والعَالَمِ الذى
حَننتُ لمرآه ، إلى الضفة الأُخْرى ؟
إلى حيثُ لا تدرى إلى حيثُ لا تُرى
مَعالمُ للأزمـانِ والكـونِ تُسْتَقْرَا

سيد قطب

بَسْمَةٌ بَعْدَ العُبُوس[1]

أو

حَياةٌ بعدَ مَوْت

بَسْمَةٌ ! أمْ تلكَ أَنْفَاسُ الحياةِ ؟ ولقاءٌ ذاكَ أَمْ رَجْعُ العُمُرْ ؟
نَفْحَةٌ تَنْفُثُها[2] تلك الشِّفاه تبعثُ الميِّتَ وتُحيي ماالْدَثَرْ

* * *

بَسْمَةٌ كاللحنِ مِنْ قِيثارَةٍ رائقِ المعنى رَقيقِ النَغَماتْ
أو شَذَىً يَأْرَجُ[3] مِنْ نَوَّارَةٍ في غُصونِ الوردِ زَاكِي النَّفَحَاتْ

* * *

بَسْمَةٌ أَنْدَىٰ على القلبِ الكَليمِ[4] من نسيمِ الصُّبْحِ أو طيفِ الأملْ
بَسْمَةٌ تُشْرِقُ في الوجهِ الكريمِ كابتسامِ الزَّهْرِ في الروضِ الخَضِلْ[5]

* * *

نَظَرَ الدهرُ إليها فابتَسَمْ وسرتْ في القَفْرِ فاخضَلَّ الجَديبْ
سَرَيانَ البُرْءِ[6] هَوْناً في السَّقِمِ[7] ودبيبُ الرُّوحِ في الميْتِ السَّليبْ

* * *

ذلك القلبُ وقد جَفَّ نَدَاه وغدَا أجوفَ كالنبتِ الهَشِيمْ
وخَبَا في أفقِه ضوءُ الحَياة وبَدَا كالمعبدِ البَالِي القديمْ

* * *

---

(١) نشرت فى فبراير ١٩٢٩ .
(٢) تنفثها : تنفخها .
(٣) أرج : فاح : انتشر الطيب .
(٤) الكليم : المجروح .
(٥) الخضل : من خَضِل يخضَلُ : نَدِى وابتلّ .
(٦) البرء : الشفاء .
(٧) السقم : المريض .

ذلك القلبُ قد اخضَلَّ وَحَنّ وأحسَّ الرُّوحَ في رِفْقٍ تَسيلْ
إذ تَراءى الأملُ الحُلْوُ الأغنّ في ثَنَايا ذلك الثغرِ الجميلْ

* * *

هَتـفتْ رُوحـي وحَيَّاه فُؤادِي في هدوءٍ شامِلٍ ضَافٍ حَنُونْ
وتـــــزودتُ من الحبِّ بزادٍ ومِنَ الإخلاصِ تُبْدِيه العيونْ

* * *

إنَّ عَينيـه إذا تَرنُــو إلــيَّ تسكب الرَّوْحَ(٨) بقلبِي والرَّجاءْ
وهو إذ يحنُو بِعِطْفَيـه عَلـيَّ يَغْمُرُ النفس بِفيضٍ من رِضَاءْ

* * *

إنَّ في عينيه مَعنى للسُّمُوِ فوقَ مايُـدْرِكُ هذا الـبَشَرْ
وبها آيـاتُ عَطْـفٍ وحُنُـوٍّ لستُ أَدْرِيها ولكِـنْ أَشْعُـرْ

* * *

أَتُرى أَنْعَمُ مِنْ بعدِ الشَّقاء ؟ أَتُرى في الشَّوْكِ قد تَحيا الوُرودْ ؟
بِحَياتِــي وأَمَانِــي الــوِضَاء عَهْدُنا الغَابِرُ لو كانَ يَعُودْ

(٨) الرَّوْح : الراحة : الرحمة .

هَدأتَ ياقلب ؟!(١)

هَدأْتَ ياقلبُ فاهدَأْ هكذَا أبداً وعِشْ هنيئاً إذا أحْسَسْتَ سُلْوانا
فجمرةُ الحبِّ قد تخبُو ويعقُبُها بَرْدُ السُّلُو وتَنْسَى كلَّ ما كانا
فلا جَفَاءٌ ولا شَكْوىٰ تُرَدِّدُهَا ولا دَلالَ وَلا وَجْداً وَتَحْنَانَا
تُمْسِي وتُصْبِحُ حُرّاً غيرَ مضطربٍ ثَبْتَ الجَنَانِ مُرِيحَ البالِ طَمْآنا
نَعَمْ سَتَعْدِمُ حِسّاً رَقَّ جَانِبُه ودَقَّ في عالمِ الإحساسِ مِيزَانَا
ومَا يُضيرُكَ من فُقْدانِ رِقَّتِه إذَا فَقَدْتَ بها بُؤسًا وأشْجَانا
وما الحياةُ إذا رَقَّ الشعورُ سِوى بؤسٍ يَجَرَّعُهُ(٢) الإنسانُ غصَّانا(٣)

* * *

ستُبصرُ الوردَ ورداً والسماءَ كما تَلُوحُ للناسِ والأكوانِ أكْوانًا !
وتُبصِرُ الحبَّ شيئاً أنتَ تَعْرِفُه وليس سِرًّا . ويَبْدُو الإلِفُ(٤) إنسانا !
خلعتَ ثوباً عليه أنتَ وَاهِبُه لولاه مَالاَحَ في الأنْظارِ فتَّانا !

* * *

فخَلِّ ياقلبُ آمالاً تجيشُ بِها فقد تغررك الآمالُ أحيانـــا
هذا الهدوءُ تُنَمِّيــه وتألَفُــه فيستحيـلُ مع الأيـامِ نِسْيانـا

---

(١) نشرت فى مايو ١٩٢٩ . (٢) يجرعه : يَبْلَعُه من جَرَعَ الماء ونحوه .
(٣) غصَّانا : من غصَّ بالماء : وقف فى حلقه فلم يكد يُسيغُه .
(٤) الإلف : المألوف (الأنيس) من أَلِفَه : أَنِسَ به .

الدنيا[1]

إيه يادُنيا وما أنْتِ سِوى عبثِ الأطفالِ فيما يلعبُون
ضَجَّةٌ صَاخِبةٌ لا تحتوِى غيرَ أصْدَاءِ قَويِاتِ الرَّنينْ
فإذا فتَّشْتَ عن مَبعثِها لم تجدْ شيئاً تُخبِّيه[2] الوُكُون[3] !

(١) نشرت ١٩٣٦ .
(٢) تُخبيه : تستره وتخفيه من خبَأ يَخْبَأ : ستر .
(٣) الوُكُون : جمع مفرده وكْنٌ والوكْن : عش الطائر حيث كان .

عودة الحياة(١)

عَجَبٌ خَفْقُكَ ياقلبى فى هذه الأضلع من بعدِ الخُفُوتْ !
أَوَما زلتَ إذنْ لم تَشْتَفِ(٢) مِنْ حنينٍ فيك حَيٌّ لايموتْ ؟

* * *

أَوَ مَازالَ إذنْ نبعُ الحياة لم يَغِضْ(٣) فيك ولم ينضبْ مَعِينُهْ
رُبَّما فَاضَ على تلك الفلاةِ فى فؤادٍ مُقْفِرٍ جَفَّتْ غُصُونُهْ !

* * *

طالَ عَهدِى أيُّها القلبُ به ذلك الخفقُ الذى ذَكّرْتَنِيه
ذلك الخَفْقُ الذى لاينتَهى حيث يَسرِى الشّعْرُ كالتيارِ فيه

* * *

كم ربيعٍ مَرَّ يتلُوه ربيعٌ وفؤادِى فى خريفٍ راكدِ
هَامِدَ الإحساسِ جَاثٍ(٤) بالضلوعِ فى حياةٍ ذاتِ نَمَطٍ واحدِ

* * *

وحُرِمْتُ الحِسَّ ، حتى بالألمِ ! والنَّدىٰ حتى بتسكابِ الدُّموع

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢ .

(٢) لم تشتف : لم يذهب غيظك من اشتفى من علته : برىء منها واشتفى من عدوه : بلغ ما يذهب غيظه منه .

والمراد : لم ترتو من حنينك حيث أن الشّافِه : العطشان .

(٣) يغيض : ينقص .

(٤) جاثٍ : من جثا يجثو : جلس على ركبتيه أو قام على أطراف أصابعه .

والمراد : ذليلا قال تعالى ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حولَ جهنمَ جِثِيًّا ﴾ .

إيه . ماأقفرَ إحساسَ العَــدَم والأمانِى راكداتٌ فى القَنُــوع[٥]

* * *

هاتِ ياقلبُ من النبضِ القَوِى وتَفَتحْ كلَّ يومٍ عَن جديـدِ
لَم يَزَلْ فى جُعْبَةِ الكَوْنِ الغَنىّ مَايُغَــذِّيكَ بأحــلامِ الوُجُــودِ

* * *

وإذا لَم تستطعْ فاخلقْ حَيَاه ! من شُخوصِ الوهمِ أو طيفِ الأمانِى
ومن الحبِّ ، وماصاغتْ يَدَاه من جحيمٍ يتلظّى أو جِنَانِ

(٥) قَنِعَ : رضى بما أُعطى ، وهو قَنِعٌ وقَنُوع .

البعث[1]

قد بُعثتُ اليومَ أحْيا مِنْ جَديدِ   فهو بَعْثٌ من حياةٍ خامِدةْ
مَرَّ نِصفُ العُمرِ أو كادَ يزيدُ   لهفَ نفسِي — فى حياةٍ رَاكدةْ

فِى حياةٍ لم أجدْ فيها حَيَاه !
بَلَغَ العُقْمُ بها أقْصَىٰ مَدَاه
وتبدتْ بَلقعاً[2] مثلَ الفَلاه

ثم لاحتْ تَتراءىٰ مِنْ بَعيدِ   شُعلةٌ مِن نارِ حُبٌ وَاقدةْ
تُلهبُ الحسَّ وتَسْتوحِى القصيدَ   والأناشِيدَ العِذابَ الخالدةْ
شاعرٌ قد صِيغَ من فيضِ الشعورِ   مُلْهَمَ الفِطْرةِ منْهُومَ[3] النَّظَرْ
نابضٌ بالعطفِ حَساسُ الضميرِ   يُدركُ الهَمْسَةَ تَسْرِى فى حَذَرْ

كيفَ يَحيا — وهو هَذا — فى عَمَاءْ
مُغْلَقَ الإحساسِ مَطْمُوسَ الرَّجَاءْ
مُقْفِرًا كالكهفِ مَحْجُوبَ الضِّياءْ ؟

هكذَا عِشْتُ كسكانِ القُبورِ   فى ربيعِ العُمْرِ فى العهدِ النَّضِرْ
آه لو أسْطِيعُ للماضِى الحسيرِ   رَجْعَةً من بعدِ ماجَاء وَمَرْ !

* * *

كنتُ أُحييه كما يَحيا الشبابُ !   نابضاً بالحبِّ جَيَّاشَ الأمانِى
مُمْسِكًا أهدابَه[4] خوفَ الذَّهابِ   مُستعزًا فيه حتى بالثوانِى !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢ .
(٢) بَلْقَعاً : خاليا من كل شىء ، يقال : مكان بلقع .
(٣) مَنْهُومُ : أُولِعَ به من نُهِمَ بالشىء فهو منهومٌ .
(٤) أهداب : مفردها هُدْبَةٌ : طرف الثوب الذى لم يُنْسَج .

ظَافــرًا أمــرحُ فيـــه كالطيـــورْ
حينما تشدُ بألحانِ البكـــــــــورْ
بعدمــا تَنْفحُهــا ريــحُ الزهــورْ

نصفُ عُمْرِي قَدْ تَوَلَّى فِى اكْتِئابِ   فلأقضِ النصفَ نشوانَ الأغانِى !
هائماً أَلْهـو بمعسولِ الرِّغَـابِ(٥)   أو أُغنِّى بالأمانـىِّ الـحِسانْ !

(٥) الرِّغاب : مفردها رغيب والرغيب : وادٍ كثير الأخذ للماء ، ويقال : رجلٌ رغيب : واسع الخطـو ينهب الأرض نهباً والمراد : مايرغبه من آمال وأحلام كثيرة .

الشُّعاعُ الخابِي[1]

لاحَ لى من جانبِ الأُفقِ شُعاعٌ   بينما أَخبِطُ فى داجى الظَّلامِ
فى صحارِى اليأسِ أَسْرِى[2] فى ارتياع   حيثُ تبدو مُوحِشاتٍ كالرِّجامِ[3]
حيثُ يَسْرِى الهولُ فيها واجما
ويطوفُ الرُّعب فيها حَائمَا
والفناءُ المحضُ يبدو جاثما
وترىٰ الأشباحَ فى رأسِ التِّلاعِ[4]   كالسَّعالى[5]، أو كأشباحِ الحِمامِ[6]
فاغراتٍ تتشهىٰ الابتلاعَ   تنهشُ اللَّحمَ؛ وتفرِى فى العِظَامِ

* * *

فَتلفتُّ على الضوءِ يَلُوحُ   مِثْلَما تَلْمَحُ عينُ السَّاهِرِ
أو كما تَهمِسُ فى الأجداثِ رُوحُ   أو كمعنى شَارِدٍ فى الخاطرِ
قد تلفتُّ بقلبٍ مُستَطارْ
شَفَّه[7] الذُّعْرُ وأضناه العِثارْ[8]
طَالما رجَّى تَباشيرَ النهارْ
ثُم أزمعتُ إلى الأُفقِ الصَّبُوحِ   أرتجى فيه أمانَ الحائرِ
أَصعَدُ الرابِىَ[9] وأهوىٰ فى السُّفوحِ   وكأنى طيفُ جِنٍّ نَافِرِ

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢ .   (٢) أسرى : أسير ليلا .

(٣) الرِّجام : من رَجَمَ القبر : وضع عليه الرِّجام والرِّجام : شاهد القبر .

(٤) التلاع : ماارتفع من الأرض .   (٥) السَّعالى : مفردها السِّعلى : الغُولُ .

(٦) الحِمام : الموت .

(٧) شَفَّه : من شَفَّ أى نَحَلَ ودقَّ من همٍّ أو مرضٍ ويقال : شفّه الحبُّ أو الهمُّ .

(٨) العِثار : الشَّرُّ أو السقوط   (٩) الرابى : الرابية والرابية ماارتفع من الأرض وعلا .

ثُم ماذا ؟ ثم قَدْ سَاد الحَلَكْ(١٠)   فَجْأَةً والقَبَسُ الهادى خَبَا
ثم أحسستُ بدقاتِ الفَلَكْ   لأهثاتٍ . تتراخى تَعَبَا

رجفةُ الخائِف أضْنَاهُ العَيَاءْ
وهو يعدُو لأهثًا عَدْوَ الطَّلاءْ(١١)
قبلما يَلْحقُها غُولُ الفَنَاءْ

وإذا قلبي خَفُوقٌ مُنْتَهَكْ   ليس يَدرى لخلاص سَبَبَا
حولَه الظُّلْمةُ فى أىِّ سَلَكْ   حيثُ ينسى الهارِبُون الهَرَبَا !

* * *

قلتُ ماذا ؟ قال لى رَجْعُ الصَّدَى   إيه ماذا ؟! قلتُ للوهمِ عَلامَا ؟!
قال لى اخشعْ أنت فى وادِى الرَّدَى   حيث يَطْوِى الضَّوءَ طَرًّا(١٢) والظَلامَا !

ها هنا تُثوى الأمانِى ؛ هَا هُنا
فى مَهاوِى اليأسِ فى كَهْفِ الفَنَا
كلُّ شىءٍ هالِكٌ ، حتى أنَا !

ثم ضَاعَ الصوتُ يَفْنَى بَدَدَا   وتَلاشَى تاركاً مِنه التَمامَا(١٣)
وإذا بِى عُدْتُ أسْرِى مُفْرداً   لأرى شيئاً ، ولا أدْرِى إلامَا !

---

(١٠) الحلك : شدة السواد .   (١١) الطَّلاء : مفردها الطَّلا ، والطَّلا : ولد الظبية .
(١٢) طَرًّا : من طَرّ أى كان طريداً ذا رُواءٍ وجمال .   (١٣) التماما : نهاية الصدى قبل تلاشيه [فنائه] .

فى الصحراء[1]

فى ليلةٍ من ليالى الخريف المقمرة ، الراكدةِ الهواء ؛ المحتبسة الأنفاس ، وفى صحراء جبل المقطم الموحشة ، وبين هذا القفر الصامت الأبيد[2] — كانت تتراءى نخلات ساكنات فى وجوم كئيب ومن بينها نخلتان : إحداهما طويلة سامقة ، والأخرى قصيرة قميئة .

بين هاتين النخلتين دار حديث . وكانت بينهما همسات ومناجاة !

* * *

الصغيرة :

مالنا فى ذلك القفرِ هُنا مَابَرحنا منذ حين شَاخِصَاتْ ؟
كلُّ شيءٍ صامتٌ مِن حَوْلنا وأرانا نحن أيضاً صَامتاتْ !؟
تطلُعُ الشمسُ علينا وتغيبْ
ويطلُّ الليلُ كالشيخ الكئيبْ
والنجومُ الزُّهْرُ تغدُوَ وتئوبْ
وهجيرٌ وأصيلٌ ... وطلوعٌ وأفولٌ ...ثم نبقَى فِى ذهولٍ
سَاهماتْ !

* * *

أفلا تدرينَ ياأُختى الكبيرةُ ماالذى أطْلَعَنا بينَ اليبابْ ؟
أيُّما إثْمٍ جنيْنا أو جريرةٍ سَلَكَتْنا فى تجاويفِ العذابْ ؟
قد سئِمت اللَّبْثَ فى هذا المكانْ
لَبثَةَ المَصلُوبِ فى صُلْبِ الزمانْ
أفما آن لتبديلٍ .... أوانْ ؟

---

(١) نشرت ١٩٣٢ .
(٢) الأبيد : الموحش .

حدثينى لِم نَشْقَى ... ؟ حَدثينى كَمْ سَنَلْقَى ؟... حدثينى كَم سَنَبْقَى ؟
واقفاتٌ ؟

* * *

لكبيرة :

نا يا أُختاه : لاأدرِى الجوابَ ودَفِينُ السِّرِ لم يُكْشَفْ لَنا
نذ ما أطلعتُ فى هذا الخرابِ وأنا أسأَلُ : ماشأْنِى هُنا ؟

فيجيبُ الصمتُ حَولى بالسُّكُونْ !
وأنا أخبِطُ فى وادِى الظنونْ
لستُ أدرى حِكْمَةَ الدَّهرِ الضنينْ(٣)

غير أنّا حائراتٌ ... والليالى العابثاتُ ... تتجنّى ساخراتٍ
لاهياتٌ !

* * *

ربّما كُنّا أسيراتِ القَدَرِ تَسْخَرُ الأيامُ مِنّا والليالِى !
ضربُ الأمثالُ فينَا والعِبَرَ وإذا نشكُو أذَاها لا تُبَالِى !

رُبما كُنا مَساحِيرَ الزَمنْ !
قد مُسِخْنَا هكذا بين القُنَنْ(٤)
فى ارتقابِ الساحرِ المُحْيى الفَطِنْ !

فإذا كان يعودِ ... فكَّ هاتيك القيود ... فرجعنا للوجودِ
ظَافراتٌ !

* * *

أو ترانا نَسْلَ أربابِ قُدَامى قد جَفَاها وتولّى العابدُون !
جَفَّتْ الكأسُ لديها ، والنَّدامَى غادروا ندوتَها تَنْعِى القرُون
أو ترانا مَسْخَ شيطانٍ رجيمْ !
صاغَنا فى ذلك القفرِ الغَشُومْ !

---

(٣) الضنين : البخيل : الشحيح .
(٤) القنن : مفردها قُنّة : وهى أعلى الشيء .

وتولّى هارباً خوفَ الرُّجُومْ !(٥)

فبقينا فى العَراءِ ... يجتوينا(٦) كلُّ راءٍ ... وسَنَبْقَى فى جَفاءٍ
شارداتْ

* * *

لستُ أدرِى ، كلُّ شيءٍ قد يكونُ فَتَلَقَّي كلَّ شيءٍ فى سُكُونْ
وإذا ما غَالنا غُولُ المَنونِ فهنا يَغْمُرُنا فيضُ اليقينْ !

* * *

ثم سَادَ الصمتُ كالطيفِ الحزينْ
وتَسَمَّعْتُ لأقدامِ السنينْ
وهى تَخْطُو خَطْوةَ الشيخِ الرزينْ
هامساتٍ فى الرمالِ ... مُنشِداتٍ فى جلالٍ ... كلُّ شيءٍ للزوالِ
والشتاتْ

---

(٥) الرُّجُوم : القتل بالحجارة من الرَّجم .

(٦) يجتوينا : يكرهنا من اجتوى : كره .

بين الظلال[1]

يا ذكرياتى البعيدةَ في عالمِ الأشباحِ
يا أمنياتِى الشرّيدةَ في عالمِ الأرواحِ
إلىّ قبلَ الصباحِ

إلىّ مِنْ كلِّ صوبٍ في عُزلتى وانفرادِى
فَهينمِى[2] حولَ قلبى ورَفْرِفى في فؤادِى
فأنت وَحْيِى وزَادِى

غفلْتُ يا ذِكْرياتى عن وحيكِ القُدسيِّ
بين اصطخابِ[3] الحياةِ بكلِّ صوتٍ دَوِيٍّ
وكلِّ جَأرٍ[4] قوِيٍّ !

سهوتِ ياأمنياتِى عن النِّداءِ الخفىِّ
إلى مَراقِى الحياةِ إلى الخلودِ النَّقِىِّ
بحاضرٍ مَأتِيٍّ ![5]

يا ذكرياتى البعيدةَ في عالمِ الأشباحِ
ياأمنياتِى الشريدةَ في عالمِ الأرواحِ
إلىّ قبلَ الصَّباحِ

* * *

---

(١) نشرت في ١٩٣٤ .

(٢) الهينمة : الصوت الخافت .

(٣) الاصطخاب : الصياح والتضارب .

(٤) الجأر : الضخم (من الرجال) .

(٥) مأتى : آتٍ من يأتى .

الليلُ أرْخى سُتُوره في هُدْأةٍ كالخُلودِ
والبدرُ أرسَلَ نوره كبَسْمَةٍ من وَليدِ
راضِي المُحيَّا سعيدِ

وخَفَقَ الكونُ خفقاً قد ضَرَّمتْهُ[6] اللياليِ
وعادَ يَهْمِسُ رِفْقاً بذكرياتِي الخَوالي
وأمنياتِي الغَوَالي

وجدتُ نفْسي وكانتْ ضَاعَتْ ضَياعَ الإِياسِ[7]
ورُضْتُ نفسِي فَلانتْ من بَعْدِ طولِ الشِّماسِ؟[8]
وبَعْدِ صعبِ المِراسِ

ورفرفتْ ذكرياتٌ أثَرنَ قَلْبي حنينَا
ونضَّرَتْ أمنياتٌ ذَبُلْنَ كالزهرِ حِينا
فيالصنعِ السنينَا

ياذكرياتي البعيدةَ في عالمِ الأشباحِ
يا أمنياتي الشريدةَ في عالمِ الأرواحِ

إلَيّ قبلَ الصباحِ
فالفجرُ في الكونِ لَاحَ
والصبحُ يُذْكِي الصياحَ

فأقبلِي في انفرادِي ورفرفِي في فؤادِي

(٦) ضَرَّمته : بالغت في إشعال النيران . (٧) الإياس : المراد فاقد الأمل نهائيا .

(٨) الشِّمَاسُ : الإباء : الرفض اعتزازا بالنفس .

(٩) المِرَاس : يقال : فلان ذو مِرَاس : جَلَد وقوة وممارسة للأمور .

الإنسانُ الأخير(١)

صَحَا ذاتَ يومٍ حينَ تَصْحُو البَواكِرُ ... وتستيقظُ الدُّنيا وتَجلُو الدَّياجِرُ(٢)
ويُشْرِقُ وجهُ الصُّبحِ فى غمرةِ الدُّجَىٰ ... كما تشرقُ الآمالُ واليأسُ غامِرُ
وتضطربُ الأنفاسُ خَفَّضَها الكَرىٰ ... وتخفقُ أرواحٌ وتَذْكُو مَشَاعِرُ
وحينَ يعِجُّ(٣) الكونُ بالصوتِ والصَّدىٰ ... وبالكدحِ تُزجِيه المُنى والمخاطرُ
وبالصرخةِ الهوجاءِ والضحكةِ التى ... يَضِجُّ بها الأحياءُ ، والدَّهرُ سَاخِرُ

* * *

ولكنّه لم يُلْفِ بالكونِ نَأْمَةً(٤) ... تَنِمُّ(٥) على حىٍّ ، ولم يَهْفُ(٦) خاطرُ
ففى نفسِه ما يُشبه الموتَ سَكْرَةً ... ومن حولِه موتٌ نَمتْه المقابرُ
جَلالٌ كأنَّ اللهَ أطلَعَ وَجهَه ... عليه ؛ فقرّتْ فى النفوسِ الضمائرُ
وصَمْتٌ فما فى الكونِ صوتٌ ولا صَدَىٰ ... ولا خَفْقَةٌ يُحْيِى بها الكَوْنَ شاعرُ
فأدركَ فى أعماقِه عَن بَديهةٍ ... نهايةَ ما صارتْ إليه المصائرُ

* * *

وما هَمَّ بالتنقيبِ عن أىِّ صاحبٍ ... ففى نفسِه يأسٌ من النفسِ صادرُ
ولكنه أَلْقَىٰ بها عَبْرَ نظرةٍ ... على الكونِ والأيامِ وهى دوائرُ

---

(١) نشرت ١٩٣٤ .
(٢) الدَّيْجُور : الظلام والجمع : دياجر .
(٣) عَجَّ يعِجُّ : رفع صوته وصاح . يقال : عجّ إلى الله بالدعاء .
(٤) نأمة : الصوت الضعيف الخفى أيًّا كان .
(٥) تَنِمُّ : تظهر والمراد تدلّ .
(٦) لم يهفُ : هَفَا يهفو : حنَّتْ واشتاقتْ أو طربت ؛ هفا القلبُ : خفَقَ .

رُكامٌ[٧] وأشلاءٌ[٨] وأطلالُ[٩] نعمةٍ ... وبؤسٌ ، وشتّى ما حوَته الأداهرُ
وفى نفسِه من مثلِها كلُّ ذرَّةٍ ... فهاتيك أشلاءٌ وهَذِى خواطرُ
تَجمَّعَ فيها ما تَفرَّق فى الورَى ... وما ضَمِنَتْ تلك السُّنونُ الغوابرُ
خلاصةُ أعمارٍ وشتّى تجاربٍ ... ومجمعُ أشواقٍ بها الكونُ حائرُ

* * *

وأوغَلَ فى إطْراقةٍ مِلْؤُها الأسَى ... فمرّت عليه الذكرياتُ العَوابرُ
تَحثُّ خُطَاها مَوْكِباً إثْرَ مَوْكِبٍ ... وقد جاورتْ فيها المآسِى البَشَائرُ
وأقبلتْ الآمالُ واليأسُ حَولها ... تُمزِّقُها أنيابُه والأظَافرُ
وجمّع فيها الخيرَ والشرَّ رابطٌ ... من النفسِ مشدودٌ إليها مُخامِرُ[١٠]
وشَتّى عباداتٍ وشتى عقائدٍ ... يُؤلِّفُها الإيمانُ وهى نَوافرُ
وفيها من المجهولِ سرٌّ وروعةٌ ... ورغبةُ محرومٍ وخوفٌ مُساوِرُ[١١]
وقد كانَ فى المجهولِ مَطْمَحَ كاشفٍ ... تُحَجِّبُه عن طالبيه السَّتائرُ
فياليتَه يَدْرِى بما خَلْفَ سِتْرِهِ ... فيختمِ[١٢] سِفْرَ الناسِ فى الأرض ظَافِرُ !

* * *

وعَادتْ له الآمالُ إذ جدّ مَطْمَحٌ ... يُرَجَّى ، وأذْكاه الخيالُ المغامرُ
لعلَّ وراءَ الكونِ مِفْتَاحُ لُغْزِهِ ... وطِلْسم ما ضُمَّتْ عليه السَّرائِرُ
وما هى إلا وَمْضَةٌ تَكْشِفُ الدُّجَى ... ويخلعُ هذا الجسم والجسمُ جائِرُ
ولولا مواثيقُ الحياةِ تَشدُّه ... إليها لأمضَى عَزْمَهُ وهو صَابِرٌ .
وخلَّف هذا الجسمَ للموتِ والبِلَى ... وأشرقَ رُوحا حَيثُ تَصفُو البصائرُ
وعَاودَه حبُّ الحياةِ لِذاتِها ... وقد أجْفَلتْ تلك النّوازِى[١٣] الكوافِرُ

---

(٧) الرُّكامُ : ماتجمع من الأشياء وتراكم بعضه فوق بعض .
(٨) أشلاء : مفردها شِلْوٌ : أجزاء الميت الذى بَلِىَ .
(٩) أطلال : مابقى من آثار الديار .
(١٠) مخامر : خامَرَ الشيء : مارسه وخالطه وخامر المكان : لزمه وأقام به .
(١١) مساور : واثب ثائر ، يقال : ساورته الهموم والهواجس والأفكار : صارعته .
(١٢) سِفْرَ الناس : كتاب الناس .
(١٣) النوازى : جمع نازية والنازية : الحِدة والنشاط .

وهاجتْ به الأطماعُ حُبَّ اعتلاكِها ... له وحدَه والناسُ مَيْتٌ وداثِرُ[14]
فعادَ إلى الدُّنيا العريضةِ مالكاً ... ولَا مَنْ يُلاحيه[15] ولا مَن يُشاطرُ[16] !
ولكنّه لم يستطبْ مُلْكَه الذى ... تمحَّضَ لا يسعى به أو يغامرُ
وما فيه من كدٍّ ولا من تسابق ... ولا سابقٌ فى الكادحين وقاصرُ
وكيفَ يطيبُ العيشُ إلا تزاحماً ... فيربَحَ مجدودٌ ؛ ويَخسرَ عاثِرُ ؟!

* * *

هنا لك دوّتْ فى السماكين[17] صيحةٌ ... دعاءٌ لعزرائيلَ والكونُ سادِرُ[18]
« بَرِمْتُ بهذا الكونِ هَمدانَ مُوحِشاً ... بَرِمْتُ بمُلكٍ ربُّه[19] فيه خاسِر »
« فهيا إذنْ للموتِ أرْوحُ رِحلةٍ ... لِتُكْشَفَ أستارٌ ويَهدأَ ثائرُ »

* * *

وفيما يُعانى سَكْرةَ الموتِ هَينَمتْ[20] ... إلى مَسْمَعيه هاتفاتٌ سواحِرُ
« هو السِّرُّ أن تهفو إلى السِّرِّ لهفةً ... وأن تَشْتَرُوا الآتى بِما هُو حَاضِرٌ » !

---

(١٤) داثر : من دَثَرَ الشىء : قدُمَ ودَرَسَ والداثر أيضا : الغافل أو من لا يعبأ بالزينة ولا يستعمل الأدهان .
(١٥) يلاحيه : يقبحه ويلعنه .
(١٦) يشاطر : من شطَرَ الرجل على قومه : أعيا قومه شرًّا وخبثاً .
(١٧) السماكين : نجمين نيرين ، والمراد فى السماء .
(١٨) السادر : من سَدَرَ : تحيّر بصره أو لم يهتم ولم يبال ماصنع فهو سادر .
(١٩) ربّه : صاحبه .
(٢٠) هينمت : من هَيْنَمَ : تكلّم وأخفى كلامَه .

إلى الشاطىء المجهول(١)

تَطِيفُ بنفسي وهي وَسنانة(٢) سَكْرَىٰ ... هواتفُ فى الأعماقِ سَارِيةٌ تَتْرى(٣)
هواتفُ قد حُجِّبْنَ ؛ يَسرِين خِفْيةً ... هوامسُ لَم يكشِفنَ فى لحظةٍ سِتْرا
ويَغْمُرنَ من نفسي المجاهلَ والدُّجَىٰ ... ويُجَنِّبْنَ من نفسى المعالمَ والجَهْرا
وفيهن مَنْ يُوحين للنفسِ بالرِّضا ... وفيهن مَن يُلْهِمْنَها السُخْطَ والنُكْرا
ومن بينِ هَاتيك الهواتفِ مَا اسمُه ... حنينٌ ؛ ومِنهُنَّ التشوقُ والذِّكْرىٰ !
أَهَبْنَ بنفسِي فى خُفوتٍ وروعةٍ ... وسِرنَ بهمسٍ ، وهى مَأخُوذةٌ سَكْرَىٰ
سَواحِرُ تَقْفوهُن(٤) نفسي ولا ترى ... من الأمرِ إلا ما أردنَ لها أمرًا !
إلى الشاطىءِ المجهولِ ، والعَالَمِ الذى ... حَنِنتُ لِمرآه ؛ إلى الضِفَّةِ الأُخرىٰ
إلى حيثُ لا تدرى إلى حيثُ لا تُرىٰ ... معالمُ للأزمانِ والكَوْنِ تُستَقْرا
إلى حيثُ « لا حيثُ » تُميزُ حدودَه ! ... إلى حيثُ تَنسى الناسَ والكونَ والدَّهرا
وتشعر أن (الجزءَ) و (الكلَّ) واحدٌ ... وتَمْزِجُ فى الحسِّ البداهةَ والفِكْرا
فليس هُنا (أمسُ) ولَيس هنا (غدُ) ... ولا (اليومُ) فالأزمانُ كالحَلْقَةِ الكُبْرىٰ
ولَيس هنا (غيرُ) وليس هنا (أنا) ... هُنا الوَحْدَةُ الكُبْرىٰ التى اِحْتَجبتْ سِرًّا

* * *

خَلَعتُ قيودِى ؛ وانطلقتُ مُحَلِّقاً ... وبِى نشوةُ الجبارِ يَستلهِمُ الظُّفْرا
أُهَوِّمُ فى هذا الخلودِ وأرتقى ... وأَسْلُكُ فى مَسْراهُ كالطيفِ إذ أَسْرَىٰ
وأكشفُ فيه عَالماً بعدَ عالمٍ ... عجائبَ ما زالتْ ممنَّعةً بِكْرا
لقد حَجَبَ العقلُ الذى نَستشيرُه ... حقائقَ جلَّتْ عن حقائقنا الصُّغْرىٰ
هُنا عَالَمُ الأرْواحِ فَلْنَخْلَعْ الحِجَا ... فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسِّحْرا

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) وسنانة : أخذت فى النعاس ؛ وهو مبدأ النوم .
(٣) تترى : متتابعة .
(٤) تقفوهن : تتبعهن .

السر[1]

أو

الشاعر فى وادى الموتى

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادى الموتى فى أوقات مختلفة ، أكثر ما تكونُ عند مغربِ الشمس ، وقبلَ طلوعها !

وهو يجد فى هذه الزيارات ، لذةً غريبةً ، كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غيرِ محدودة ؛ ولكنها تُثيرُ فيه الشوقَ لمعاودتها كَرَّةً أخرى .

وفى مرةٍ منذ ستةِ أعوام ؛ أَرِقَ فى الهَزِيع[2] الثانى ، فجال بخاطره ، أن يلجأ إلى حِمى المَوتى ، مدفوعاً بشعورٍ غامض ، لا يبالى وحشةَ مثل هذه الأماكن ، فى جُنْحِ[3] الليل المُدْلَهِم[4] !

وسار خطوات ، ولكنه أحس بالرهبة ؛ وساوره الوجل ، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى ، ثم تُوجه إليه الخطاب .

ليس للشعر يد فى هذا التصوير ؛ فهو الحقيقة التى أحسها ، كما يسمعُ الصوتَ ، وكما ينظر المرئياتِ .

وقد عاد صامتا واجماً[5] ؛ وبعد أن ذهب عنه الرَّوع[6] ، حاول أن يفسر عن طريق (الوعى والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة ، وما شعر به فى أعماق نفسه .

ولقد ظل يعجز عن ذلك ، كلما حاوله ؛ مدى ستة أعوام ، حتى استطاع فى هذا العام ، أن يترجم هذا الشعور شعرا ؛ بعد أن فقد كثيرا من روعته ، ووصل إلى الدرجة التى يستطاع عنها التعبير .

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) الهزيع : الثلث أو الربع من الليل .

(٣) جُنْح الليل : ظلامه أو جزء منه .

(٤) الليل المدلهم : الشديد الظلمة .

(٥) واجماً : سَكَتَ فَزَعاً .

(٦) الروع : الخوف والفزع .

مَنِ الطــارِقُ السَّارِى خلالَ المقابــرِ كخفقةِ رُوحٍ فى الدُّجْناتِ(٧) عَابرُ ؟
منِ الوجِلُ المذعورُ فى وحشةِ الدُّجَى تقلُّبــه الأوهــامُ فى كلِّ خاطــرِ ؟
ينقِّلُ فى تلك الدياجير(٨) خَطْوه ويخطرُ فى هَمْسٍ كَهَمْسِ المُحاذرِ ؟
وقد سَكَنَتْ مِنْ حَولِه كلُّ نأمــةٍ(٩) سِوى قلبِه الخفاقِ بينَ الدَّياجــرِ ؟
وغشَّاه رَوعُ الموتِ ، والموتُ رَوعــةٌ تَغْشَى ، فيعنو(١٠) كلُّ نِكْسٍ وَقادرِ ؟(١١)

* * *

« هو الشاعرُ الملهوفُ للحقِّ والهُدَى وللسرِّ لم يَكْشِفْه ضَوءٌ لناظــرِ !
تحيَّــر فى سرِّ الحيــاةِ ومــا اهتــدى إليه ، ولَم يَقْنَعْ بتلكَ الظَّواهرِ
وسَاءلَ عنه الكونَ والكــونَ حائــرٌ يسيرُ كَمغْصُوبٍ بأيدِى المقــادرِ !
وسَاءَلَ عنه الموتَ ، والموتُ سَادرٌ(١٢) وسَاءلَ عنه الشِّعرَ فى حَنَقٍ(١٣) ثَائرِ ! »
وسَاءلَ عنه كلَّ شيءٍ ، فلــم يَفُــزْ بشيءٍ ولم يرجــعْ بِصَفْقَــةِ ظَافــرِ

* * *

أفى هذه الأجــــداثِ طِلْسمُ سِرِّه لعلَّ ! فمــن يَدْرِى بسرِّ المقابــرِ ؟
ألم يخلعْ الموتَى الأحابيلَ(١٤) كلَّهـا ؟ أحابيلَ أوهـامِ الحيـاةِ الجَوائِــرِ !(١٥)
ألم يتركُــوا الدُّنيــا الغَــرورَ لأهلِها ؟ويستوثقُوا مما وراءَ المصائرِ ؟
ألا تهمسُ الأرواحُ بالسرِّ إنْ سَرَى إليها ؟ ، ألا تُهدِى اليقينَ لحائــرِ ؟
أجلْ ! رُبَّمـا تُعطِى الجوابَ لسائــلٍ ورُبَّمــا تجلُــو المصيــرَ لشاعــرِ !

* * *

وفيما يُناجِى فى حِمَى الصمتِ نَفْسه تَسمَّــعَ هَمْساً من خلالِ الحَفائِــرِ
« مَنِ الطارِقُ السَّارِى خلالَ المقابــرِ فَأقلَقَ مِنَّا كلَّ غَافٍ(١٦) وسَاهرِ » ؟

---

(٧) الدُّجنَات: الدُّجنَةُ :السواد أو الظلمة الدُّجْنَةُ : الدُّجُنَةُ .
(٨) الدياجير : مفردها دَيْجُور : الظلمة . (٩) نأمة : الصوت الهامس .
(١٠) يَعنُو : يخضعُ ويَذِلّ. (١١) نِكْسٌ : ضعيفٌ .
(١٢) سادر : غير مبال بشيء . (١٣) حَنِق يَحنَقُ حَنَقاً : اشتد غيظُه .
(١٤) الأحابيل : مفردهـا الأُحبُولُ : والأُحْبُولةُ : المصيدة ، والمراد : المظاهر الخادعة التى رفع فى الشَّرَكِ أو المصيدة .
(١٥) الجوائر : مفردها جائرة : من جَأَرَ : رفع صوته والمراد ماتخدعنا به الحياة من أوهام وخدع واضحة صارخة .
(١٦) غاف : من غفا يغفو : نام نوما خفيفاً .

« أما يَقْنَعُ الأحياءُ بالرَّحْبِ كلِّه ؟ أيَا ويحَ للأحياءِ صَرْعَى المَظَاهرِ »
« تَركْنا لهم دُنْياهُمو ودِيارَهم ولم يَدْعُونا فى حِمى غيرِ عَامرِ »

* * *

وقالَ فتى مِنهم حديثٌ قُدومُه بنَغْمَةِ إشفاقٍ ، ونَبْرةِ سَاخِرِ !
« لعلّ الذى قَدْ دَبَّ فى ذَلك الحِمىٰ وأيقظ فى أحْشَائِه كلَّ سَادِرِ »
« أخو صَبْوةٍ ، يهفُو إلى قبرِ مَيِّتٍ لَهُ عنده وَجْدٌ وتَحنانُ ذَاكرِ »
« يقرِّبه منها التَّذَكُّرُ والهوىٰ وتُبعِدُه عنها غِلاظُ السَّتائِرِ »
« ومَا أخدعَ الحبَّ الذى فى ديارِهم يُغَشِّى عَلى أبصارِهم والبَصائرِ »
وقالتْ لَهم أُمٌّ وفى صوتِها أسىً وَنَبْرةُ تَحنانٍ ، وكِتْمانُ صَابرِ
« ألا رُبَّما كانتْ ثَكُولاً حَزِينةً على فَلْذةٍ مِنْ قَلبِها المُتَناثِرِ »
« ورُبَّما كانتْ عَجُوزاً تأيَّمتْ[17] وضَاقتْ بِدَهْرٍ نَاضِبِ العَونِ غَادِرِ »

* * *

وقَدْ ذَهبُوا فى حَدْسِهم[18] كلَّ مَذْهبٍ وفيما حَوَتْه نَفْسُه مِنْ مَشاعرِ !
وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يلْوِى كأنّما هو الدهرُ فى صوتٍ من الرّوعِ ظَاهرِ
« مَنِ الطارقُ السَّارِى خلالَ المقابرِ فأقلق مِنَّا كُلَّ غَافٍ وسَاهِرِ ! »

* * *

فقال أخو الأحياءِ ، والقلبُ خافِقٌ مِنَ الوَجَلِ الأخّاذِ ، فى صَوْتِ حاسرِ
« أنا الحىُّ لمَّا يدرِ أسبابَ خَلْقِهِ أنا المُدْلِجُ[19] الحيرانُ بينَ الخواطِرِ »
« دلفتُ إلى وادِى المَنَايَا لَعلَّنى أفوزُ بسرٍّ فى خَنَاياه غائرِ » ؟
« أما تَعلَمُون السرَّ فى خَلقِ عَالَمٍ يموتُ ويَحيَا بينَ حينٍ وآخرِ » ؟
« وَتكْنُفُهُ الأحداثُ من كلِّ جَانبٍ ويركبُ للغاياتِ شتى المَخاطرِ » ؟
« وليس لَه من غايةٍ غيرَ أنّهُ مَسُوقٌ إلى تحقيقِ رَغْبةِ قَاهرِ » !
« ضنينٌ بما يَبغِيه ليس يُبيحُه لِسَائِلِه عَمَّا وراءَ الظَّواهرِ »

---

(١٧) مات زوجها . (١٨) حَدَسَ : ظنَّ وخمَّنَ .
(١٩) المدلج : من أدْلَجَ القوم : ساروا آخر الليل أو ساروا الليل كله .

« وماذا لقِيتم بعد ما قَدْ خَلَعْتُمو   قيودَ الليالي الخادعاتِ المَواكرِ ؟
« وماذا وراءَ الغيبِ ؛ والغيبُ مُطْبِقٌ ؟   وهَل يتجلّى مرةً للنواظرِ ؟ »
« سؤالُ أخي شوقٍ ، وقد طالَ شوقُه   وحيرتُه ، بينَ الشكوكِ الكَوافرِ »

* * *

أَرَيْتَ[٢٠] لو أنَّ الهولَ صوّرَ منظراً   تُجلِّلُه الأخطارُ جَدَّ غوامرِ ؟
كذلكَ سَادَ الصمتُ بين الحفائرِ   ورَانَ على أرواحِهم والضّمائرِ
وأَذْهَلَ هَاتيكَ النفوسَ فَخفّضَتْ   من البَهْرِ[٢١] والإعياءِ دقّاتِ طافرِ ![٢٢]

* * *

وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يَذْوِى كأنّه   يُحَدِّثُ مِن كَوْنٍ قَصِيِّ المَعَابرِ !
« أيا وَيْلها تلكَ الحياةَ وأهلَها   تُكَشِّفُ عن بلوائِها كلَّ سَاترِ » !
« وتطلبُ أسبابَ الشّقاءِ لنفسِها !   فتضربُ فى تيهٍ من الشكِّ غامرِ »
« وتسألُ عن « سرٍّ » وليستْ بحاجةٍ   إلى السرِّ تَشْريه بِأَنْفَسِ حَاضرِ » !
« لقد أغمضَ الموتُ الرحيمُ جفونَنا   وهَدَّأَ فى أفكارِنا كلَّ نافرِ »
« نسينا سؤالاً ؛ لم يزلْ كلُّ كائنٍ   يردِّدُهُ حيرانَ فى حَزْرٍ[٢٣] حَازرِ
« نسيناه فارتَحْنا من الحَيْرةِ التى   خَسِرْنا بها الأعمارَ جَدَّ نواضرِ »
« وها أنت ذا تُذْكِيه . يا لكَ جائراً   ويا لكَ مخدوعاً بسرِّ المَقَابرِ » !
« وها نحنُ وَدَّعنا هدوءاً وهينةً   شرينَاهما بالعُمرِ ، يا للخسائرِ » !
« أرَيْتَ لو انَّ الهولَ صَوَّرَ مَنظراً   تجلّلُه الأخطارُ جَدَّ غوامرِ ؟
كذلكَ سَادَ الصمتُ بينَ الحفائرِ   ورانَ على أرواحِهم والضمائرِ
وأذهَلَ هَاتيكَ النفوسَ فخفّضتْ   من البهرِ والإعياءِ دَقّاتِ طَافرِ

* * *

---

(٢٠) أريت لو ان : أرأيت لو أن .

(٢١) البَهْر : من بَهَرَه : أجهده حتى تتابعَ نَفَسُه . ويقال : بَهَرَه الأمر : أجهده وأتعبه .

(٢٢) طافر : من طَفَرَ الشيءَ : قفز من فوقه وتخطّاه إلى ماوراءه ، والمراد : دقات طافر دقات القلب المذعور .

(٢٣) حَزْرٍ : تخمين وحَدْس .

وعَـاد أخـو الأحيـاءِ يعطُـو[٢٤] بحسرةٍ ... ولهفــةِ محرومٍ ، وإعيــــاءِ خائــــرِ

لقـد كانَ فى المَوتىٰ وفى الموتِ مَأْمَلٌ ... يُعلله بالـكَشْفِ عن كلِّ ضَامرِ[٢٥]

فألفــىٰ سَرابــاً ثمَّ لا يَنْقَــعُ الصَّدَىٰ ... فوا ندمــــاً عن بحثِـــه المُتَواتــــرِ !

فقـد كان خيراً أن يعيشَ على المُنَـــىٰ ... ويأمـلَ بعـــدَ الموتِ كَشْفَ السَّتائــرِ

ويالـــيتَ هذا الموتَ يُسْرِعُ خطــوهُ ... فيَطْوِى حَيـا عُمــرِه رِبْــحَ خاسرِ !

---

(٢٤) يعطو : يسير بطء .

(٢٥) ضامر : ماخفى فى القلوب

التجارب(١)

كثيرا ما يَبْرَمُ الإنسانُ بماضيه أو حاضره ، ويسخطُ على تجاربه ومصائبه !

وقد تصوَّر الشاعر شقياً أعفته الأقدارُ من ماضيه وتجاربه ، وأطلقته كأنما وُلِد في لحظتِه ، ولكنه لم يستطبْ حالَه ، لأنه لم يجدْ رَكيزةً يَرْكَنُ إليها ، وودَّ لو أن الأقدار وهبته ماضيا سعيدا ؛ فاستجابت له . ولكنه عاد يشعرُ بغربتِهِ عن ذلك الماضى ، ولم تعدْ هناك قيمة لآمالِه ، التى خلقها ماضيه هو ، وارتبطت به ، وعندئذ عاد لماضيه فى لهفةٍ واشتياقٍ إليه .

* * *

شَكَا بُؤسَ ماضيه الحَفيلِ(٢) الجوانب ... بكلِّ مُصابٍ فادحِ العِبْءِ صَائبِ !
وضَاق به صدرًا على طُولِ صُحْبَةٍ ... تُمِلُّ ، ويَا بِئْسَ الأَسَى من مُصَاحِبِ !
وودّ لو انَّ الدهرَ يُعْفِيه بُرهةً ... من الغَابرِ المملولِ جَمِّ النَّوائبِ
فأصْغَتْ له الأقدارُ فى أُمْنياتِه ... على أنها لم تُصْغِ يوماً لِطالبِ
وأعْفَتْه من ماضِيه حتى كأنَّه ... وليدٌ خَلِيُّ القلبِ من كلِّ نائبِ !

* * *

نَضَا(٣) عَنْه أَعْبَاءَ السِّنينَ الغَوارِبِ ... ونَحَّى عن الآمالِ قيدَ التجارِبِ
وعَادَ طَلِيقاً لا يُعوِّقُ خَطْوَه ... مِرَاسٌ(٤) ؛ ولا يَثْنِيه خَوفُ العَواقِبِ
وخُفِّضَ صوتُ الذكرياتِ أو امَّحى ... وجَلْجَلَ كالنَّاقُوسِ صَوتُ الرَّغائبِ

---

(١) نشرت ١٩٣٤ .
(٢) الحفيل : الكثير .
(٣) نضا الشىءَ : نزعَه وألقاه .
(٤) من مَرِسَ يَمْرَس : كان شديدا فى معالجة الأشياء فهو مَرِسٌ والجمع أمْرَاسٌ ، مِرَاسٌ أى ذو الشدةِ العظيمةِ .

وآضٍ(٥) وليدُ اليومِ فى مَيْعةِ(٦) الصِّبا جديداً بدنياه ؛ جديدَ المطالبِ
بعيداً عن الماضِى الذى آدَهُ(٧) الأسَى وحَفَّتْ به الأحداثُ من كلِّ جَانبِ

* * *

ولكنّه ألْفَاه أسْوانَ(٨) مُوحشاً كما أُفْرِدَ الإنْسِيُّ من كلِّ صَاحبِ
وألْفَاه فى هذِى الحياةِ كأنّه غريبٌ عَرا(٩) ، فى عَالَمٍ مِنْ غرائبِ
وألفاه مقصوصَ الجَناحِ إذا هَفَا إلى الأوجِ(١٠) لم يُسْعِفْه عزمُ المُغَالبِ(١١)
وإنْ هَمَّ لم يُبْصِرْ له من ركيزةٍ تُضَاعَفُ عندَ الوَثْبِ جَهدَ المُواثِبِ(١٢)
وقَدْ أبصرَ الآمالَ عَرْجاء لم تجدْ لها سَنَداً من ذِكْرياتٍ ذَواهبِ(١٣)
فعادَ إلى الأقدارِ يشكُو صَنيعَها ويُوسِعُها فى شَكْوه عَتْبَ عَاتبِ !
أما يستطيعُ الدّهرُ — لو شَاء نَصفَةً له — عوضاً من غابرٍ منه خَائبِ
بماضٍ سعيدٍ لم يَشُبْ(١٤) صَفْوَه الأسَى فيحيا على رُكْنَيْنِ : آتٍ وذَاهبِ !

* * *

فأصْغَتْ له الأقْدارُ فى أُمنياتِه على أنها لم تُصْغِ يوماً لِطَالبِ !
وأعطتْه أنْقَى صفحةٍ فى كِتَابها لأسْعدِ مَخْلوقٍ وأهنَأِ رَاغبِ !

* * *

ولكنّه ألفاه لم يغدُ مالكاً لِما مَنَحَتْه مِنْ عَزيزِ المَواهبِ
وألفاه لم يكْشِفْ خَبيئةَ نفسِه لذيالك(١٥) الماضِى الذى لَمْ يُصَاحِبِ !

---

(٥) آضَ الشىءُ كذا : تحوّل إليه ؛ آض الثلجُ ماءً .
(٦) مَيْعَة : مَيْعَة الشىء : أوله .
(٧) آداه : من آدَىٰ فلانٌ إيداءً : قوى ، وآدىٰ فلانا على كذا : قوّاه وأعانه .
(٨) أسوان : حزين .
(٩) عَرًا : من العُرْى ، والمراد : أنه وجد نفسه غريبا أو عاريا من كل فضيلة .
(١٠) الأوج : قمةَ العمل .
(١١) يزيد فى القوة أن يشعر الإنسانُ أنه يغالب ، فإذا لم يجد مايغالبه لم يكن هناك مايثير عزمته .
(١٢) « محور الارتكاز » يساعد « القوة » فى عالم المادة وهو هنا الماضى الذى يتكىء عليه .
(١٣) الآمال والذكريات ركنا الحاضر ، فإذا ذهبت الذكريات بقيت الآمال عرجاء .
(١٤) لم يُشِبْ : من شَابَ يشوب : يخلط .
(١٥) لذلك .

وأبْصرَ بالآمالِ حَيرىٰ كأنما ... تُساءَلُ عن دَاعٍ لها جَدَّ دَائبِ
دَعَاها فلمَّا أقْبلَتْ من سَمائِها ... رأتْ غيرَه فى غَفْلةٍ غيرَ رَاقبِ(١٦)
وما الأملُ « البسَّامُ » إلاّ رغيبةٌ ... لنفسٍ ترىٰ مِنْ دَهْرِها وَجْهَ « غاضِبِ »

* * *

فَعَادَ إلى الأقْدَارِ يَطْلُبُ عَوْنَها ... على رَجْعِ مَاضيه بِحَسْرَةِ تَائبِ !
أجَلْ عادَ مَلْهُوفاً لِمُرِّ التجاربِ ... وأيامِه الأولى الظِّماءِ السَّواغِبِ(١٧)
أجَلْ ذلك الماضِى الذى هُو بِضْعَةٌ ... من النفسِ دُسَّتْ فى الحَشا والترائبِ(١٨)

* * *

فأصغتْ له الأقدارُ فى أمنياتِه ... على أنها لَم تُصْغِ يوماً لطالبِ !
وعَادَ إلى دُنْياه مِنْ بَعْدِ غُربةٍ ... وألقتْ عَصَاها واستقَرَّتْ بآيبِ

---

(١٦) دعاها الماضى الشقى وأقبلت فوجدت الماضى السعيد غير ملتفت لها .
(١٧) السواغب : مفردها ساغبة : جائعة متعبة .
(١٨) الترائب : عظام الصدر موضع القلادة والمراد دُست فى القلب والصدر .

خبيئة نفسي(١)

خبيئةَ نفسي ؛ قد غفَا الكونُ فاسفِرى(٢) وكونى سَمِيرى ، بعدأنْ نامَ سُمَّرِى
سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقها(٣) الكَرَى وهوَّم فى جوفِ الدُّجَى رُوحُ خيِّرِ
يُطيفُ على العَانين بالعطفِ والرِّضا ويغمرُ بالإغفاءِ رأسَ المفكرِ
وينتظمُ الدنيا هدوءٌ كأنها عوالمُ فى وادِى المُنَى لم تُصوَّرِ
فلا صوْتَ إلا خفْقةٌ من جوانحٍ كما خفقتْ للضوءِ عينُ المُصوِّرِ
ولَمْ يَبْقَ من تلك الحياةِ وأهلِها سوى طيفِها السَّارِى بوادِى التَّذَكُّرِ

***

خبيئةَ نفسى مِن عهودٍ سحيقةٍ ومن جَوفِ آبادٍ مضتْ قبلَ مَولِدِى !
أُحِسُّكِ فى أغوارِ نفسى ولَا أرَى مُحيَّاكِ إلا كالخيالِ المُشَرَّدِ
علمتُكِ حتى أنتِ مِنِّى بُضْعةٌ جهلتكِ حتى أنتِ فى غيرِ مَشْهدِ(٤)
ويا طَالما أخلفتِ لى كلَّ مَوْعِدٍ ويا طالما ألقاكِ فى غيرِ مَوْعِدِ !
عجبتُ فكمْ مِنْ نفرةٍ تُنفرينها على فَرْطِ ماتُبدينه من تَودُّدِ !
حديثُكِ من نفسِى قريبٌ ؛ وإنما إخالُكِ فى وادٍ من التِّيهِ سَرْمَدِ(٥)

***

خبيئةَ نفسى ، ماترى أنتِ ؟ إننى أرِيدُكِ فى جوٍّ من الضوءِ مَعلَمِ
أعنصرُكِ الإيمانُ والطُّهرُ أصلُه وإلا إلى الكفرانِ والرِّجسِ مُنْتَمٍ ؟
وفى أى وادٍ أنتِ تسرين خِلْسةً ؟ ومن أى عهدٍ فى الجهالاتِ مُبْهمِ ؟
وكم فيك من نصرٍ ، وكم مِنْ هَزِيمةٍ تجاورتا فى حَشْدِكِ المتزَحِّمِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) سَفَر يَسْفِر سُفُورا : وضح وانحسر .
(٣) رنَّقها : من رنَّق الماء : كدَّره .
(٤) مشهد : اسم مكان من شهد بمعنى رأى .
(٥) السرمد : الدائم الذى لاينقطع .

وكم فيك من يأسٍ ، وكم فيك مأملٌ وكم من تَرَدٍّ ، أو وثوبِ تقحُّمِ
وكم فيك من حُبٍّ ، وكم فيك بغضةٌ ومن رُشْدِ إلهامٍ ، إلى خَبْطِ مُظْلِمِ

***

خبيئةَ نفسى فى ثناياك مَعْرِضٌ لما لَقِيَتْهُ الأرضُ فى الجَوَلانِ
وفيك من الآبادِ(٦) سرٌّ وروعةٌ وفيك صراعاتٌ بكلِّ زمانِ
وفيك الْتَقى الإنسانُ من عهدِ خَلْقِهِ وفيك الْتَقَى الرُّوحىُّ والحَيوانِى
وإنكِ طَلْسمُ الحياةِ جميعِها وصورتُها الصُّغرى بكلِّ مكانِ(٧)
أبينى إذنْ عن ذلك العالم الذى تضمَّنتِهِ من صُورةٍ ومَعانِ
أبينى أُطَالِعْ فى ثناياكِ مَا مَضَى وما هُو آتٍ مِنْ رُؤًى وأمَانِ

(٦) الأبد : الدهر ، والجمع الآباد .

(٧) منظور فى هذا البيت لقول العقاد .

تماثيل مصر أنت صورتها الصغرى وطلْسمها الواقى وآيتها الكبرى

الخطيئة(١)

مِنْ خِلال الظَّلماءِ(٢) فى بَهْمَةِ اللَّيلِ(٣) ... تَمَشَّتْ كالحيَّةِ الرَّقْطاءِ(٤)
تُوقظُ الجِسْمَ والغريزةَ بالْهَمْسِ ... وتُطفِى على الحِجَا(٥) والذَّكاءِ
وَهْىَ من خشيةِ الضَّميرِ تُوارَى ... فى زَوايا الميولِ والأهواءِ
فإذا شَعَّ مِنْ سَنَاهُ شعاعٌ ... أرْجَفَتْ(٦) منه ، وانزوتْ فى التواءِ
وإذا خيَّم الظَّلامُ تراءَتْ ... فى احتراسٍ من أعينِ الرُّقَباءِ !

***

لحظةٌ تلك ثم خيَّم صمتٌ ... وظَلامٌ ؛ فما ترى مِنْ ضِيَاءِ
فمضتْ تُضرِمُ(٧) الغريزةَ ناراً ... وتُثِيرُ الشُّواظَ بين الدِّماءِ
البِدارِ(٨) البدارِ يا أيها الجِسْـ ... ـمُ ، شِفاءً من الطَّوى والظَّماءِ !(٩)

***

وتوارى « الإنسانُ » حين تبدَّى ... « حيوانٌ » ذو شِرَّةٍ نَكْراءِ
وإذا بالخطيئةِ السُّوءِ نَشْوَى ... بانتصارٍ ، نالتْهُ فى الظَّلْماءِ !

---

(١) نشرت فى أبريل ١٩٣٥ .

(٢) كل ما فى القصيدة من ألفاظ الظلام والليل يقصد بها الظلام المعنوى المضاد لضوء الفكر وسنا الضمير ، اللذين تهرب منهما الخطيئة .

(٣) بهمة : الليلة التى لايطلع فيها القمر .

(٤) الرقطاء : من الرُّقْطَة : لون مؤلف من بياض وسواد أو من حُمرة وصُفرة .

(٥) الحجا : العقل (الفطنة والإدراك) .

(٦) أرجفت : اضطربت .

(٧) تُضرم : تُشعِل .

(٨) البدار : الإسراع .

(٩) الطوى والظماء : الجوع والتعطش .

القطيع(١)

لَظَى الشمسِ ؟ أم فَوَّارةٌ من جهنمٍ   تَسيلُ شَظَاياها ، وتنضَحُ بالدَّمِ
هو القيظُ قد فارتْ ينابيعُ وَقْدِه   وفاضتْ على الأرضين فى كلِّ مَجْثِمِ
وضَاقَ رُواقُ الظِّلِّ عنها وأرسلتْ   من الشمس أرسالٌ(٢) إلى كلِّ مُبْهَمِ
فمالَ إلى الرَّاعى الشَّطوطِ(٣) قطيعُه   يَبثُّ رجاءً فى ثُغَاءٍ مُتَمْتِمِ
ونَاجَاه ، ويحَ الظلِّ إنْ نحن لم نَمِلْ   إليه ، ويابُؤْسَاه سعياً لِمَغْنَمِ !
عَيِينا بهذا الضَّرْبِ فى كلِّ حَرَّةٍ(٤)   وراءَ ذَمَاءٍ(٥) من شَرَابٍ ومَطْعَمِ
ومأأنتَ — لو تدرى — برابحِ صَفْقَةٍ   ولانحن ؛ إنَّا كلُّنَا ذلك العَمِى !
نسيرُ بصحراءِ الحياةِ ، ولانرى   سِوى ظِلِّنا ، يَطْغَى على كلِّ مَعْلَمِ
يُسَخِّرُنا مَنْ لانراه ، لغايةٍ   يَراها ، ولم نُؤْذَنْ بها أو نُفَهَّمِ !
فيأأيُّها الرَّاعِى هدوءًا وهَيْنَةً   إلى الظلِّ نَرْتَعْ لحظةً أو نُهَوِّمِ(٦)
فمالَ به الرَّاعى إلى ظِلِّ دَوْحةٍ   ظليلٍ ، وعُشْبٍ نابتٍ قُرْبَ جَدْوَلِ

* * *

تَنَاهَى إليها الطيرُ من وَقْدةِ اللَّظَى   وثابَ إليها الظِّلُّ فى غير مَعْجَلِ
وألْقَى عصاه ، ثُمَّ ألْقَى بجسمِه   وقد ضَافَه بالأَيْنِ(٧) طولُ التنقلِ

---

(١) نشرت فى يونيه ١٩٣٥ .
(٢) أرسال : جمع مفرده الرَّسَل : القطيع من الإبل والغنم أو الجماعة من الناس .
أرْسَلَتْ : انطلقت دون قيد .
(٣) الشطوط : البعيد .
(٤) الحَرَّة : أرض ذات حجارة سُود كأنها أُحْرِقت .
(٥) ذَماء : البقية ، بقية الروح فى المذبوح .   (٦) الهَوْمُ : النوم الخفيف .
(٧) الأين : الإعياء والتعب .

ورَاغَ إلى الماء القطيعُ كأنما ... تَدَهْدَهَ[٧] جَرفٌ من نَطيحٍ مُزَلْزَلِ
يَعُبُّ ويَستسقى بشوقٍ ولهفةٍ ... ويُفْعَمُ رِيًّا من مُعلٍّ ومَنْهلِ
فلما ارْتَوى آوى إلى الظلِّ مُجهداً ... وقد خلَّ[٨] فى أعضائه كلُّ مَفصِلِ
فنامَ على الأعشابِ ، مَاإنْ تُرىٰ له ... رءوسٌ ، فقد دُسَّتْ بأحناءِ مَدْخَلِ
توحَّدَ جسمُ الشَّاءِ كالزَّرَدِ[٩] التقتْ ... مَدَاخِلُه ، وانْسَابَ جَمٌّ التَسَلْسُلِ
كأنَّ شاءَ ذياك القطيع تَوَحُّداً ... فأغفلَ ذاك الرأسَ رمزَ التعقلِ
وياطالما قد فَرَّق الناسَ رَأْسُهم ... ومايَقتضيه من طِماحٍ ومَأْمَلِ

* * *

وطافتْ على الراعى رُؤىً عَسْجَديةٌ ... وجالتْ به الأحلامُ كلَّ مَجالِ
لقد هبطَ الوادى فَأَلْفَاه جنةً ... بما فيه من خَفْضٍ وهَدْأةِ بَالِ
وماءٍ غزيرِ النبعِ سَلْسَالِ مَنْهلٍ ... يَحُفُّ به عُشبٌ وفيضُ ظِلالِ
ويَاحَبذا نَفْحُ النَّسيمِ وطِيبُه ... ورَيَّاه من رِفْقٍ به وبلالِ
ألاَ إنه هذا النعيمُ ، وإنها ... هى الجنةُ الفَيْحاء خلقُ خَيالِ !
وقد غادرَ الوادى إلى الغابِ ، يالَه ... من الخوفِ فى هَوْلٍ به وصِيالِ[١٠]
يُزمجر فيه الوحشُ من كل فاتكٍ ... قد اختلطتْ أصواتُه كعَوالِ
وتَعْصِفُ فيه الريحُ ، ياهَوْلَ عَصْفِها ... زئيرُ أُسودٍ ، أو فحيحُ صِلالِ[١١]
فهَبَّ مَفيقاً ، يستبين حياتَه ... ليوقن أن لم تَصطدم بوبالِ[١٢]
فألفىٰ قطيعَ الشاءِ يدعُو فصيلَه ... إلى النَّدىٰ ، فى صوتٍ يجلجل عالِ

* * *

---

(٧) دَهْدَهَ الرجلُ الحجر : دحرجه ، دَهْدَه الشيءَ : قلَّبَ بعضه على بعض ، تَدَهْدَهَ الحجرُ : تدحرج والمراد : اختلط القطيع ببعض أثناء نزوله فى عنف وشدة إلى الماء .

(٨) خَلَّ : صار فيه خَلَل : ويقال : خَلَّ العَسْكَرُ : كان غير متضام ، والمراد أحس القطيع بالفتور والتراخى .

(٩) الزَّرَدُ : حِلَقُ الدِّرْعِ ، المراد أن الشاء فى تجمعها أو تكورها كأنها مغطاة بدرع من حِلَقٍ (الزَّرَد) .

(١٠) صَاوَلَه مُصَاوَلةً وصِيالاً وصيالة : غالبه ونافسه فى الصَّوْلِ والصَّوْلُ : من صَالَ أى سَطَا عليه ليقهره .

(١١) الصِّلُّ : الحية من أخبث الحيات ، والجمع : الصِّلال .

(١٢) بوبال : بشدة من وَبُلَ وَبَالاً .

وأطرقَ يستوحى الرُّؤىَ ويحها الرؤىٰ … إلى أين قد طافَتْ به غيرَ عَالِمِ ؟
وأينَ من الوادى خُطَاه ؟ وإنها … لَآمالُ رَاجٍ أو خيالاتُ حَالِمِ !
وأين هو الغابُ الرَّعيب ؟ وإنّه … ليهفُو إلى ماضٍ سحيقِ المعالِمِ
لَأعياه تأويلُ الرُّؤى ، غير أنّه … يحسُّ هدوءاً فى ضَلالِ الطلاسِمِ
فمال على « أرغوله » يَستَجيشُه … خواطـــرَه بالذكريـــاتِ الهوائِمِ
فرجَّعَ أنغاماً من الغابِ وَزْنُها … وألحانُها نسمُ الرياضِ الحَوالِـمِ
فأوزانُها ذكرى ، وألحانُها مُنىً … كذلك يشدو فى الورىٰ كلُّ نَاعِمِ
وقد رقّتْ الآصالُ وانْسلّتِ الصَّبا … وصاتَ مع الأرغولِ صوتُ السَّوائِمِ
فكان مِزَاجاً من جمالٍ وَوَحْشَةٍ … ولـذّاتِ مَوهُـوبٍ وآلامِ غَارِمِ
وغَشَّىٰ على الدُّنيا ظلامٌ فهوَّمتْ … ونامتْ كطفلٍ فى الغِرارةِ هَائِمِ

على القمة(١)

نظرتُ إليها وهى شمّاءُ تذهبُ ... كما لاحَ فى أفقِ السمواتِ كوكبُ
فأعجبنى منها السُّموقُ(٢) وهالنى ... تطاولُها والرِّيحُ تطغى وتصخبُ
وطارَ خيالى فوقَها ووراءَها ... يصوِّرُ من أطيافِها [ما تغيبُ]
عجائبُ لم تخطرْ على البالِ مثلُها ... ودُنيا من الأحلامِ تزهو وتعجبُ
وقلت : « سعيدٌ من تطاولَ كفُّهُ ... ذُراها وتدرى عينه مائحجبُ »
دَلفتُ(٣) إليها ، والخُطا تسبقُ الخُطا ... وفى النفسِ شوقٌ يستحثُّ ويُلهبُ
هو الشوقُ للمجهولِ يهمسُ طيفُه ... وتهفو(٤) رُؤاه مغرياتٌ وتغربُ
هو الشوقُ للرُّقيا وفى الحىِّ حافزٌ ... إليها فيرقى فى الحياةِ ويغلبُ
دَلفتُ فلم أنظرْ إلى الخلفِ مرةً ... وهل ينظرُ العَجلانُ ماذا يُعقِّبُ(٥) ؟
وماعاقنى جُهدٌ ولا وقعُ عثرةٍ ... وأنستنى الأشواقُ أنّى متعبُ
هنا القِمّةُ الشمّاءُ ياحُسنَه هنا ! ... وياحُسنَ مايدنو إلى النفسِ مأربُ
تأمّلتُها فرحانَ أخفقُ نشوةً ... وأوشكُ أغذى سناها وأشربُ
وقلتُ : « هنا يانفسُ أشرفُ بقعةٍ ... وأرحبُ أفقٍ فى السمواتِ يرقبُ »
وإنّكِ مِن فوقِ التلالِ طليقةٌ ... ولم يبقَ مستورٌ عليكِ مُغيَّبُ
فقَرّى هنا يانفسُ جَدُّ سعيدةٍ ... فليس وراءَ الأفقِ يانفسُ مطلبُ »
وأغمضتُ عينى سابحاً فى خواطرى ... وبى نشوةٌ تطفو بنفسٍ وترسبُ
فما راعنى إلاّ الزمانُ يلفُّنى ... إلى الضفّةِ الأخرى كما لُفَّ كوكبُ

---

(١) نشرت فى نوفمبر ١٩٣٧ .

(٢) الارتفاع والعلو .

(٣) دَلَف : مشى رُوَيْداً وقارب الخطو ، دَلَف إليه : أقبل عليه .

(٤) تهفو : من هَفَا فى المشى : أسرع وخف فيه ، وهَفَتْ النفسُ إلى الشىء : حَنَّتْ واشتاقت أو طَرِبَتْ .

(٥) يعقّب : يأتى خلفه .

إلى أينَ ؟ لاتعجلْ رُويدكَ هَيْنَةً   فما هكذا تُطوى الأَمَانِى وتُذهبُ
وماهكذا يُجْزَىٰ الذى جَدَّ جَدُّه   إلى القمةِ الشمّاءِ ، والقلبُ مُلْهَبُ
وخلّفَ فى ناءٍ من السَّفْحِ زَادَه   وما عَزَّه فى ذلك الوعرِ مَرْكَبُ
رويدكَ ياهذا الزمانُ فإننى   من الهوّةِ الجَردَاءِ أَخشَىٰ وأَرْهَبُ
وإن لا يكنْ بُدٌّ من السير فانطلقْ   إلى الخلفِ إِنِّى عَاذِرٌ لك مُعْتِبُ
تَأَلَّفْتُه يوماً فإنْ عُدتُ لم أَعُدْ   إلى غربةٍ تجفو علىّ وتَنْكُبُ(٦)
ولكنّه لم يُصْغِ لى فى ضَرَاعتِى   ومازال يَهْوِى بى ولا يَنْكُبُ
إلى الهوةِ الجرداءِ فالعُمرُ مُجْدِبُ   إلى الهوةِ الجرداءِ فالدَّهْرُ يَلْعبُ

---

(٦) تَنْكُبُ : تميل عنى . والمراد تبتعد .

مصرع قصيدة(١)

أحسسْتُ مَصْرَعَها بنفْسِي بيـنَ التـأوُّهِ والتَـأسِّى(٢)
وسَمِعْتُ حَشْرَجَة(٣) الجَريحِ تئـنُّ فى أطْـواءِ حِسِّى
هِىَ مِنْ بَنَاتِ الشِّعرِ لَمْ تُولَـدْ ولم تُوأدْ لِـوكسٍ(٤)
جَاشَتْ لِفَاتنةٍ على الشُّطآ نِ ذاتِ رِضًا وأُنْسِ
نَضِجَتْ مَحَاسِنُهـا كَمَـا نَضِجَتْ قُطوف جنىً بِغَرْسِ
وَحسبْتُها صِينَتْ على الْـ أنْظَارِ مِنْ قَطْـفٍ ومَسّ
فَهَمَمْتُ(٥) أدْعُوها دُعَـا ءَ الفَنِّ فى خَطَراتِ هَمْسِ
شِعـراً يُسَجِّلُ حُسْنَهـا للكونِ فى أحْنَاءِ طِرْسِ(٦)
وإذَا الأيَـادِى القَاطِفَـا تُ تَجُولُ فى عَبَثٍ وَبَخْسِ !
يَا وَيـلَ قُطَّـافِ الجَمَـا لِ بغيرِ مَا وَرَعٍ(٧)وَنَطْسٍ(٨)
بَيْنَـا نَحُومُ عليـه فى تَقْوىً كما نَرْنُو لِقُدْسِ !

* * *

وإذا التى جَاشَتْ بِنَفْسِي تُتْوَى مُضرَّجَـةً(٩)بِحِسِّى !

---

(١) نشرت فى ديسمبر ١٩٣٨ . (٢) التأوه والتأسى : الألم والحزن .

(٣) حشرجة : يقال حَشرَجَ المُحتضرُ عند الموت ، وحَشرجت روحه فى صدره : أوشك أن يموت والمراد صوت تردد النفس عند الاحتضار .

(٤) توأد لوكس : وَأَدَ ابنته : دفنها حية (عادة جاهلية) . وَكَسَ : نقص . والمراد : حينما أخفى قضيدته لم يكن لعيب فيها .

(٥) فهممت : من هَمَّ : عزم على القيام بأمر ولم يفعله .

(٦) طرس : كتاب (كُتِبَ ثم مُحِىَ ثم كُتِبَ مرة ثانية) أو صحيفة .

(٧) ورع : تقوى أو خوف من الله .

(٨) نطس : من نطِسَ أى دقق النظر فى الأمور واستقصاها .

(٩) مضرجة : من ضَرَّجَه أى لطخه بالدم أو صبغه .

وُجُوهٌ طَرِيفَةٌ(١)

طَالِعِينى فى كلِّ يومٍ بِوَجْهِ ... فلديكِ الوجُوهُ شَتىٰ طَرِيفَهْ
وَافْجَئِينِى لديك بالخطْرِ(٢)المَحبو ... بِ يُجَدِّدْ حياتَنا المَألُوفَهْ
بِتُّ أشْتَاقُهُ وأرقُبُ مَاذَا ... يَحْمِلُ اليومُ من أمانٍ مَخُوفَهْ !
كلُّ سَمْتٍ(٣) أراكِ فيهِ جميل ... كلُّ ظلٍّ أراكِ فيه شَفيفَه
أنتِ ما أنتِ ؟ عَالَمٌ مُترامٍ ... أبْدَعَ الفنُّ والمُنَى تأْلِيفَهْ
أنت كُثْرٌ فَفِيكِ تَحْيَا طُيُوفٌ ... كلُّ طَيفٍ له رُؤَاهُ المُطِيفَهْ
تارَةً أنتِ حَرَّةٌ(٤) أصْطَلِيهَا ... وإذَا أنتِ كالرِّياضِ الوَرِيفَهْ(٥)
وَتَلُوحِينَ قِطْعَةً من حَنانٍ ... وَتَلُوحِينَ بَعْدَ حِينٍ مُخِيفَهْ !
وأرى فيكِ طِفْلَةً لم تبارحْ ... مَلْعَبَ الطِّفْلةِ. اللّعوبِ الخَفِيفَهْ
وإذَا أنتِ قَهْرَمَانَةُ(٦) دَهْرٍ ... مُوْغِلٍ فى المَسَارِبِ(٧) المَلْفُوفَهْ
وإذا ما انْطويتِ أمسيتِ سِرًّا ... صَانَهُ الدَّهْرُ مُحْكِماً تَغْلِيفَه
وإذَا ما انطلَقْتِ مثلَ شُعَاعٍ ... كنتِ رَقْرَاقَةً وكنتِ لَطِيفَهْ
لكِ طَعْمٌ أذُوقُهُ بل طُعُومٌ ... كُلُّهَا نَاضِجٌ هَوِيتُ قُطُوفَهْ
هُوَ طَعْمُ الحياةِ فى فَوْرَةِ النُّضْجِ ... شَهِيُّ الْجَنَى خَبِرْتُ صُنُوفَه

---

(١) نشرت فى مارس ١٩٤٢ .

(٢) بالخطَر : من خطَر فى مشيه خطراً وخطَرانا أى اهتزّ وتبختر .

(٣) سمت : هيئة . (٤) حرة : شديد الحرارة .

(٥) الوريفة : الظليلة .

(٦) قهرمانة : مُدبِّرة البيت ومتولية شؤونه ويقال : المرأة ريحانة وليست بقهرمانة .

(٧) المسارب : المسالك والممرات .

إلى الظّلام(١)

إلى الظَّــلامِ الأمـيــنِ تَحـدَّرِي(٢) يَا سَفِينِــى
وَجَانبِـــــى كلَّ نُورٍ النُّــورُ يُؤذِى جُفونِــى
لَقَـدْ حَطَمْتُ شِرَاعِــى ومِجْدَفِــى ويَمينِــى
وهَــدَّ عَزمِــىَ مَوجٌ يَثُــورُ كالمَجْنُــونِ
أخشَاه أخشَاه جُهـدِى فَحَـاذِرِى يا سَفِينِــى !

* * *

طَالَ الصِّرَاعُ ونَــاءتْ(٣) نَفْسِى بِعبْءِ السِّنيــنِ
أُرِيـدُ وَقْفَــةَ أمْــنٍ فى مَجْهَــلٍ مَأمُــونِ
أُرِيـحُ فيــهِ قَليــلاً عَن عَاتِقِــى المَوْهُــونِ
وأسترِيــحُ رُويــداً من الصِّراعِ الحَـرُونِ(٤)
وقــد أُعــاوِدُ سَيْــرِى فى اللُّجِّ أُزجِى(٦) سَفِينِى

* * *

إلى الظَّـلامِ الأميــنِ إلى مَلاذِ السُّكُـــونِ
طَالَ التَّيقُّــظُ حتَّــى أعْشَى(٧) السُّهَادُ عُيونِى
إلى المَسَــارِبِ فَامْضِى لأنْزَوِى عن شُجُونِــى
وعَــنْ رَجَــائِى ويَــأسِى وكُــلِّ ما يَعْنِينِــى
الانْــزِوَاءُ مُرِيــحٌ فَأوْغِلِــى يَا سَفِينِــى

---

(١) نشرت فى ١٩٤٣ . (٢) تحدرى : الانحطاط من أعلى إلى أسفل .
(٣) ناءت : ضعفت تحت أعبائها كما تضعف تحت أثقالها .
(٤) الحرُون : المتمرد والمراد : الصراع المرير . (٥) اللُّجّ : تردد أمواج البحر .
(٦) أُزجى : أدفع . (٧) أعْشى : المراد أضعفها .

قَافِلةُ الرَّقِيق(١)

قِفْ بنا يا حَادِى العُمرِ هُنا   لَحْظَةً نَنْظُرْ ماذَا حوْلَنَا
فى طَرِيقٍ قَدْ نَثَرْنا عُمْرَنا   فيه أشلاءَ حياةٍ ومُنَى

* * *

قد نَثَرْنَاها على طَولِ الطريقِ   ومَضينا ضِمْنَ قُطْعانِ الرَّقيقْ !
مَوكِبٌ يعطُو إلى الشَّطِّ السَّحِيقْ   مُغْمَضَ العينين يَسْرِى مَوْهِنا(٢)

* * *

من ظَلامِ الغَيبِ تخطُو قَدمَاه   لظلامِ الغيبِ تُنسَاقُ خُطَاه
فى طريقٍ غامضٍ يُدْعَى الحياه   يَهْتِفُ الحادِى . فيمضِى مُذْعِنا

* * *

قِفْ بنا ننظرْ إلى أشلائِنا   نحنُ لا نَرجِعُ يوماً هَاهُنَا
مرةً نَمْضِى ، ونَمْضِى وَحْدنَا   فى ظلامِ الغيبِ نَطْوِى الزَّمَنَا

* * *

لَهفَةً لو عُدتُ أرْعَى خُطوَاتى   فى طَرِيقٍ دَرَجْتُ فيه حَياتِى
فَتطلَّعتُ إلى هذا الشَّتَاتِ(٣)   وأنا فى الكَرَّةِ الأُخرى أنَا !

* * *

لَتَمَلَّيتُ شِيَاتِى(٤)وسِماتى   وأَمَانِىَّ ويأسِى ورَجَاتِى

---

(١) نشرت فى ١٩٤٦ .
(٢) المَوْهِنُ : نحوٌ من نصف الليل أو بعد ساعةٍ منه . والمراد : ليلاً .
(٣) الشتات : التفرُّق .   (٤) الشيات : مفردها الشِّيَةُ : العلامة .

وحَماقَاتِــى ورُشْدِى وهَنَاتِــى والهَوىٰ الحَانِى الذى ظَلّلنا

* * *

كلُّها عَاهَدتُ أن أَقْضِى عُمرِى وأنا أُخْلِصُها سِرِّى وجَهْرِى
وإذَا السّوْطُ هَوىٰ يُلْهِبُ ظَهَرى حيثُ لا أَسْتطِيعُ رَيْثاً أو وَنى(٥)

* * *

وإذا الآمَالُ والآلامُ خَلْفِــى سَاخِرَاتٌ مِنْ مواعِيدى وخُلْفِي
مُلْقَياتٌ بينَ إهمالٍ مُسِفٍّ(٦) لم أُوَدِّعْهـــا . فيا وَاحَزَنَـــا !

* * *

أَيُّها الحَادِى أَلَا فامضِ بِنَا قد أثارتْ ذِكْرَياتى الشَّجَنَـا
لم نعُدْ نَجزعُ لو تَحْلُو لَنَا : « نحن لا نَرْجِعُ يوماً ها هُنا »

---

(٥) ريثاً أوونى : بُطْءاً أو ضعفا .

(٦) مُسِفٌ : فى جهل وطيش .

في مفرقِ الطريق(١)

بين نفسين من النفوس الكثيرة التى تعيش فى الإنسان الواحد متفرقة فى بعض الأحيان . دار هذا الحوار ... فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه ، وأما الأخرى فتنزع إلى العزاء بالتطلع إلى جديد :

أنْتَ أوْغلتَ فى الظلامِ طويلًا ... فمتى يارفيقُ تبغى القُفولا(٢) ؟
شدَّ ما آدَنَا(٣) التخبُّطُ فى الليلِ ... وخِفْنا ظلامَه المدخولا !
ورأينَا الأوهامَ تبدو شخوصاً ... ورأينا الشخوصَ تبدو هَيُولَىٰ(٤)
وَخَبَرْنا فلم يُفِدْنا اختبارٌ ... وسَخِرْنا مِمَّا خَبَرْنا طَويلاً
يا رفيقى . إذا قَدَرْتَ فأوِّبْ ... إن هذا الظلامَ يُضْنِى العُقُولاً

أنا أخشى الضياءَ أُبْصِر فيها ... ذكرياتى تبدلتْ تبديلاً
أنا أخشى النَّهار يكشفُ عنى ... كلَّ وَهْمٍ أرُودُه(٥) تعليلا
أنا يا صاحبى أُشيحُ بوجهى ... أنا أرى عهْدنا تَرَدَّى قتيلا
أنا يا صَاحِبى أُدافِعُ عقلِى ... أنْ يَرُودَ اليَقين جَهماً ثَقِيلاً
الظَّلامَ الظَّلام أرْوَحُ للقلبِ ... ولو كان لا يُريحِ العقولا !

* * *

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٤١ . (٢) القفول : الرجوع (رَجَعَ) .
(٣) آدنا : من آدَىٰ فلانٌ إيداءً : قَوِىَ ، وآدىٰ فلانا على كذا : قوَّاه عليه وأعانه .
(٤) الهَيُولَى : مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة ، قابلة للتشكيل والتصوير فى شتى الصور .
ويقال ــ حديثا ــ مادة الشىء الذى يصنع منها ، كالخشب للكرسى .. وهكذا والكلمة معربة . والمراد أن الأشخاص ظهرت لا شكل لها ولا هيئة ولا لون .
(٥) أرود : أطلب أو أتردد عليه .

يَارَفيقُ . الحَيَاةُ أسْمَىٰ وَأَغْلَىٰ أن تُقَضَّى كذاك وهماً ضئيلَا
يا رفيقُ . الحياةُ أقصرُ عهداً أن تُضحَّى ساعتها تخْييلا
أُبْ من الظُّلمةِ الحبيبة واهجُرْ كلَّ ما كان فى الحياةِ الأولىٰ
وتطلَّعْ إلى جَمـالٍ جَديـدٍ أفلم تَلْقَ فى الحياةِ جميلَا ؟
عِشْ بما قد وُهِبْتَهُ من حياةٍ مُسْتثارَ الإحساسِ نَهِمًا عجُولا

* * *

آه يا صاحبى أتجهلُ أنّى أفقِدُ الدّارَ إنْ فقدتُ الطُّلولَا(٦)
ذاك عهدٌ أنفقتُ فيه رَصيدِى كلَّـهُ لم أُبْـقِ منـه قليـلَا
أَتُراني أُجدِّدُ الذُّخرَ والعُمرُ(٢) مُوَلٍ والجَهْدُ أمسى هَزيلَا ؟
أنا باقٍ هُنا فإن شئتَ دَعْنى ورُدِ الكـوْنَ حافـلاً مَأْهُـولا
أنا باقٍ هُنا أَرُودُ طُلُولى لَم أعُدْ بَعدُ أستطيبُ القُفُولا !

---

(٦) الطلول : مفردها طللٌ : مابقى من آثار الديار ونحوها .

أقدامٌ فى الرِّمال(١)

نحنُ ؟ أم تلك على الأرضِ ظلالْ ؟ وخيـــالٌ سَارِبٌ(٢) إثـــرَ خَيـــالْ
فى مَتاهـــــاتِ وُجُـــــودٍ لِزوَالْ كبقَايَـا الخطـو فى وَجـهِ الرِّمَـــالْ

* * *

زُمَـــرٌ(٣) تَدْلِـــفُ فى إثْـــرِ زُمَـــرْ ويحَ نَفْسِى ! إنّـــه رَكْبُ الـــبَشَرْ
مغمضُ العَيْنَيْـن فى كَفِّ القـــدَرْ كلمـــا أَوْغَـــلَ فى التِّيـــهِ انْدَثَـــرْ

* * *

أينَ رَأْسُ الـركْبِ أم أَيَّـــانَ سَارَا ؟ ما أرىٰ فى إثْـــرِهِ حتّـــى غُبَـــارَا
ما أرى قبراً ومــــــــــا أُبْصِرُ دَارَا ضَلّـــةٌ(٥) لى ! ذاكَ ظِلٌّ وتَـــوَارَىٰ

* * *

مِنْ ظَلامِ الغيبِ فى التيهِ البعيـــدْ لظـلامِ الغـــيبِ فى التيـــهِ المديـــدْ
وَمْضَةٌ كالبرقِ تجتـــازُ الوجـــودْ ويُسَمِّيها بنُـــو الأرضِ الخُلُـــودْ !

* * *

خُدْعَـــةٌ رَاقتْ لأبنـــاءِ الفَنَـــاءْ حينما أَعْيـــا على الأرضِ البَقَـــاءْ
المساكيــــنُ هَبَـــاءٌ فى فَضَاءْ رَحْمَـــةً للـــذرِّ فى مَسْرَىٰ الهواءْ !

* * *

---

(١) نشرت ١٩٤٦ .
(٢) سارب : سارب فى الأرض ذهب على وجهه فيها .
(٣) زُمَرٌ : جماعات .
(٤) تدلُف : تمشى رويدا متقاربة الخطو .
(٥) ضَلّةٌ : حَيْرة .

ما أرىٰ الأرضَ تَحِسُّ الوافديـــــن   أو أرىٰ الأرضَ تَحسُّ الرّاحليـــــنْ
كلُّ مَا كَانَ ومـــا سوف يَكُــونْ   نَأْمَةٌ(٦) تَهْجِسُ(٧) فى جَوْفِ السُّكُونْ

* * *

خَطَــواتٌ ذاهبـــاتٌ فى الرِّمَـــالْ   وخيـــالاتٌ تَرَاءَتْ لخيـــالْ
وشُخُــوصٌ تتــوارى كظـــلالْ   للـزوالِ ... كلُّ شيءٍ للـــزوالْ !

(٦) نَأْمَةٌ : صوت ضعيف خفى أيا كان .

(٧) يَهْجِسُ : من هَجَسَ : خطر بباله .

خُدعَةُ الخُلُود[1]

لا أنتِ سَألَكِ الزمانُ ولا أنا　　لا أنْتِ داعيةٌ ولا أنا مُسْتَجيبْ
هذى مَياسِمُه[2] على قَسَمَاتِنا　　قَرَّتْ أمانينا على الأفقِ القَريبْ
ودَبِيبُه ينسابُ فى خَطَرَاتِنا　　ويَكْشِفُ الوهمَ المُغَلْغلَ[3] فى الغيوبْ
ويَداه تَنْسِلُ[4] من خيوطِ حَياتِنا　　وبدوتِ عاريةً من الألَقِ[5] العجيبْ
ويَدُ البِلىٰ تَطوِى الرغائبَ والمُنىٰ　　وبدوتُ عَادِىَّ المحاسنِ والعيُوبْ !

* * *

ما الفجرُ ؟ ما الأحلامُ ؟ ما الشوقُ الدفينُ　　ألقاكَ كالذكرىٰ تَمرُّ بِخَاطِرِ
مَا نَشْوةُ الذِّكراتِ ؟ ما حَرَقُ الحنينِ ؟　　كالخَطْرَةِ الوَسْنَىٰ[6] بفكرةِ شَاعرِ
مَا وَهْلَةُ الغيبِ المُوشَّحِ[7] بالفتونِ ؟　　كالرسمِ يَبْهتُ لا يَبِينُ لناظرِ
ما اللهفةُ الكبرىٰ تُراوِدُ فى جنونِ ؟　　كبصيصِ نارٍ فى الرمادِ الفَاترِ
مرَّتْ عليها كُلِّها كَفُّ السنينَ !　　وَيْحِى وويحُكِ نحنُ ذِكْرىٰ عَابرِ !

* * *

خَطَواتُكِ النَّشْوىٰ التى كادتْ تَطِيرُ　　وَيْحِى وويحُكِ ما الحياةُ وما الخُلُودْ ؟
وتَوَفُّزُ[8] النَظَراتِ فى ألَقٍ مُثيرِ　　خُدَعٌ تُهَدْهِدُنا بها الأمُّ الولودْ

---

(١) نشرت فى ١٩٤٨ .
(٢) مياسم : جمع مفرده مِيسَمٌ : السِّمة أو العلامة التى تميِّز شخصا عن آخر من وَسَمَ الشيء .
(٣) المُغَلْغَل : المتداخل فى الغيب بحيث صار جزءا منه ، من غَلْغَلَ الشيءَ فى الشيء : أدخله فيه حتّى يلتبس به ويصير من جملته .
(٤) تَنسَلُ : من نَسَلَ الشيء ، ونسولا : انفصل عن غيره وسقط .
(٥) الألق : التزين والبريق .　　(٦) الوسنى : كثيرة النعاس .
(٧) المُوشّح : المرتدى بالفتون من اتشح أى يرتدى الوشاح .
(٨) تَوَفُّز : تَعجّل وتَهيىء .

وتَوثُّبُ اللفتـاتِ فى لَهَـفٍ حَرورٍ[٩] ‏ ويدُ البِلىٰ تَطوِى القديـمَ على الجديـدْ
وتُقَلُّبُ الرَّغَبـاتِ فى قَلَقٍ غَريـرٍ[١٠] ‏ والدَّهـرُ ماضٍ لا يكِـلُّ ولا يَحِيـدْ
وَتجِئْ وويحُكِ قَدْ تَعاورَهـا[١١] الفُتُورُ ‏ والنـاسُ والأيـامُ والدُّنيـا عَبيـدْ

(٩) حرور : شديد الحرارة .

(١٠) غرير : ساذج (من لا خبرة له)

(١١) تعاورها : تَعَاوَرَ : تداول .

الغـــزل

هـــى أَنْتِ التـى خُلِقَتْ لِنَحْيـا

فى ظــلالٍ من الوفــاءِ الرَّشـيدِ

كحيـاةِ الأَرْواحِ تُضْفِـى حنــاناً

وهــى تهْفُــو فِــى ظِلِّهـا المَمْدُودِ

سيد قطب

لَيْــلَة[1]؟!

يالِيلَــةَ الأمسِ والليـــلاتُ ذَاهبـــةٌ كغَمْضَةِ العيـنِ في أضْغَـاثِ[2] أحْلَامِ

يَرْعَــاكِ مَنْ وَهبَ الإنسانَ عاطفــةً تجيشُ بالحبِّ عَن وَحْـــــبي وإلهامِ

يَرْعَــاكِ مَنْ خلَــقَ الأرواحَ شاعِـــرةً دقيقَـةَ الــحِسِّ في رِفْــقٍ وإحكــامِ

لأنتِ أقصرُ ليلاتِـــى وأخلَدُهــــا وأنتِ أزْهَــرُ سَاعَــــاتي وأيامِــــى

فيكِ التقينـــا فلا إثـــمٌ ولا حَرَجٌ في ظلِّ طيـــفٍ من الإخــلاصِ بَسَّامِ

ورُوحٌ من الحبِّ خفَّــاقٌ يَحــفُّ[3] بنا حفَّ النسيمِ بِغُصنِ الدَّوْحَةِ النَّامِــى

ويُـــنْشِدُ الحبُّ أنغامــاً يُلحِّنُهــــا لحنَ الطبيعةِ ذَاتِ المنطـقِ السَّامِــى

بالليـــلِ يَتْلُــو على الأكــوانِ آيتَــه ماأبـدعَ الليـــلَ في شَدْوٍ وأنْغـــامِ

* * *

ياليلــــةَ الأمسِ هَلّا أنتِ عائـــدةٌ إلى الزمـــــانِ فأنسَى كلَّ آلامِى

إنّى لألْمَــحُ طيفـــاً مِنْكِ يُؤنِسُنــى في وَحْشَتِــى بيــنَ أيقـــاظٍ ونُـــوَّامِ

ذكـراكِ باقيـةٌ مهمــا يَطُــلْ زَمنِــى فأنتِ زهــرةُ أيامِـــى وأعْوَامِـــى

فِيــــكِ أولُ آمــــالى وآخرُهـــــا وأنتِ مَنْبَــعُ إمــدَادِى وإلهامِــــى

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٢٨ .

(٢) أضغاث : أضغاث أحلام : ما كان منها ملتبساً مضطرباً يصعب تأويله .

(٣) يَحُفُّ : استدار وأحدق (يحيط) .

نظرةٌ مُوحِشَة(١)

أهــو حَظّــى مِنك تلكَ النَّظَـراتُ ... كلمــا جادتْ بمـــرْآكَ الصُّدَفْ ؟
وخيــالاتٌ تَراءى فى سُبـــاتٍ(٢) ... مُذْكِياتٌ مَا بنَـفسِي مِنْ شَغَــفْ ؟
أكــذا تَمْضِي بَقِيَّـــاتُ الحَيَـــاه ... ليتَ شِعْري وكــذا يُقْضَي العُمُــرْ ؟
آه . مَاأشْجَــى ومَـــا آلَـــمَ . آه ... إن يكـنْ هذا فمــا أقْسَى القَــدَرْ !
أيْنَ ساعـاتٌ مَضَتْ قبــلَ الفِــراقِ ... مِلؤُهـا العَطْـفُ ورَيَّاهـــا(٣) الوَفَــاءْ ؟
هكـــذا الدُّنيـــا اجتماعٌ وافتـــراقٌ ... وهـــي آهـــاتٌ وذِكْـــرى وشَقَـــاءْ !
شَدَّ ماألْقَــــاه فى هذا النَّـــوىٰ(٤) ... من عَذَابٍ يَنْكــأُ(٥) القــلبَ ألِيـــمْ
شَدَّ مَاتَسْتشعِـــرُ النــفسُ الجوىٰ ... فَتلظَّـــىٰ فى شُعــورٍ كَالجحيـــمْ
ليتنـــي أدْرِي ــ وإن لم يُشْفِنـــي ــ ... كيـفَ أُبْـدِى مَا بِنَـفْسِي مِنْ ألَـــمْ !
رُبَّ إحساسٍ أليـــمٍ شَفَّنِـــــى(٦) ... لَمْ أُصوِّره بلفــــظٍ فاضطـــــرمْ
ألم الإحساسَ إحساسٌ دفيـــــنٌ ... وشعــــورٌ في فؤادٍ يَشْتَجِـــــرْ
لم يَجِــدْ لفظـــاً فأدَّاه الأنِيـــنُ ... ودمــــوعٌ سَاكِبـــاتٌ تَنْهَمِـــرْ
أتُــرىٰ آلَــمُ للقــلبِ الكَلِيـــمِ(٧) ... مِنْ رَجــاءٍ كان يَزْهُــو فَخَبَـــا ؟
وانطـــوىٰ يَغْمُـــرُه يأسٌ عقيـــمٌ ... يتـركُ القــلبَ قِفَـارًا مُجْدِبـــا ؟
أتُـــرىٰ أوْحَشَ مِنْ ديـــرٍ كئـــيبٍ ... فى فَلاةٍ لا يُدانِيها البَشَـــــرْ

---

(١) نشرت فى أبريل ١٩٢٩ .
(٢) سُبات : راحة أو نوم .
(٣) رياها من روى العطشان .
(٤) النوى : البُعْدُ .
(٥) ينكأ : يجرح ويقتل .
(٦) شفَّنى : جعلنى نحيلا هزيلا من مرض ، يقال : شَفَّه الحبُّ أو الهمُّ .
(٧) الكليم : المجروح .

وتكادُ الرِّيحُ تحميه الهبوبَ   دَقَّ نَاقوسٌ به عندَ السَّحَرْ ؟
ذَاكَ قَلْبِي بعدَ فُقْدانِ الأملِ   مُوحِشٌ يَطْرُقُه صوتٌ سَحِيقْ[٨]
تبعثُ الذكرىٰ صَدَاه إذْ تُطِلُّ   مُشْجِياً يُوغِلُ في الصَّمْتِ العميقْ
ما الذي كانَ وماذَا سَيكُونَ ؟   لستُ أَدْرِي مَاجَوابِي ، لاجَوابْ !
لَيتني أدرِي خَبيئاتِ السنينِ   إنْ فِراقاً أو يَكُن بعدُ اقترابْ
إيه يامِلءَ فُؤادِي ومُنَاه   إيه يارمزَ الأمَانِي والأملْ
يا نسيماً ضَمَّ أَنْفَاسَ الحياةِ   نَفْحَةٌ تُهْدِي إلى مَيْتٍ أجَلْ
أنا إذ أَلْقَاك عَفْواً لا أُحِسُّ   فِيك جِسْماً كبقياتِ الجسُومْ
إنما ألقاكَ طَيفاً لا يُحَسُّ   طائفاً يَهفُو[٩] كما يَهفُو النَّسِيمْ
فى خَيالى أنتَ أنْقَىٰ وأرَقُّ   أنتَ رُوحٌ فيه أو طيفُ مَلَكْ
بجناحَيه تَراءى فخفقَ   بسناءٍ هَادِيءٍ يُغْرِي الحَلَكْ
أفلا لُقيا بِثغرٍ بَاسِمٍ ؟   أفلا قلبٌ أُناجِيه سَمِيعْ ؟
أفلا شَكْوىٰ فؤادٍ هائمٍ ؟   أفلا نَجْوى بِصَمْتٍ وخُشُوعْ ؟
« بحَياتِى أفتَدِى هذا اللقاءَ »   وأمانِيَّ وما ضَمَّتْ يَدَاى
وبِنَفسِي لو دَنا عهدُ الرِّضَاءِ   فَمَحا بُؤسِي وأوْدَى بجَواى
وأوَىٰ قلبين فى بُرْدٍ[١٠] الوفاءِ   مثلَ ما كانا شَقِيقَيْ مَوْلِدِ
ليتَ . لكن « ليتَ » لاتُدنِي رَجاءَ   فَلأَمُتْ أو أبقَ خِلْفَ الكَمَدِ[١١]

(٨) سحيق : بعيد .
(٩) يهفو : يُسْرِعُ .
(١٠) بُرْد : كِساء يُلْتَحَفُ به .
(١١) الكمد : الحزن الشديد مع كتمانه .

طَيْف!!(١)

هو هذا أنتَ ياطيـــفُ ؟ فَأهــــلاً مرحباً ياطيـفَ مَنْ أهــوىٰ وسَهْـــلَا

* * *

هَوَّمَ النَّـــــومُ وأرْخـــــىٰ رِيشَه واحتــواني بِجَنـــاحٍ قَد تَدلَّـــى
وانـــزوىٰ العَالـــمُ عنِّـــى وخَـــبَتْ ضَجَّـــةُ الكَـــونِ ومـــا فيــه وَوَلَّـــى
هاهُنـــا فى النـــومِ ألْقَـــىٰ عَالَمـــاً هَادِئـــاً رَحْبـــاً وبَسَّامـــاً مُظِـــلًّا
وتَـــراءىٰ الطيـــفُ سَمْحـــاً رَاضِيـــاً بَاسِماً كالأمـــلِ الحُلـــو وأحْلَـــىٰ
هُو هذا أنتَ ياطيـــفُ ؟ فأهــــلاً مرحباً ياطيـفَ مَنْ أهـوىٰ وسَهْـــلَا

* * *

أُذْنُ مِنِّـــى فاستمـــعْ لَحْـــنَ فُؤادِى إنَّـــه لَحْـــنٌ يُغَنِّيـــه بَدِيـــعْ

* * *

إنَّـــه عنـــوانُ حُبٍّ وَوِدَادٍ وهَيامٍ بين أحْناء(٢) الضُّلُـــوعْ
إنَّـــه إنْشُودَتِـــي أخْلُـــو إليها بيـــنَ صَمْتٍ وهَيـــامٍ وخُشُوعْ
إنـــه لَحْـــنٌ أُغَنِّيـــه وَقَلْبِـــي خَافِقٌ والعينُ تَهْمِـــي(٣) بالدّمُـــوعْ
أُدْنُ مِنـــى فاستمـــعْ لَحْـــنَ فُؤادِى إنَّـــه لَحـــنٌ يُغَنِّيـــه بَديـــعْ

* * *

---

(١) نشرت فى يونيو ١٩٢٩ .
(٢) أحناء : مفردها حِنْو ، والحنو كل شيء فيه اعوجاج كالضلع .
(٣) تهمى : من هَمَتِ العين أى صبتْ دموعها .

هاكَ قَلْبِـــى فتسمَّـــــعْ خَفقَاتِـــــه   فهـــو قَلْبٌ مُسْتَثَـــارُ الخَفَقـــاتِ

* * *

بَلَّـلْ[٤] الوَجْـدَ[٥] وهَدِّىء زَفَرَاتِــه[٦]   فهـــو قَلْبٌ ضَيِـــقٌ بالزَّفــــراتِ
أنتَ ياطيـــفُ الـــذى يرجُـــو فؤادِي   بعـد ماقَـــدْ ضَاقَ ذَرْعـــاً بالشكـــاةِ
هاكَ قَلْبِـــى فتسمَّـــــعْ خَفقَاتِـــــه   فهـــو قَلْبٌ مُسْتَثَـــارُ الخَفَقـــاتِ

* * *

أنْتَ ياطيـــفُ وياريَّـــا[٧] حبيبـــــى   أنتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْــــــزُ السَّلامِ

* * *

لك مِنِّى كُلُّ مَعْنىٰ قُدْسيٍّ   يَهْمِسُ الحبُّ بِه بينَ الأنامِ
أنتَ يا طيفُ وياريَّا حبيبى   أنتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْزُ السَّلامِ

---

(٤) بلل : من بلَّ بَلَلاً : ترآ وصَحَّ أو تَنَدَّىٰ .   (٥) الوَجْدَ : الحزن .
(٦) زفراته : من يقال : زَفَرَتْ النار : يُسمعَ لاتقادِها صوتٌ .
(٧) ريًّا : من رَوَىٰ ريًّا : استقى أو الشرب التام .

صوت ؟![1]

تُذَكِّرُنى الماضِي فآسى لِذُكْرِهِ ... وتُوقظُ أشْجَانى وقد كنتُ نَاسِيَا
وتُلهِبُ إِحساسِى بأنغامِكَ التى ... تحدَّثُ عن قلبى إذَا أنَّ[2] باكيا
حنانَك هذا القلبُ قد آدَه[3] الأسىٰ ... فخلَّفه نِضْواً[4] مِن الهمِّ واهيَا
تُهيجُ بِهِ الأنغامُ آلامَه التى ... تحمّلَها بالرغم أسْوانَ[5] رَاضِيَا !
تحمَّلَها لم يَشْكُ للناسِ ثِقْلَها ... وقد كان معذوراً لو آلتاعَ[6] شاكيَا

* * *

تُذَكِّرُنى حُبّـا قديماً دفنتُـه ... ونفضتُ كَفِّى يائساً منه آسيَا[7]
ورحتُ أُوارِي كلَّ آثارِهِ التى ... تُراءىٰ فتُذْكِي الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خَابِيَا
بعثتُ به حيّاً يُطِلُّ وينْزوِي ... ويفتـحُ أجْفَانـاً مِراضاً سَواهِيَـا
يُجَرْجِرُ أكفاناً من القلبِ صُغْتُها ... تُمَـزِّقُ أشتاتاً وتبـدُو بَواليَـا[8]
هو اليومَ ذِكْرَىٰ لاتُرَجَّىٰ حياتُه ... فلا هو مَعْدوماً ولا هُو باقيَا
هو اليومَ آلامٌ وقد كان مُتْعةً ... ورُوحاً ورَيْحاناً وطَيْفاً مُناغيَا

* * *

ترددَ هذا اللحنُ في النفسِ قَبْلَما ... بعثتُ به صوتاً من الثغرِ شَاجيَا
وجَاشَ به صدرُ الحياةِ فَرجَّعَتْ ... أغاريدَه كالنُّـوحِ أسْوَانَ دَاوِيَـا

---

(١) نشرت فى ١٩٣٠ ، والمراد بالصوت : محمد بخيت .
(٢) أنَّ : يألم : صوت الألم .
(٣) آده : قوىَ عليه .
(٤) نضوا : هزيلا .
(٥) أسوان : حزين .
(٦) آلتاع : اشتد به الألم .
(٧) آسيا : حزينا .
(٨) بواليا : مفردها بالية : قديمة .

وحدَّثتَنا عَما أكَنَّتْ(٩) نُفوسُنا فأيقظت فيها كلَّ ماكانَ سَاهيَا
نُحدِّثُ إذنْ ننصتْ وإن ثَارَ شَجْونا ونُمْسِكُ أكباداً تَنَزَّى(١٠) دَوامِيَا

---

(٩) أكَنَّتْ : أخفت .

(١٠) تنزى : تسرع إليه .

هى أنْتِ(١)

هى أنتِ التى خُلِقَتْ لِنحيَا في ظلالٍ مِنَ الوفاءِ الرشيدِ ؟
كحياةِ الأرواحِ تُضْفِى حناناً وهى تهفو فى ظلِّها الممدودِ ؟
حيثُما الحبُّ طائفٌ يَتراءىٰ كالملاكِ المهوِّمِ المَكْدُودِ(٢)
حَانِى العِطْفِ(٣) إذ يَضمُّ علينا ضمةَ الأُمِّ رَحْمَةً بالوليدِ
فإذا الكونُ والحياةُ جمالٌ وإذا العيشُ فُسْحَةٌ فى الخُلُودِ ؟

* * *

هى أنْتِ التى أطافتْ بنفسى وتراءتْ فى خاطرِى من بعيدِ ؟
حينما كنتُ هائماً أتلقىٰ أغنياتِ الآمالِ شتىٰ النشيدِ ؟
فى ظِلالٍ من الأمانى تَتْرىٰ(٤) بين وادِى التعِلَّةِ(٥) المعهودِ !
إذْ تَراءَيْتِ هَالَةً مِنْ رجاءٍ هادِىءٍ لَيِّنٍ رفيقٍ وَئِيدِ(٦)
ثم دَانَيْتِ فى دَلالٍ وديعٍ ثم باعدتِ فى دلالٍ شَرودِ ؟

* * *

هى أنتِ التى تلاقيتِ رُوحاً مع روحِى فَهَامَتَا فى الوجودِ ؟
هى أنتِ التى تُحَدِّثُ عنها خَطَراتى ، فى يقظتِى وهُجُودِى ؟
إن تَكُونى ! إِذَنْ فهاكِ فؤادى كلّه خالصاً نقىَّ العهودِ
وتعالَىْ نَبْغِ الحياةَ جِهاداً عبقرىَّ التصويبِ والتَّصْعيدِ !
شَجِّعِينى على الجهادِ طويلاً فجهادُ الحياةِ جِدُّ شَديدِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٠ .
(٢) المكدود : المغلوب .
(٣) العِطْف : الجانب .
(٤) تترى : تتابع (متواترة) .
(٥) التعلة : ما يُتعلَّل به .
(٦) وئيد : من اتَّأد فلان : تأنَّى وتمَهَّل ، ويقال : مشى مشيا وئيداً : على تؤده .

أشْعرينـــى بأن قلبـــاً نقيًّـــا يَرتَجِى سَاعِدى ويهـوِى وُجُودِى
ثم سيرِى معى نَخُطُّ طريقاً كمهادٍ فى الصَّخرةِ الجُلْمُودِ[٧]
نظـرةٌ منكِ وابتسامـــةُ حُبٌّ تتركُ الصَّعْبَ لَيِّناً كالمُهـودِ[٨]
لك مِنـى عَواطِفـى وعُهـودِى لك منـى رِعايتـى وجُهـودِى

(٧) الجلمود : الشديدة . (٨) المهود مفردها مهد : فراش الطفل .

أحبك(١)

أُحبكِ كالآمالِ إذْ أنتِ مِثْلُها تُذَكِّين(٢) فى نفسى أعزَّ مَواهِبىَ
ومـا هِى إلا نظـرةٌ شاعريَّـةٌ تعبِّرُ عما شِئتُه مِنْ رَغَائبِ
فَتَسْرِى إلى نَفْسِى مَضَاءً(٣) وجَرْأةً ووثبـةَ حسَّاسٍ. وَعزْمَـةَ راغبِ
ورُوحاً ذَكِىَّ النفحِ يَسْرِى كأنَّه نشيـدُ مَلاكٍ هَائـمٍ مُتقَـارِبِ
يعيدُ إلى المكدودِ راحةَ نفسِه ويبعثُه خَلْقاً جديـدَ المطـالبِ

* * *

أُحبُّكِ من قلبى الذى أنْتِ مِلْؤه ومِنْ كلِّ إحساسٍ بِنَفْسِى ذَائبِ
فُؤادِى الذى فتَّحْتِ فيه مشاعراً من الحبِّ والإحساسِ شَتَّى المَذَاهبِ
سموتُ بِهِ حتى تَكَشَّفَ دُونَه عَوالِمُ أُخرىٰ تائهاتِ الجوانبِ
عوالِمُ لا تبدُو لقلبٍ مُنَقِّبٍ(٤) بلا ذلِك القلبِ الرفيقِ المُصَاحِبِ !
بها كلُّ لذاتِ الحياةِ ودونها لذائذُ أُخرى كاذباتِ العَواقبِ !

* * *

أُحبُّكِ إذ تُرجين منِّى رعايةً وتَهْوِينَ ساعاتِ الحياةِ بِجَانِبِي
هنالك نَسْمُو بالحيـاةِ فَنَرْتقِـى إلى كَنَفٍ(٥) بينَ السمواتِ ضَارِبِ
هنالك نَحيـا والأمانىُّ حَوْلَنـا تُغَـرِّدُ ألحانَ المُنىٰ والرغَـائبِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٠ .

(٢) تذكين : من ذكت النار : اشتد لهبها والمراد : تنمين وتقوين أو تزداد حرارة .

(٣) مضاءً : قوةً ، يقال : مَضَى السيف مضاءً : صار حاداً سريع القطع .

(٤) مُنَقِّب : باحث .

(٥) كَنَف : من كَنَفَ الشىء : صانه وحفظه .

ثوارِدُ خواطِر ![1]

خَطَرَ ببالِ الشاعر اسمٌ مُعين ، ثم نَظَر فجأةً ؛ فإذا بصاحِبةِ هذا الاسم تنظرُ إليهِ وتحييه ... !

أفأنتِ ذِى ؟ أم ذاكَ طيفُ منامِ ؟ إنى أراكِ كطائـفِ الأحـلامِ !
لما خَطَرْتِ وقد سَمَوْتُ بخاطِرِى ألفيتُ شَخْصَكِ كالملاكِ أمَامِى
فَدُهِشْتُ أو فَارتعْتُ أو فتضَرَّمَتْ خَفَقاتُ قلبى المُنْتَشِى البَسَّامِ
عجباً ! أكنتِ هُنا فأَوْمَضَ خَاطِرِى بكِ ؟ أم سَرَيْتِ على جَنَاحِ غَرَامِى
إنّـى لأومِـنُ بالغـرامِ وإنَّـــه يَقْـوَى على مُتَعَـذِّرِ[2] الأوهـامِ !

* * *

ماذا صنعتِ بعالَمِى وخَواطِرِى لَمَّا لَقِيتُكِ كالخيالِ السَّامِى ؟
أفأنْتِ سَاحِرةٌ تَصُوغُ من الدُّجَى نوراً ، وتبعثُ فى الحياةِ حُطامِى ؟
وتُحيلُ صُمَّ القافـراتِ[3] نَوابضاً بالزهـرِ ، والآمالِ والإلهَـــامِ ؟!
وتُجَمِّلُ الدُّنيـا وتَخْلُـقُ عَالَمـاً للخُلْـدِ فيـه مَدارِجٌ ومَسَامِ ؟
اللهُ ! أو فالحبُّ . فهو ظِلالهُ فى عالَـمِ الأوهـامِ والأفهـامِ !

* * *

ياللقـاءِ ! فكيـفَ قد حَجَّبتِـه عن نفسِ منهومِ العواطِفِ[5] ظَامِ[6] ؟
هو هذه الدُّنيا وعَالَمُ سِحرِها ؟ هو ذلك النبعُ الجميلُ الطَّامِى ؟[7]

---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ .
(٢) متعذر : شاق عسير .
(٣) صم القافرات : المراد الأرض الفضاء الخالية من أية حياة .
(٤) مدارج ومسام : مسالك وممرات للعلو والارتفاع .
(٥) منهوم العواطف : قوى العواطف من : نَهِمَ فى الشىء : أفرط الشهوة أو الرغبة فيه .
(٦) ظام : ظامىء : شديد العطش .
(٧) الطامى : من طما الماء : ارتفع وملأ النهر .

حَجَّبتِه عنى ، فأسفَر بغتةً بيدٍ تجىء بِمُعْجِزِ الأيــامِ !
الحبُّ ؛ ياللحبِّ ! يَرْتَجِلُ المُنى من غيرِ تدبيرِ وغيرِ نِظَامِ !
إنى وَثِقْتُ به وماهُو باخلٌ بكِ ياسعادُ بيقظتى وَمَنامِى

عيْنَان(1)

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرتهما ، وتصوّر أنهما تستطيع اختراق الحجب والأستار ، وعجب أى مدى يستنفد طاقة هذه النظرة حتى ماوراء الكون ، وهذه الطاقة فى تصوره لايستنفذُها بعدٌ من الأبعاد فتساءل : —

إلى أىِّ سِرٍّ بَلْ إلى أىِّ طَلْسَمِ ... تَوَجُّه مِنْ عينك شُعَاعٌ مُلْهِمِ ؟
إلى مَخْبأِ الأسْرارِ فى نفسِ كَاهِنٍ ... تُحجِّبُها أستارُ دُجْوان(2) مُظْلِمِ
إلى الغابرِ الماضِى الذى ضَاعَ رَسْمُه ... وغيَّبه النِّسيانُ فى تِيه عَيْلَمِ(3)
إلى القابلِ الآتى الذى نَدَّ طيفهُ ... عن الوهمِ بل ضَلَّته رُؤيا المُنَجِّمِ
إلى حَيثُما الأقدارُ تُمضى أمورَها ... على خِفيةٍ من وهمِه المُتوهِّمِ
إلى ماوراءَ الكونِ والعالِمِ الذى ... يُحطُ به رُؤيا السُّحَيْرِ المُنوِّمِ

* * *

لَأحْسَسْتُ فيها رِعدةً(4) إذْ تَوجَّهَتْ ... وَدَبَّ لها قَلْبى وأنكرَها دَمِى
وأحْسَبُها قد جاوزتْ فى عُبورِها ... عَوالِمَ لم تُخْلَقْ ولم تُتوهَّمِ

---

(1) نشرت فى مايو ١٩٣٤ .
(2) دجوان مظلم : المراد تامة الظلمة من دَجَا يدجو : تمَّ وكمُل .
(3) عَيْلَم : بحر .
(4) رِعْدة : اضطراب الجسم من فزع أو حمى أو غيرهما .

حَدِّثِينى (١)

رأى الشاعر سحابة من الأسىٰ على جبينها لايعلم لها سببا :

حدثينى بمستشار شُجُـــونِكِ واكْشِفِى لى عمـا اخْتَفَـىٰ مِنْ شئـونِكِ
حَدِّثِينـــى بما تُكِنِّيـــنَ(٢) إنى أنـا أولى بعبئِـه مِنْ دُونِكِ
أنا أقْوىٰ على الحياةِ إذا عِشْتُ حَيـــاتِي مُزَوَّداً مِنْ يِقِيـــنِكِ
ولقد عِشْتُ للمآسِي إلى أنْ قَدْ عَرَفْتُ السُّرورَ مِنْ تَلْقِينِكِ
ولَقَدْ عِشْتُ للبكاءِ إلى أنْ قد سَمِعْتُ الغِنَاء فى تَلْحِينِكِ
ولقد عِشْتُ للظلامِ إلى أنْ قَدْ لَمَحْتُ الضِّياءَ بينَ عُيونِكِ

* * *

حَدِّثِينى عَنْ سِرِّهَا نَظَـرَاتٌ أو دُموعٌ تَجُولُ بينَ جُفُونِكِ
حَدِّثِينى عن الأسىٰ يَتَـرَاءىٰ كأسِيفٍ(٣) الرَّجَاءِ فوقَ جَبِينِكِ
أو تَعالَى لذلك الكَنَفِ(٤) الحا نِى عليك واركَنِى لِسكُـونِكِ
هُو أحْنَىٰ عليكِ مِنْ قَلْبِها الأمِّ وأدْرَى من قَلْبِهـا بحَنِيـــنِكِ
فَاغْمُرِى في عُبَابِـه(٥) المُتَرامِـى مَامَضَىٰ عَنْكِ أو أتَىٰ مِنْ شُجُونِكِ
وَابْعـثِيها ابتسامـــةً وحيـــاةً مِلْؤُها السِّحْرُ والهوىٰ مِنْ فُتُونِكِ

---

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٣٤

(٢) تكنين : تخفين أو تكتمين .

(٣) أسيف : رقيق القلب .

(٤) الكَنَفُ : جانب الشيء ، وكنفا الرجل : حضناه عن يمينه وشماله ، وكنف الطائر : جناحاه .

(٥) عُباب : موج البحر المرتفع .

خِصَام[1]

تَخاصَمْنـــــا . تخاصمْنـــــا ! كذلك يعــــــبثُ الحبُّ !
ألـــيسَ الطِّفـــلُ إذْ تَنْـــزُو[2] قُواه يَهُـــمُّ أو يَكْبُـــو ؟[3]
أَلَيْسَ يُحطِّـمُ اللُّـعَبَ الـــ ـتى كانَ لهَـــا يَصْبُـــو ؟
ألـــيسَ يَهـــزُّه الصَّخَبُ ويَخْلُـــو عِنْـــدَه الـــوثْبُ ؟
كذلكَ حُبُّنَـــا يَحيَـــا وَليــــــــداً جِدُّه لعِبُ !

* * *

تَخاصَمْنـــــا . تخاصمْنـــــا وإنْ لَم يَسْمَــعْ القــلبُ !
ألـــيستْ لا تُحَيِّيِنــــــى ولا يُمْتِعُنـــــا القُـــرْبُ ؟
ألسنَـــــا إنْ تُلاقِيْنَـــــا نَغُضُّ[4] وتُسْدَلُ الحُـــجُبُ ؟
وَمَـــــا قُبلاتُنـــــا تَتْـــرى[5] ولا الـــرُّسُلُ ولا الكُـــتُبُ
كذاكَ نَعِـــــيشُ فى صَمْتٍ فلا غَزَلٌ ولا عَتْبُ

* * *

تخاصمْنـــــا . خُصومَتُنـــــا سلامٌ ثَوبُــــــــــه حَرْبُ !
سلامٌ بيـــــنَ قَلْبيْنـــــا فكـــــلٌّ هَائِــــمٌ صَبُّ
ونَخْسِــــرُ فى مَظاهِرِنـــــا ومِـــلْءُ وطَابِنـــــا[6] كَسْبُ !

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٣٤ .
(٢) تنزو : تتحرك .
(٣) يكبو : يسقط .
(٤) نغض : نكف ونخفض ، يقال : غضَّ من بصره وصوته .
(٥) تترى : تتابع .
(٦) وطابنا : جلودنا المراد : أنفسنا .

وَنَظْمَـــــــأُ إِن تَنَاءيْنَــــــا فَيحلُـــــو الْــــورِدُ والشُّرْبُ
وتَذْكُـــو للهَـــوىٰ شُعَـــلٌ فلا يَسكـــنُ أو يَخْبُـــو
كذلك حُبُّنَـــا يَحيَـــا كذلك يَعْـــبَثُ الـــحُبُّ

بيانو وقلب(١)

هُو قلبٌ لَمَسْتِه ، أَمْ « بِيَانُهْ » ؟ فَتَنَادتْ مِنْ جَوْفِه أَلحَانُـهُ
هو قلبى أجَلْ فَهذِى الأغانى هُو يَشْدُو بِها ، وذا تَحْنَانُه(٢)
أم تُراه — كما أرْجو — فؤادٌ بيـنَ جنبيكِ مُلْهَـمٌ خَفَقَانُـه
فتلاقى القلبانِ فى ذلك اللحن وحَـاكتْ خفقاتِهما أوزانُـــه
وتَراءى فى اللحن طيفُ الأَمَانى مُطْبَقَاتٌ على الرؤى أَجْفَانُـه

* * *

لَحْنى أنتِ خَفَقَ قَلْبى نشيداً أَنْتِ أَدْرَى بِما حَوىٰ وِجْدَانُه
والْمَسِى بالحنانِ قَلْبى فيشدُو مِثْلَمَا تَلْمَسُ البنانُ(٣) البَيَانُه »
بَلْ فُؤادِى مُلَحِّنٌ عَبْقَـرِيٌّ ! لَحْنُهُ مِنْــه قِطْعَـةٌ وَبَنَانُــه
أَلْهِمِيه النشيدَ وهـو يُغَنِّـى لكِ لَحْنَ الخلودِ سَامٍ حَنَانُهُ
أَلْهميه النشيدَ وهـو يُجَلِّى لك وادِى الخلودِ زُهْرٌ جنانُهُ
أَطلقِيه مِنَ القيــودِ بِلَحْــنٍ قَدْ تَسَامىٰ على القيودِ افْتِتَانُهُ
ودَعِيه يَطِــرْ دونَ جَنَــاحٍ غيــرَ حبٍّ يَزِيــدُه طَيَرَانُــه

---

(١)نشرت فى اكتوبر ١٩٣٤ .
(٢) تحنانه : التحنان : الحب الشديد .
(٣) البنان : أطراف الأصابع .

الظَّامِئة(1)

بعَيْنَيْكِ أُبصِرُ رُوحَ الظَّماءِ وبِالنفسِ أَلْمَحُ طَيْفَ القَلَقِ
ففى الخَطَرَاتِ ، وفى .. اللَّفَتَاتِ وفى النَظَرَاتِ ، وبينَ الحَدَقِ(2)
يُطِلُّ التلهفُ فى وَثْبَةٍ وتَعْصِفُ ريحُ اللَّظَى المُحْترِق
لِأَىٍّ من الأمرِ هذا التَطَلُّع هذا التوثبِ ، هذا الحَرَقِ(3)
شُوَاظٌ من الشَّوْقِ ؟ أَمْ جَمْرَةٌ ؟(5) من الحبِّ محمرةٌ كالشَّفَقِ ؟

* * *

أُحِسُّ بِأَنَّكِ مَلْهُوفَةٌ لأَن تَنهلِى كلَّ مَعْنَى الغَرَامِ !
وأن تَنهبِى النورَ من فجرِهِ وأن تَسْلُبِى زَفَرَاتِ(6) الظَّلامِ !
وأن تَقْطِفِى كلَّ زَهرِ الرُّبا وأن تَرشُفِى كلَّ قَطْرِ الغَمامِ
وتَسْتَوْعِبِى كلَّ وَحْىِ الحياةِ من الشَّجْوِ والوَجْدِ أو الابتسامِ
تَفَتَّحَ فيكِ شُعورُ الحياةِ فَشَفَّكِ مِنهَا الهوى والأُوَامِ(7)!

* * *

إلىَّ إلىَّ ؛ ولا تَجْفَلِى(8) فإنى ظمئتُ لِما تَظْمَئينْ
وأحسبُنى كنتُ أَهْفُو إليكِ كما كنتِ لى فى المُنى تَرقُبينْ

---

(1) نشرت فى ١٩٣٤ .
(2) الحَدَق : مفردها الحَدَقَة : السواد المستدير وسط العين .
(3) الحَرَق : النار .
(4) شُواظ : لهب لا دخان له أو وهج الحر .
(5) جمرة : قطعة ملتهبة من النار .
(6) زفرات : المراد : أنفاس .
(7) الأُوام : حرارة العطش .
(8) لا تجفلى : لاتنزعجى ولا تفزعى .

وشَطَّتْ بِنــا بدواتُ اللِّقــاءِ   وضَلَّتْ بِنَا خُطَواتُ السِّنينْ
إلى أنْ لِقيـــتُكِ فَتانــــةً   فحرّكْتِ منى اشتياقِى الدَّفينْ
تَعالَى نروِّ ظِمَـــاءَ السنيـــنِ   تعالَى نَعِشْ للمُنى والفتُونْ

لِماذَا أُحِبُّكِ !؟[1]

أُحِبُّكِ حُبَّ الهوىٰ والجُنونِ   أحبُّكِ حبَّ الرَّشَادِ الرَّزِيـنْ
أحبك بالقلبِ فى وَقْـدَةٍ   أحبكِ بالعقلِ جَمّ السُّكُونْ
وتبدينَ فى قلبِى المستطارِ[2]   كما تُسْفرينَ[3] بفكرِى الرَّصِينْ[4]
ففيكِ تلاقَىٰ الهوَى والهُدىٰ   وشَابَه فيك الرشادُ الجنونْ
فأما ازْدَهانِى[5] بحبِى الفتون   رَكَنْتُ به للحِجَا[6] واليقينْ

* * *

لماذا أحبكِ ؟ هل تفكرينَ ؟   ومالسرُّ فى الأمرِ ؟ هل تعلمينْ ؟
ألِلحُسْنِ ؟ كَم قد لَقِيتُ الحِسَانَ   فما هِجْنَ بِى وَمْضَةً مِن حنينْ
ألِلعطفِ ؟ إنى القَوِىُّ العطوفُ   فما أرْتَجِى رحمةَ العاطِفينْ
أللنظراتِ ولِلَّفتاتِ   ولِلسِّحرِ فى مُهْجَتِى تُسْكُبِينْ[7]
وشتىٰ الخلالِ وشتىٰ السِّماتِ ؟   لقد طالَما اجتمعتْ لِلمئِينْ[8]
إذَنْ فلأىِّ المزايا يكونُ   هَواى وحُبِّى ؟ هَلْ تُدرِكِينْ ؟

* * *

ألا فاعلمِى الآنَ عِلْمَ اليقين   سأكْشفُ عن سِرِّ حُبِّى الدَّفِينْ
لقد لَجَّ[9] بِي قبلَ هذا ، السكونِ   وقد آدنِى[10] الصمتُ ، صمتُ الحزينْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) المستطار : المفزوع .
(٣) تسفرين : تشرقين وتضيئين .
(٤) الرصين : الثابت .
(٥) ازدهانى : ازدهى : أخذته خِفة من الزهو (الافتخار والكِبْر) وغيره .
(٦) الحجا : العقل .
(٧) تسكبين : تصبين .
(٨) للمئين : للمئات .
(٩) لجّ : لازمه ولم ينصرف عنه .
(١٠) آدنى : أجهدنى .

وقد عِشْتُ للجِـدِّ ، جدِّ الرصيـنِ | أهُـمُّ وأكبُـو[11] بعبءِ السِّنينَ
إلى أنْ لَقِيتُـكِ خَفَّاقَـةً | تَوَقَّـدَ فيك الهَـوَى والفُتُـونْ
فأنتِ هُنـا فَرْحَـةٌ تَمْرَجِيـنْ | وأنتِ هُنـا نَشْوَةٌ تَقْفِزِيـنْ
وأنْتِ هُنـا جمرةٌ كاللّظَـى | وأنتِ هُنـا شُعْلَـةٌ تُومِضِيـنْ
فأكمَـلَ هذا المراحُ الطـروبُ | هدوءَ الحزيـنِ وجِـدَّ الرَّصيـنْ
وأعجبنـي حُسْنُ هذا الكمـالِ | وإنى عليـه الحفيـظُ الأمِيـنْ

* * *

لهذا أُحِـبُّكِ : هل تُفكِرِيـنَ ؟ | وهـذا هو السرُّ . هل تَعْلَمِيـنْ ؟

---

(11) أكبو : من كَبَا يكبُو : انكب على وجهه : عثر وسقط .

رَسُولُ الحياة[1]

أفــى كلِّ لُقْيَــا شعــورٌ جَديــدٌ ؟ وفى كلِّ قُرْبٍ ظِمَــــاء يَزِيـــدُ ؟
وفى كلِّ يومٍ أرى عَالَمــاً مِنَ الحبِّ يَنْسُبُنا للخُلودْ ؟
وألقـاكِ والكـونُ قفـرٌ جديبٌ فتنبضُ فيـه المُنى والـوُرُودْ
ويَخْفُـقُ بالحبِّ قلبُ الحَياةِ وتَشْدُو هَواتفُهـا بالنَّشيـدْ
كأَنَّ الحيــاةَ وآمالَهـــا إذَا مَالقِيتُكِ خَلْقٌ جديـدْ
هو الحبُّ لا القَــدَرُ المستطيـلُ[2] يُقَسِّمُ فى الكونِ شَتـى الجُـدودْ[3]
فيمنــعُ فالكــونُ شاكٍ شَقِــىٌّ ويمنــحُ فالكــونُ راضٍ سَعيــدْ !
ويَنْــبِضُ فالكــونُ فى نَشْوَةٍ ويَجْمُـدُ فالكـونُ جاثٍ[4] بَليـدْ !

* * *

لَقِيــتكِ خَفَّاقَــةً كالرجــاءِ فذكَّرْتِنــى أننــى بَعْـدُ حَىْ
وجَــاشَ بِنَـفْسِى شعــورُ الحيــاةِ وفتّــحتُ فى رَجْفَــةٍ[5] مُقْلَتَـــىْ
أُقــلِّبُ عينــى بهذا الوجــودِ وترتــادُ رُوحــى مِنــه الخَفِــىْ
فيــا للجمــالِ ، ويااللغِنَــاء ويــا للخواطــرِ تهفُــو إلـــىْ !
ويالِــى مِنْ ظَامِــىءٍ لاهِــفٍ ! ويــالى مِنْ عَاشِقٍ عَبْقَــرِىْ !
يحيــلُ الحيــاةَ إلى فتنــةٍ وأصداءَهــا لنشيــدٍ شَجِـــىْ[6]
ويُطْــرِبُ بالشعــرِ قَلْبَ الحيــاةِ ويَنْفَحُهــا بالــرِّضا القُــدْسِىْ
ومــاأنتِ إلا رسولُ الحيـــاةِ وحــبُّكِ مُعْجِــزةٌ مِنْ نَبِــىْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) المستطيل : المُترفع أو المُتفضل .
(٣) الجدود : الحظوظ .
(٤) جاث : من جثا يجثو : يركع فى ذلة .
(٥) رجفة : اضطراب .
(٦) شجى : حزين .

سرُّ انتصارِ الحياة(١)

أطِلّــى بِطَلْعَــتكِ السّاحــرةِ   وحَيِّــي بنظــرتِكِ الشّاعــرهْ
أفيضِى على الكــونِ فيضَ المِــراحِ   وغَذِّيــه بالقــوةِ الطّافــرةِ(٢)
ومــالك أنتِ ؛ ومــا للسُّكُــون ؟   ومــاأنتِ إلا القُــوىٰ الثائــرهْ
قُوىٰ الحبِّ تَنْــبِضُ بيــنَ القِفَــارِ   فتغــــدُو القِفَــــارُ بها ناضرهْ
وتنفــخُ فى ساكنــاتِ القُلــوب   فتغـــــدُو سَواكنُها نَافِــــرهْ
وتهتـــــفُ للصُّمِّ بالأغنيــــاتِ   فَيُصْغُــون للنَغْمَــــةِ السَّاحِــرهْ

* * *

ألستِ التــى نَبَضَتْ « بالوجــودِ »   فشقَّ قُوى « العَــدَمِ » السَّاخــرهْ
بلى ! أنتِ سرُّ انتصــارِ الحيــاةِ   على الموتِ فى الوقعــةِ الظافــرهْ
هُنــا لك من قبــلِ ميلادِهــا   وكانتْ مغيبــــةً حائــــرهْ
وكـــنتِ نواةً بها ضَامــــرةً(٣)   فعــدتِ حيــاةً بِهــا سَافــرهْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) الطافرة : من طَفَر : قفز ، وطفر الشيءَ : قفز من فوقه وتخطاه إلى ما وراءه .
(٣) ضامرة : القليل اللحم الرقيق : هزيلة .

المُعْجزَة(١)
أو
السَّهمُ الأخير

مَنَحْتنِى اليومَ ما الأقدارُ قد عجزتْ ... عن منحِهِ ، وَتَنَاهى دونَه أملِى !
منحتنِى الحبَّ للدُّنيا التى جَهِدَتْ ... فى أن تُميلَ لها قلبى فلمْ يَمِلِ !
وكلما قرَّبتْنِي ، قلتُ : خادعةٌ ! ... وكلّما طمأنْتنِى ؛ قلت واوَجَلى !
ويغمرُ الشَكُّ نفسِى كلما كشَفَتْ ... عن فاتِنٍ من حُلاهَا غيرِ مبتَذَلِ
حتى خَسِرْتُ من الأيَّامِ ماغبَرتْ ... به السُّنونُ ، وحتَّى عقَّنِي أجَلِى

* * *

واستَلْهَمَتْ هذه الدنيا طبيعَتَها ... فى مُعْجِزٍ مِنْ قُواها قاهرٌ حانِ
فأبدعتْكِ جَمالاً كلُّه ثِقةٌ ... يؤلِّفُ الحبَّ من وَحيٍ وإيمانِ
وأودعتْكِ رَحيقاً من خُلاصتِها ... ومنبعُ السِّحرِ فيها جَدّ فتَّانِ
وأرسلتْكِ يقيناً فى طَلائِعها ... منيرةً فى دُجى عَقْلِى ووجْدانِى
فكنتِ آخرَ سهمٍ فى كِنَانتِها(٣) ... وكنتِ معجزةً من خَلْقِ فنانِ

* * *

والآن أُخلِصُ للدنيا وأمنَحُها ... حبِّى ، وأُدْرِكُ مافيها من الفِتَنِ
والآن أنظرُ للدُّنيا وأنتِ بها ... كعاشقٍ بهواها جَد مُفْتَتِنِ
والآنَ أعْمَلُ للدُّنيا على ثقةٍ ... بأننى قَلْبُها الخفَّاق فى الزمنِ !
والآن أنصتُ للدُّنيا فَيُطْرِبُنِي ... من صوتِها العذبِ لَحْنٌ سَاحِرُ اللَّحنِ
لك الحياةُ إذنْ مادمتِ مانحةً ... لِىَ الحياةَ بلا أجرٍ ولاثمنٍ !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) واوَجَلى : واخوفى أو فزعى .

(٣) الكنانة : ما تحفظ فيها السهام .

اللحنُ الحزين(١)

أسي(٢) الألحانِ أمْ هذا ؟ أساكِ يسيلُ فى اللَّحْنِ ؟
وإلا هذه نَفْسي تهيمُ بِعَالَمِ الحُزنِ
فتُوحِى النفسُ للأذنِ ؟

وأين نشيدُكِ الراضِى ؟ وأينَ نشيدُكِ العَذْبُ ؟
وأين الفَرْحَةُ النَّشْوىٰ ؟(٣) وأين القفزُ والوثْبُ
يذكّى(٤) وَقْدَةَ الحبِّ ؟

سَمِعْتُكِ أمسِ لم أسْمَعْ سِوى نبراتِ أسْفَانِ(٥).
وغنوةِ عاشقٍ يَئِستْ مُنَاه من الهوىٰ الفَانِى
فَأنَّ(٦) فؤادُه الحانِى

هى الأوتارُ عَالِمةٌ بما فى قلبِك المُفْعَمِ ؟(٧)
وإلاَّ أنت مُوحِيةٌ لها تَرنيمةَ المؤلِمِ
تَمَسُّ القلبَ كالبَلْسَمِ(٨)

بربكِ عَلِّمِى اللحْنَا يُرجِّعُ غِنْوةَ الأمَلِ
ويُبْهِجُ هذه الدُّنيا ويبعثُ نشوةَ الجَذِلِ(٩)
فَيَدْعُو الكونَ للعملِ

أجَلْ ياخطرةَ الفَنِّ برأسِ مُفَكِّرٍ سَامِ(١٠)
وغايةَ كلِّ فَنَّانٍ يُنَاجِى حُسْنَ أوهامِ
أجَلْ ياسرَّ إلْهامِى

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) أسَى : حزن .
(٣) النشوى : السكرى من شدة الفرحة .
(٤) يذكى : يشعل ويلهب .
(٥) أسفان : حزين .
(٦) فأنَّ : من أنَّ يَئِنُّ أنينا : تألَّمَ .
(٧) المفعم : المملوء .
(٨) البلسم : الدواء الشافى .
(٩) الجذل : الفرحان .
(١٠) سامٍ : سامى :عظيم القدر .

الغيرة[1]

إذا كان الشاعر صادقا فى شعوره . صادقا فى التعبير عنه ؛ كان فى الشعر مجال للدراسة السيكلوجية ؛ فوق الدراسة الفنية .

وفيما يلى مقطوعتان من الشعر فى موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد ولكن الفرق بين روحيهما بعيد !

ولا يهمنى أن أدرسهما من الناحية الفنية . فذلك شأن القراء . إنما يهمنى أن أدرسهما من الوجهة النفسية ذلك أن مبعثهما هو « الغيرة » وهى عامل نفسانى بحت .

* * *

فَهِمتْ هى ! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه . فى حين لم تكن إلا مجاملة . فآلمها ذلك ولكن لم تُرِدْ أن تبين سبب الألم ؛ لِدقة الموقف ؛ وإن أشارت إليه من بعيد .

وبدت كاسفةَ البالِ واجمةً يتراءى فى عينيها الرجاء الأسيف ، والأمل المكلوم ؛ والريبة التى تهرب منها فتلاحقها .

ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتيابها ؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول :

فلولا اعتزازُكِ بالحبِّ لم تثُرْ فى فؤادِكِ تلكَ الرِّيَبُ

ولكن هذه الريبة تَجَسَّمَتْ فى نفسها ؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها . فكانت المقطوعة الثانية ، وكان ما يشبه التَبَرُّمَ بهذا الشك منها حيث لا مبرر

---

(1) نشرت فى ١٩٣٤ .

للشك ! .

* * *

الغيرة تَلَذُّ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب ولكن حين تَلِجُّ فيها المرأة قد يتبرم بها ، لأنها تكون طعنة للحب !

— ١ —

غَضِبْتِ فيالَكِ مِن غَاضِبةٍ ! وأرسَلتِها نَظْرةً عاتبةْ
يُتَمْتِمُ فيها الرجاءُ الأسيفُ[2] وتجأرُ[3] فيها المُنى الوَاثِبةْ !
وفيها هُدوءُ الرِّضا المُطْمَئِنِ تُمازِجُه الغيرةُ الصَّاخِبةْ !
تُطِلُّ بِها الذكرياتُ العِذابُ وتُرجِعُ مُجْهَدةً لَاغِبةْ[4]
وفيها فُتُورٌ[5] ولكنَّه فُتورٌ به قوةٌ غَالِبةْ

* * *

ولكن بِها بعدَ هذا وذاكَ فنونُ الهوىٰ والجمالِ العفيفْ
وفيها من السِّحرِ أطيافُه بعينيك أَلْمَحُهَا إِذا تطيفْ
لأَلهمتِني السرَّ لما نظرْتِ إِلىّ بهذا الفُتورِ الشُّفُوفْ[6]
وحدثتنى فى خُفوتٍ عجيبٍ بما أضمرتْه لُغاتُ الطيوفْ
ولولا شعورِى بحُبِّى العطوفِ لأحببتُ فيكِ الشعورَ الأسيفْ !

* * *

قد انتصرَ الحبُّ . ياللانتصار بهذا العتابِ وهذا الغضبْ
وَثِقْتُ من اليومِ فى حُبِّنا وأنك تَرْعِينَه فى حَدَبْ[7]
فلولا اعتزازُك بالحبِّ لم تُثِرْ فى فؤادِكِ تلك الرِّيَبْ

---

(٢) الأسيف : الحزين .
(٣) تجأر : ترفع صوتها : تضرع واستغاث .
(٤) لاغبة : مُتعبة من لَغَبَ يَلْغُبُ : تعب وأعيا .
(٥) فتور : سكون بعد حدة ونشاط : لاَنَ بعد شدة .
(٦) الشفوف : من شَفَّ يَشِفُّ شُفُوفا : رقَّ حتى يُرى ما خلفه : نَحَلَ ودَقَّ من همٍّ أو مرضٍ .
(٧) حَدَبْ : عطف .

إِذَنْ فاطمئِنِّى فهذا الفؤادُ يحبُّكِ فى وَقْدةٍ كاللهبْ
يحبُّكِ إِى وجمال الغضبِ يحبُّكِ إِى والهوىٰ المُلْتَهِبْ

— ٢ —

حَدِّثِينى أما تَزالين غَضْبىٰ ؟ أوَ مَازَالَ مِلْءَ نَفسِكِ رَيْبا ؟
ولماذا الوقارُ والصمتُ يُضْفِى بعدمَا كنتِ لِى مَراحاً ووَثْبا ؟
كانَ بالأمسِ كالعِتابِ جميلاً ماله اليومَ لَمْ يَعُدْ مِنْكِ عتْبا ؟
صَمَتَ الكونُ مُذْ صَمَتِّ ونامَتْ صادِحاتٌ تُردِّد اللحنَ عَذْبا
أنا أخْشَىٰ ولا أُصرِّحُ مَاذا أنا أخْشَى ؛ فما أزال مُحِبًّا !
اِبْسَمِى تَبْسَمُ الحياةُ وتَرْضَىٰ وامْنَحِينى اليقينَ . أَمْنَحْكِ حُبَّا

مَصْرَعُ حُبّ ![1]

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضى فقال : « ليلة الشك » وبات هذه الليلة فى الجحيم حتى لقد فضل اليقين ولو جاءه بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية .

أنا أشْرِى اليقينَ بالفُقْدَانِ مُؤْثِراً فيه وَاضحَ الآلامِ

ثم خاطبها فى هذا الشك فلم ترد له نفيا فكان « اليقين » الذى طلبه حتى إذا جاءه قال فيه .

أيهذا اليقينُ إنّك قاسٍ ما تطلبتَ كلُّ هذا المُصَابِ !

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة الطائرة .

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب « الجنة الضائعة » فيها ألم ؛ ولكن بها عفة عن جنة « تَجُوسُ فيها الذئاب » وإن كان يتمنى لو فقد جنته هذه وهى « مؤمنة عَامِرة » حتى لا يفقد ذكراها كذلك . فيتضاعف الفقدان ، وهنا يبدو إحساسٌ نادرٌ ؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئا أن يفقدوه محطما لا قيمة له ، على عكس ما يريد الشاعر .

* * *

المرأة سريعة التشكك ؛ ثائرة الغيرة ؛ ولكنها سريعة التصديق لا تَجْنَحُ لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها فى الحب ، بل ربما هربت من اليقين ، وتعلقت بالأوهام .

والرجل بطىء التشكك ؛ هادىء الغيرة ، ولكن الشك الذى يداخل نفسه ، بطىء الزوال ، وقد يفضل اليقين المؤلم ، على التعلل بالخيال .

---

(١) نشرت فى١٩٣٤ .

— ١ —

ليلةُ الشَّك

ليلةُ الشكِّ والأسَىٰ والظَّلامِ
وجحيمَ الإقدامِ والإحجامِ

والعذابِ المُمِضِّ (٢) لم يُتَصوَّرْ
فى وعيدٍ أو خَطْرَةِ الأوهامِ

قد تركتُ الماضى حَصِيداً هَشِيمَا (٣)
ونضيرَ الآمالِ مثلَ الحُطَامِ

عن عِذابِ الآمالِ قَدْ أتعزَّىٰ
وما عَزَائِي عَمَّا مَضَىٰ مِنْ غَرامِى ؟

ليتنى أستطيعُ أنْ أرجعَ الما
ضِى فأُحْيي ما ضَاعَ مِنْ أيامِى

ليلةَ الشكِّ هل مضيتِ ؟ فإنى
لم أزلْ بَعدُ غارقاً فى الظَّلامِ

والهوىٰ المُشْرِقُ المنيرُ تهاوَىٰ
فى خِضَمٍّ (٤) الدُّجَىٰ العميقِ الطَّامِى

والحياةُ التى تفيضُ مِرَاحاً
قد تَبدَّدتْ فى ذِلَّةِ الأيتامِ

وَمَشَىٰ الحبُّ مُطْرِقاً (٥) يَتَوارَىٰ
كَحَيِيٍّ يَنُوءُ (٦) تحتَ اتِّهامِ

ليلةَ الشَّكِّ قَدْ طَمَسْتِ حياةً
مِنْ رَجاءٍ صِيغَتْ ومِنْ إلهامِ

لَهفَتى لليقينِ يَغْمُرُ نَفْسِى
لَهفَتِى للهدوءِ بعدَ اضطرامِ

أنا أشرِى اليقينَ بالفُقْدانِ
مُوثِراً فيه واضحَ الآلامِ

— ٢ —

اليقين

اليقينَ اليقينَ بعدَ ارتيابِ
الهدوءَ الهدوءَ بعدَ اصطخابِ

اليقينَ اليقينَ أطلبُ فيه
راحةَ اليأسِ من جحيمِ اضطرابِى

---

(٢) الممض : المؤلم .
(٣) هشيما : اليابس المحطم .

(٤) خضم : بحر .

(٥) مطرقا : من أطْرَق : سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما .

(٦) ينوء : يعجز .

أيهذا اليقيـــــــــــنُ إنّك قاسٍ   مائطلـــبتُ كلُّ هَذا المُصـــابِ !
أيها الشكُّ رُبّمــــــــــا كنتَ خيراً   من يقينٍ كالجَذْبِ بين اليبـابِ (٧)
خَيْـــرَةَ الشك ، هَدْأةَ اليــأسِ ، هَلاّ   لحظـــةً تتـركانِ نَفْسِى لِمـــا بِى
لحظـــــــةً تُخْلِيـــــانِ فيها فؤاداً   مَلَّ وقـــعَ اليقيـــنِ أو الارتيـــابِ
ثم ماذا ؟ ومـــــا الهروبُ ؟ وهــــذا   واقعُ الأمـــرِ ، ما لهذا التَّغَابِـــى ؟
يا يقينـي إلـــىّ . إنى حَفِـــىٌّ (٨)   بيقيـــنٍ شَرِبْتُـــه بِلُبَابِـــى
بدمـــائى التـى بُذِلَتْ ، بِدَمْعِـــى   برجـــائى المُنَـــوّرِ الوَثّـــابِ
أنتَ أغلى عَلـــــىّ مِنْ كلِّ هذا   يَايَقِينـــى ، ومُـــرْشِدِى للصوابِ

— ٣ —

الجنةُ الضّائعة

فَقَـــدْتُكِ ياجَنّتـــي السَّاحـــرةَ   وغـــادرتُ أفيـــاءَكِ العاطـــرهْ
وهِـــمْتُ تُشَرِّدُنى المُقْفِـــراتُ   وتَلْفَحنى كاللظّـــى الهاجـــرةْ (٩)
ويَـــعْصِفُ فى نَفْسِى العاصفـــاتُ   وتَنْهَشُهـــا الـــوَحْشَةُ الظّافِـــرَهْ
وقَـدْ طَمَسَ اليـــأسُ نَهْـــجَ الرَّجَـــاءِ   وغَشَّ الـــبصيرةَ والبَـــاصِرهْ
فلا الظّـــنُّ يَلْمَـــعُ مِثْـــلَ السَّرابِ   ولاَ العِلْمُ يُرْضِى المُنَـــىٰ الحَائـــرهْ
هو اليـــأسُ أو فاليقيـــنُ الأليـــمُ   وبـــعضُ الحقائـــقِ كالكَافِـــرهْ
فيـــا لليقيـــنِ المُـــمِضِّ اللّجـــوجِ   ويَـــا لحَقيقتِـــه الجَائِـــرهْ
فَقَـــدْتُك ياليتـــى إذ فَقَـــد   تُكِ كنتِ مؤمنـــةً عَامِـــرهْ
لَعـــزّيْتُ نفسِى بالذكريـــاتِ   وأودعتُ فِرْدَوسِى الذَّاكـــرهْ
ولكـــن فَقَـــدتُك نَهْبَ الذئـــابِ   تجـــوسُ خِـــلالَـكِ كالآسِـــرهْ
ونهبَ القَشَاعِمِ (١٠) والجارحـاتُ (١١)   تخطِـــفُ أثمارك النَّـــاضِرهْ
ونهبَ المطامِـــعِ والمغريـــاتُ   تُدَنِّسُ نِيَّـــتَكِ الطَّاهِـــرهْ
فقـــدتُك فى النـــفس أُنْشُودةً   ومعنـــىٰ من الفتنـــةِ السّاحـــرهْ
فقـــدتُك ذِكْـــرى فواحسرتـــاه   لِفَقْـــدٍ منِ العيـــنِ والخاطـــرهْ

---

(٧) اليباب : الخراب .   (٨) حفى : مُعتنٍ ومهتم .
(٩) الهاجرة : القيلولة : شدة الحر .   (١٠) القشاعم : النسور الضخمة الذكور .
(١١) الجارحات : الطيور الجارحة .

الحنينُ والدُّموع (١)

جَفَّ قَلْبِى منَ الحنينِ فَغَاضَتْ (٢) عَبَراتى وأقفرتْ مُنْذُ حِينِ
وحسبتُ الدموعَ ذِكْرى توارتْ بينَ ماضِى حياتِى المَكْنُونِ (٣) !
وإذا بِى أُودِّعُ اليومَ عَهْداً فتفيضُ الدموعُ مِلْءَ الجفُونِ
فى انسكابٍ (٤) يَغُضُّ (٥) من كِبْرِيَائى واضطرابٍ يرتاعُ مِنهُ سُكُونى
يادموعَ الوفاءِ أَنْتُنَّ أغْلَى أن تُرَقْرَقْنَ للوفاءِ الغَبِينِ (٦)

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) غاضت : نضب : انتهى : جفّ .
(٣) المكنون : المستور .
(٤) انسكاب : من انسكب : انصَبّ وسال .
(٥) يغض : ينقص : يقلل .
(٦) الغبين : الناقص : الضعيف : الخادع وهو المراد

اللُّغز (١)

خَفقَ القلبُ الذى مَسَّتَ يدَاكِ جانبيَه ؛ فى جنونٍ واضطرابِ
أكذا يَهْتَاجُنِى مَسُّ هواكِ وأنا الهادِئُ فى مَورِ (٢) العُبَابِ ؟ !

* * *

عجباً ! ما السِّرُّ فى خفقتِه.. ؟ إننى أسألُكِ السِّرَّ الدفينْ
أنت أدْرَىٰ بالذى أودَعتِه فيه من حبٍّ ، ووَجْدٍ ، وحَنِينْ !

* * *

إن قلبى لم يكنْ يَنْزُو (٣) ، فماذَا سَالَ فى كفِّكِ مِنْ سِحْرٍ عَجيبْ ؟
أهو اللُّغْزُ الذى تَحْوِينَ هذا ؟ أم هى الفتنةُ مِفْتَاحُ القُلُوبِ ؟

* * *

إيه !. إنى فى اضطرابى قَدْ نَسِيتُ مَبْعثَ الفتنةِ فى عينيك تَيْنِ !
تُضْمِرَانِ السِّحْرَ يُحيى ويُميتُ ؟ وهما سِرُّ اتصالِ المُهْجَتَيْنِ

* * *

سِحْرُكِ المجهولُ أمْسَكْتُ عَصَاه ! فإذا شئتُ اتقاءً أتَّقِيه !
لكن السِّحْرَ الذى تَاهتْ رُقَاه إننى أهفُو إلى الإخلادِ فيهِ

(١) نشرت فى ١٩٣٤ . (٢) مور العباب : تحرُّك الأمواج .
(٣) ينزو : من نزا ينزو : وثب ، ويقال : نزا به قلبه إلى الشىء : طمح ونازَع إليه .

قُبْلَة (١)

أهــى الــنَّشْوةُ أم وَقْــدةُ جَمْــرِ ... إننى أحسستُها تذكُـو (٢) بصَدْرِى
وبرُوحِـــى لَهْفَـــةٌ تَبعثُهـــا ... هذه القبلــةُ من أعــذبِ ثَغْــرِ
قُبْلَـــةٌ ! ما هذه القُبْلَـــةُ إذ ... تنقلُ الدُّنيا إلى عالــمِ سِحْــرِ ؟
وتُحيــلُ الجسمَ والــرُّوحَ معــاً ... شعلــةً طائفـــةً لم تَسْتَقِـــرْ
بل تُحيلُ الجسمَ والرُّوحَ شَذًى (٣) ... من عبيرِ الخُلْدِ أو مِسْكَةِ طُهْــرِ

* * *

لم أُحِسَّ الــرُّوحَ منـــى مُثْقَـــلًا ... بهمومِ الجسمِ إذ هَوَّمَ (٤) يَسْرِى (٥)
لم أُحِسَّ العُمْـــرَ إلا خَفْقَـــةً ... فى فُؤادِ الدَهـــرِ قد فَاضتْ بِبشْرِ
وأرى الماضِى أضْحَـــى لحظَـــةً ... بعد ماقَدْ كادَ أن يُنْقِضَ ظَهرِى (٦)
وتطلَّـــعْتُ بعيـــنِ المُنْـــتَشِى ... لجمـالِ الكـونِ فى نَشْوةِ سُكْــرِ

* * *

أهـــى القُبْلَــةُ من ثَغْــرٍ لِثغــرِ ؟ ... أم هى الخَطْرةُ مِنْ وَحِى لِفكْــرِ ؟
أم تُراهــا قُبْلَــةَ النــورِ التــى ... فاضَ منها النــورُ فى أولِ فَجْــرِ ؟
حينما رفــرفَ والكـــونُ دُجَـــى ... رُوحُ ربِّ الكونِ فى لُجَّةِ (٧) غَمْـرِ (٨)
فتجلّـــى النـــورُ فى بَرٍّ وبَحْـــرِ ... وتَـراءى الـحُسْنُ فى طيــرٍ وزَهْــرِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) تذكو : تنمو وتلتهب .
(٣) شذى : الرائحة الطيبة .
(٤) هوّم : نام نوما خفيفا .
(٥) يسرى : ينتشر .
(٦) ينقض ظهرى : يثقل ظهرى .
(٧) لجة : موجة .
(٨) غمر : ماء .

دَاعِى الحياة(١)

يَخفُقُ القلبانِ ، بل تَهفُو الشّفاه مُنذُ أن ضَمّتْكِ فى شَوْقٍ يَداه
مُنذُ أن رَنَّ صَدَاها ، قُبْلَةٌ نَهِلَتْ مِنها وعَلَّتْ شَفَتَاه
وارتوتْ رُوحَاكُما بَلْ ظَمِئتْ برحيقِ القُبُلاتِ المشتهاه
بَلْ رحيقُ الخُلْدِ قَدْ طَابَ جَنَاه وسَرَىٰ فيه حُلاه وشَذَاه

* * *

يَخفُقُ القلبانِ ؛ بل تَهفُو الشّفاه حينَ يَلْقَى ناظِرَيك نَاظِرَاه
حينما يَسْتَعِرُ(٢) الحبُّ جَوىً(٣) يَكْتَوى القلبانِ مِنْ حَرِّ لَظَاه
فَيُرجِّى كلُّ ثَغْرٍ قُبْلَةً هى بَرْدٌ للحنَايا والشِّفَاه
مثلما يَطْلُبُ رِيًّا ظَامِىءٌ ينظُرُ الماءَ ولايَبْلُغُ فَاه

* * *

يخفُقُ القَلْبانِ ؛ بل تَهفُو الشّفَاه كلما بَشَّرَ بالحبِّ الهُدَاه
كلمــا نَادَىٰ حَىْ هَلا يَقْطِفُ المحرومُ ماطَابَ جَنَاه
مَا لِمَحْرومَيْنِ لم يَسْتَمِعَا ذلك الصوتَ الذى دوَّى صَدَاه
إيه هيا ؛ فَلْنُجبْ دَاعِى الشّفاه فهوَ داعِى الحبِّ ؛ أو دَاعِى الحياهْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) يستعر : يشتد : يلتهب .

(٣) جوى : شدة الوجد والشوق .

تحيةُ الحياة[1]

شَفَتَـاى تَخْتَلِجَـانِ[2] للتقبيـلِ ؟ فى كُلِّ مُطَّلِعٍ لديكِ جميلِ
ظَمَأٌ الشِّفـاهِ طبيعـةٌ أُلْهِمْنَهـا منذ ارْتَوَيْنَ بثغـركِ المَـعْسُولِ
ظَمَأٌ تُؤَجِّجُه[3] القلوبُ خَوافِقـاً تَنْـزُو بعـارِمِ[4] لهفـةٍ وغليـلِ
من يومِ ما التقت الشِّفَاهُ فَحدَّثَتْ عن حُبِّنـا بسواحـرِ الترتيـلِ !
أفتذكرينَ وقد ضَمَمْتُكِ والهوى يُغْرِى ويُوقِظُ خاطِرَ التقبيـلِ ؟
والكونُ يُمْسِكُ خَفْقَه مُنْتظراً قبلاتِنـا فى لَهْفَـةٍ وذُهـولِ[5]
هُو عاشقُ القُبلاتِ ! إنّ رَنينَها لَحْنٌ يُنَبِّهُ فيه كُلَّ خُمُـولِ
وهى الحياةُ إذا تُحيّى قُبْلَـةٌ رَمْـزاً على الترحيـبِ والتَّأْهِيـلِ
أفـلا نَردُّ على الحيـاةِ تحيةً مَاعقَّها فى الكونِ أىُّ بخيلِ ؟
أفـلا نُرَجِّـعُ غِنْـوةَ التقبيـلِ ! وتحيـةَ الدُّنيـا لخيـرِ نَزيـلِ ؟[6]

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) تختلجان : تضطربان وتتحركان .
(٣) تؤجّجه : تشعله : تزيد نارَه .
(٤) عارم : شديد .
(٥) ذهول : دهشة وتعجب .
(٦) نزيل : ضيف .

الخطَر (١)

بيـنَ التلفُّتِ والحَذَر ... خَطَرتْ تُبشِّرُ بالخَطَرْ !
بُشْرَىٰ ! فما دامتْ هُنَا ... فعلامَ تُقْرِئُنا النُّذُرْ !
وتشيرُ للمتنظِّرينَ ... إشارةَ اللَّبِقِ (٢) الحَذِرْ !
لتضيعَ منى قُبْلَةٌ ... لبثتْ بفِيها تَنْتَظِرْ !
ولبثتُ أرقُبُ قَطْفَها ... من بَعْدِ مانَضِجَ الثَّمَرْ
هو ذاكَ ياقلبُ الخَطَر ... لا الناظرونَ ولا النَظَرْ

* * *

صَنَعَ الشبابُ صنيعَه ... والحبُّ فى الحُسْنِ النَّضِرْ
فمضَى يَتِيهُ (٣) تخايلاً ... فإذا تَلَطَّفَ يَعْتَذِرْ !
ويَلُوحُ حتى نَنْتَشِى ... ويغيبُ حتى نَسْتَعِرْ
ويروقُ حتى لا نَرىٰ ... شمساً سِواه ولا قَمَرْ
ويَرِقُّ حتى لا نَرىٰ ... طيراً سِوَاه ولا زَهَرْ
ونَطِيرُ فى نَشْوَاتِنا ... نهفُو إليه وننتظِرْ
فإذاه آناً يعتذِرْ ... عَنَّا وآناً يستتِرْ !
هو ذاكَ ياقلبُ الخَطَرْ ... لا الناظرونَ ولا النَظَرْ !

* * *

تِهِ أيُّها الحُسْنُ الأغَرُّ (٤) ... وامرحْ بِنَفْسِكَ وازْدَهِرْ
ما الحُسْنُ إلا شُعْلَةٌ ... تَخبُو إذا هى لم تُثَرْ
ما الحُسْنُ إلا طَائرٌ ... يَهوِى إذَا هُو لم يَطِرْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) اللبق : الظريف الذى أحكم كل عمل .
(٣) يتيه : يتكبر .
(٤) الأغر : المشهور .

ما الحُسْـــــنُ إلا قُوةٌ تَعْيَـــا إذَا لم تَقْتَـــدِرْ
أمّـــا الذيـــن أسَرْتِهم بيـنَ التبــرُّجِ والخَفَــرْ(٥)
فعـــليهِمُ أن يَعْلَمُــــوا يا حُسنُ من أين المَفَـرْ!
أو يَستَنِيمُـــوا(٦) للخَطَــر وبحسبِهــم مِنكِ النَظَــرْ!

---

(٥) الخفر: الحياء.
(٦) يستنيموا: يخضعوا.

يقظة(1)

سَهِرْتِ ؟ إذنْ تَعالَىْ حَدِّثِينى ... بما أحْسَسْتِ من حَرَقِ(2) الحنينِ
فقد جربتُه سهرَ الليالى ... وقد خَبَرْتُ تسهيدَ(3) الجفونِ
وأعْلَمُ أن مبعثَه غرامٌ ... يَؤُزُّ(4) جوانبَ القلبِ الحَنُونِ
ويَقْظَةُ حالمٍ تَسْمُو مُنَاه(5) ... عن النُّوامِ فى دُنيا السكُونِ
فَهلْ أحْسستِه حُبًّا كهذا ... فبتِّ الليلَ سَاهِدةَ العُيونِ ؟

* * *

وما أبْغِى لك السُّهدَ المُعَنَّى ... ولا الحُرُقاتِ سَاعرةَ(6) الشُّجُونِ
ولكنِّى أريدُ نشاطَ حُبٍّ ... ويقظةَ عاشقٍ جَمٍّ(7) الفُتونِ
فنوقظُ هذه الدُّنيا خلوداً ... ونَسْمُو عن تقاليدِ السنينِ

---

(1) نشرت فى ١٩٣٤ .
(2) حَرَق : نار .
(3) تسهيد : أرَق .
(4) يؤز : من أزّ : تحرّك واضطرب .
(5) مناه : جمع أمْنيه .
(6) ساعرة : مشتعلة .
(7) جَمّ : كثير .

رُقْيَةُ الحُبّ(1)

خَيَّــمَ(2) الليــلُ فَنَامِــى في هُــدوءٍ وَســلامِ
رَفَّ مِنْ حَولك قَلبٌ عَلَّــم الحبَّ التَسَامِــى(3)
أو فإنَّ الحبَّ تَقَّــا هُ بوحــيٍ مِنْــه سَامِ
فهــو يَحْيَــا في سماءٍ مِن أَمَــانٍ(4) ومَــرَامِ(5)
وهــو يَسْرِى في وَسِيــعٍ من رجــاءٍ مُتَــرَامِ(6)
يَشْمَــلُ الدُّنْيــا بعطــفٍ ورِضَــاءٍ وابتســامِ

* * *

خَيَّــمَ الليــلُ فَنَامِــى في هــدوءٍ وسَــلامِ
رَتَّــلَ الحبُّ رُقَــاه في سُــكُونٍ لِتَنَامِــى
رُقْيَــةُ النــومِ وأُخْــرَىٰ للــرُّؤى بعــدَ المَنَــامِ
ودُعَــاءٌ لــكِ بالبِشْــرِ غداً عنــدَ القيَــامِ
وتَعَاوِيــذُ مِن الشَّرِّ لعــامٍ بعــدَ عَامِ
رُقْيَــةٌ في إِثْــرِ أُخْــرَىٰ مُشْرِقَــاتٌ في الظَّــلامِ

* * *

أيُّهــا الحبُّ فَلا تَنْسَ دُعــاءً بالــدوامِ
وتعاويــذٌ لقلبينــا لِصَــدٍ أَوْ سَــآمِ(7)
أو فَعَوِّذْهــا ودَعْنِــى لِتَعاويــذِ غَرامِــى

---

(1) نشرت فى ١٩٣٤ ، رُقْيَة : العُوذَةُ التى يُرْقَى بها المريض ونحوه .

(2) خيم : انتشر أو غَشّى .

(3) التسامى : من السمو : العلو والرفعة .

(4) أمان : جمع أمنية .

(5) مرام : جمع مَرْمَىٰ .

(6) مترام : بعيد الأطراف .

(7) سآم : ملل .

وإذاَ شئتَ فَعُــــــوِّدْ نى من فَرْطِ هُيامِــــــى
ومِـــنَ اللهفـــةِ تَطْغَــــىٰ فى فؤادِى كالضِّرَامِ (٨)
واجعـــلْ الدُّنْيَـــا سلامـــاً وارْوِ ياحُبُّ أُوَامِـــــى (٩)

(٨) الضرام : النار الملتهبة .

(٩) أوامى : الأُوام : حرارة العطش .

الحياةُ الغَالية[1]

بالأمسِ كنتُ أعيشُ نِضوَ[2] تَرقُّبِ ... أُزْجِى[3] حَياتى كالأجيرِ المُتْعَبِ
أرنُو إلى الإصْبَاحِ ثم تَمُجُّه[4] ... نَفسِى وأنظرُ كارِهاً للمَغْرِبِ
وأُحسُّ بالقفرِ الجديبِ[5] يَلُفُّنِى ... ويَجُوسُ[6] فى نفسٍ كقبرِ الغَيْهَبِ[7]
ولو أنما اخْتُصِرَتْ حَيَاتى لم أُبِلْ ... بَلْ لم أُحسُّ بنقصِها أو أعْتِبِ
وإذَا تَشَابَهتْ الحياةُ وأقفرتْ ... مُجَّتْ بِرُمَّتِها[9] ، ولَمْ تُتَطَلَّبِ

* * *

واليومَ آسَفُ للدقائِقِ تَنْطَوِى ... من عُمْرِى الغَالى الثمينِ الطَّيِّبِ
واليومَ أرْقُبُها وأرْقُبُ خَطْوَها ... فأعيشُها مِثْلَينِ بَعدَ تَرَقُّبِى
وهى العميقةُ كالخلودِ وإنما ... تَمْضِى حَثِيثاً فى خُطَا المُتَوَثِّبِ
وأودُّ لو هى أبْطَأتْ وتَلبَّثَتْ ... فى خَطْوِها لَبْثَ الوَئِيدِ[10] المُكْثِبِ[11]
تَغْلُو الدقائقُ فى حياةٍ خِصْبَةٍ ... وتهونُ أعْوامٌ بِعُمْرٍ مُجْدِبِ[12]

* * *

الحبُّ فَاضَ على الحياةِ بِخصْبِه ... وأجَدَّ[13] عُمْرانَاً بكُلِّ مُخَرَّبِ
وأزَاحَ أسْتَارَ الدُّجَى فتكشَّفتْ ... ظُلُمَاتُه عن كُلِّ زَاهٍ مُعْجِبِ
وكذلك تَحْلُو لِىَ الحياةُ وتَجْتَلِى ... وتَعِزُّ ساعاتُ الغَرامِ المُخْصِبِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) نضو : هزيل والمراد : هزيل من الترقب والانتظار .
(٣) أزجى : أدفع .
(٤) تمجه : تلفظه كارهة .
(٥) الجديب : الذى لا أثر فيه للحياة .
(٦) يجوس : يتردد .
(٧) كقبر الغيهب : كظلمة القبر الشديد .
(٨) لم أبِل :من بَلّ من مرضه : برَأ وصَحّ .
(٩) برمتها : كلها .
(١٠) الوئيد : على تؤدة : فى تمهل .
(١١) المكثِب : المقرّب .
(١٢) مجدّب : قفر : لا حياة فيه .
(١٣) أجَدَّ : من جديد .

الكَوْنُ الجديد(١)

تَغَنَّـــى وامْلئِـــي الدُّنيـــا نشيـــدَا وحَيِّـــى ذلك الكـــونَ الجديـــدَا
فإنَّ الحبَّ أبْدَعَـــــــــه ؛ وإنى نَظـمْتُ على بَدَائِعـــه القَصيـــدَا
أَجَـلْ حيِّـه فهـو لنـا ، وإنَّــا لَنَعْمُــرُ كَوْنَنَـا عُمْــراً سَعِيــدَا
نعـيشُ مَعِـيشَةَ الطُّلَقَـاءِ(٢) فيــه وكَـونُ النـاسِ يُثْقِلُهــم قُيــودَا
وَنَمْلِكُـــه وَمــا الأحيــاءُ إلاَّ أجيـــرِى هذه الدُّنيـا عبيــدَا
وَنَبْــذُرُ فيــه آمـــالاً وضَاءً(٣) فَيُنْبِتُ غَرْسُهـا الطَّلْـعَ النَّضِيــدَا(٤)

* * *

تَغَنَّـــى بالرجـــاءِ وبـــالأَمَانِـــى وبالنُّعْمَـــى تَدومُ لَنـــا خُلُــودَا
ومِـــنْ فِتَـــنِ الحيـــاةِ نُحِذِى الأغَانِـــى ومِـــنْ خَفَقَاتِهــا صُوغِــى النَّشِيـدَا
ومِنْ شِعْرِى ؛ فقـد نظَّـمْتُ فيـه أهازِيـجَ(٥) الهَـوىٰ لَحْنـاً فرِيـدَا
فمـا أحْلَـىٰ الغِنَـاء بِعَـذْبِ شِعْــرٍ نُحيِّــي فيـــه عَالَمَنَـا الوَليـــدَا

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) الطلقاء : الأحرار .
(٣) وضاء : مشرقة .
(٤) الطلع النضيد : النبات الذى يخرج من غلافه فى نظام واتساق .
(٥) أهازيج : أغانى ومفردها هزج .

حُبُّ الشَّكُور[1]

إنْ لَمْ أُحِـــبُّكِ للسَّنَــــا والنُّـــور وَلِـــحُسْنٍ وجـــهٍ فى الحيـــاةِ نَضِيـــرِ
ولِسِحْرِ رُوحِكِ حين يَخْتَلِسُ النُّهَى[2] مِنِّـــى فَأَتْبَعُـــه اتِّبَـــاعَ سَحِيـــرِ[3]
ولَمَّـــا تَضَمَّـــنْتِ الجمـــالَ فأفصحتْ بكِ منـــه سَاحِـــرَةٌ مِنَ التعبيـــرِ
ولما مُنِـــحْتِ ، ومامَنَـــحتِ من الهوىٰ للكـــونِ ؛ أو أحيَـــيْتِ مِنْ مَقْبُـــورِ
إنْ لَم أُحِـــبُّكِ حُبَّ مفتـــونٍ ولا حُبَّ الأسيـــرِ ؛ إذَنْ فَحُبَّ شَكُـــورِ

* * *

حُبَّ الـــذى أحيَـــيْتِ فيـــه حَيَاتَـــه مما لديكِ من الحَيـــاَ[4] المَذْخُـــورِ[5]
ووهبتِـــهِ مُلْكَ الحيـــاةِ وطَالَمـــا قَدْ عَاشَهـــا كالعَامِـــلِ المَأْجُـــورِ
ومَنَحْتِـــه مَاضِيـــه بعـــدَ ضَيَاعِـــه وأعَـــدْتِ قَابِلَـــهُ[6] مِنَ المَحْظُـــورِ
حُبَّ الـــذى أشْرَقْتِ فى وِجْدَانِـــه فجلـــوتِ[7] كُلَّ مُحَـــجَّبٍ مَسْتُـــورِ
ونَفَـــخْتِ فى عَزَمَاتِـــه فتوهَّـــجتْ[8] وسَمَتْ[9] لكـــلِّ مُمَنَّـــعٍ[10] وخَطيـــرِ

* * *

أوْ فَلْأُحِبَّـــك حُبَّ مَنْ أَلهمتِـــه شِعْراً يُضِيءُ سَنَـــاه[11] كُلَّ شُعُـــورِ
شِعْـــراً جمعتِ من الحيـــاةِ زُهَـــورَه ومِـــنَ الجمـــالِ نَفَحْتِـــه بعبيـــرِ
ومِـــنَ الضيـــاءِ وهبتِـــه آمالَـــه ومِـــنَ النَّدَىٰ حِلْماً كَوَجْهِ غَرِيـــرِ[12]

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) النُّهى : العقل .

(٣) سحير : مسحور .

(٤) الحيا : الحياء أو الحياة .

(٥) المذخور : المدخر أو المصون .

(٦) قابله : مستقبله .

(٧) فجلوت : كشفت .

(٨) فتوهجت : اشتعلت وازدادت حرارة .

(٩) سمت :علت من السمو .

(١٠) ممنع : قوى .

(١١) سناه : نوره .

(١٢) غرير : الشاب الناعم (من لا تجربة له) .

وبعثتِـــه وَحـــى الحيـــاةِ وفنَّهـــا تجلُـــوه ضِمْـــنَ جمالِهـــا المَأْثُـــورِ

* * *

أفـــلا أُحِـــبُّكِ ؟ إِنّهـــا لَفَـــريضةٌ حُبَّ الشَّكُـــورِ لِواهبٍ مَشْكُـــورِ

عِصْمَةُ الحُبّ[1]

عِصْمَةُ الحبِّ من صنيعِ السَّماءِ ... وهى صِنْوٌ[2] لِعِصْمَةِ الأنبياءِ
يُخْطِىءُ الناسُ فى الحياةِ اِسْتِبَاقاً ... للذَاذَاتِ قبلَ يومِ الفَنَاءِ
وصِرَاعاً مابينَ جسمٍ ورُوحٍ ... فى شَتيتِ الآمالِ والأهواءِ
وَلَوَ أنَّ الأنامَ قَدْ ضَمِنُوا الخُلْدَ ... أوَ أنَّ الأرْواحَ مَحْضُ صَفَاءِ
لَتَسَامَوا عَنِ الخَطِيئةِ كالقَيْدِ ... وعَاشُوا مَعيشةَ الطُّلَقَاءِ

* * *

وغَنَاءٌ عن الخُلُودِ غَرَامٌ ... هو رَمْزٌ وَوَصْلَةٌ للبقاءِ
وهو يَعْلُو بالرُّوحِ عن خَطَلِ[3] الجسْمِ ... ويُضْفِى عليه ثَوْبَ الضِّياءِ
هُو نورٌ وما الخطيئَةُ إلَّا ... ظُلْمَةٌ أو حَلِيفةُ الظَّلْمَاءِ
وهُو يَسْمُو عن الزمانِ ومَاقَدْ ... يَقْتَضِيه الزمانُ مِنْ أخْطَاءِ
هُو خُلْدٌ ، بِما الخطيئةُ إلاّ ... بعضُ وَحْيِ الفَنَاءِ للأحْيَاءِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ ، عصمة : من عَصَمَ : حَفِظَ ووق ومنع .
(٢) صنو : المراد الأخ الشقيق : المثيل والنظير .
(٣) خَطَل : فساد : الكلام الفاسد الكثير المضطرب : المنطق الفاسد .

الانتظارُ الخالد[1]

أنــــا بانتظـــــارِك ما أُبالـــــى | رِضِىَ الهوىٰ حُكْـــمَ الجَمــــالِ !
غِيبـــــــــــــــى إِذَنْ أو فاحْضُرِى | أنــــا قانِـــــعٌ فى كلِّ حالِ !
رَاضٍ بأحلامِـــــــى التـــــــى | تُضفِـــى عليك حَلْـــىَ[2] الجلالِ
لستِ الملومَـــــــةَ إننـــــــى | أنــا رشْتُ[3] أجْنِحَـــةَ الــدَّلالِ !
مَا لِلجَمَـــــالِ مَتَــــىٰ بَدَا | إلا التَّخَشُّـــعُ فى ابتهــالِ

* * *

أنـــــا بانتظـــــارِك فى الشُّرو | قِ وفى الغـــروبِ وفى الـــزَّوالِ[4]
أنـــا بانتظـــارك حِين أصْــ | ـحُو طَلْعَـــةً مِثْـــلَ الــلآلِى[5]
أنــا بانتظــارِك حيــنَ أغْــــ | ـفُو طائفـــاً مِثْـــلَ الخيـــالِ
وإذا قربت تُطلَّـــــــــــعَتْ | نَفسى إلى القُـــرْبِ المُوالِـــى ![6]
وإلى التَّمـــازُجِ[7] بيننـــــا | حَنْــىَ[8] النحــور[9] إلى كَمَـــالِ
هو ذاك سِرٌّ تَنَظُّـــــــــــرى | أبـــدا إلـــيك ؛ فمـــا احتيالِـــى ؟

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) حَلْى : زينة أو حُلِىٌّ : ما يُتَزَيَّن به .
(٣) رشت : من راش الطائر يريش ريشاً : نبت ريشُه .
(٤) الزوال : الوقت الذى تكون فيه الشمس فى وقت الزوال (الظهر) .
(٥) اللآلى : اللآلىء (اللؤلؤ) .
(٦) الموالى : المتابع : المحب .
(٧) التمازج : الاختلاط .
(٨) حَنْىَ : من حنى العود وغيره يَحْنِى حنياً :ثناه .
(٩) نحور : النَّحْرُ : أعلى الصدر والمراد : حنى النحور : الاتجاه إلى .

الحبُّ المَكْرُوه ![1]

كَرِهْـــتُكَ أَيُّهـــا الحبُّ كراهةَ مُحْنَــقٍ[2] غَاضِبِ
وضَجَّ بِهَـــوْلِكَ القـــلبُ ومايَبْلُـــــوه مِنْ وَاصِبِ[3]

* * *

كَرِهْـــتُك حَيْــرةً كُبْـــرىٰ جحيمــــاً كلُّــــه حَرَقٌ[4]
كَرِهْـــتُك لهفــــةً حَرَّىٰ وشوقـــاً كلُّـــــه نَزَقٌ[5]

* * *

كَرِهْتُـــك رِيبـــةً فِينَـــا وفى الدُّنيا وفى النَّاسِ
نُكَـــذِّبُ مَا بأيدِينـــا ونَسْمَـــعُ هَمْسَ وَسْواسِ

* * *

كرهـــتك غُلَّـــةً ظَمِــــئتْ ولا رِيٌّ ولا مَــــــــــاءُ
وَوَقْدَتُهـــا قد اشتعـــلتْ وفى التلطيـــفِ إِذْكَــاءُ[7]

* * *

كرهتك سُهدَ أجفـــانٍ وصَحْواً فى الدُّجَىٰ المُبْهَمْ[8]
كرهتك مَهدَ أَشْجَـــانٍ ومُذْكِى وَقْدِهـا الـمُضْرَمْ[9]

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) محنق : شديد الغيظ .
(٣) واصب : من وَصَبَ : مرض .
(٤) حَرَق : نار أو أثر النار نتيجة احتراق .
(٥) نَزَق : من نَزِقَ أى خفَّ وطاش . والنَّزق : الخِفَّةُ والطَّيْشُ .
(٦) غلة : شدة العطش وحرارته .
(٧) إذكاء : من ذكت النار : اشتدلهبها واشتعلت .
(٨) الدجى المبهم : الظلام الشديد .
(٩) المضرم : المشتعل .

كرهتك شُغْلِىَ الشَّاغِلْ وآمَالِـــــــــى وآلآمِى
ومَـــاضِى العُمْـــرِ والآجِلِ ولَيْـــلاَتى وأيَّامِــــى

* * *

كرهــتُك دورةَ الزَّمَــنِ بلا حَدٌّ ولا فَاصِلْ
وصلتُ الصَّحْوَ بالوسنِ[١٠] بإحساسٍ لَنــا شَاغِــلْ

* * *

كرهــتُك . لستُ موقوفــاً على حُبٌّ يُقَيِّدُنِــــى
كَرِهْتُ العــيشَ مَلْهوفــاً على أمــلٍ يُسوِّفُنِــــى

* * *

وداعــاً أيُّهــا الحبُّ كرهــتك فارتحلْ قُدُمَــا
كرهتك لم يَعُــدْ قَلبٌ بصدرِى يَحْمِــلُ الألَمــا

* * *

سَأحيــا خَامِــدَ الحِسِّ فلا حُبٌّ ولا أمَـــلُ
سَتخْبُو شُعْلَـــةُ النــفسِ ويَــمضِى ذلك الأجَــلُ

---

(١٠) الوسن : النوم .

نَكْسَة ![1]

خَفَقْتَ ياقلبُ !. ماذا أَنَكْسَةٌ مِنْ جَديدْ ؟
تَوَثُّبُ الحبِّ هَذَا ؟ بعدَ الهدوءِ المَديدْ
وبعد فَكِّ القيودْ !

* * *

يا قلبُ ماذَا أَثَارَكْ ؟ وهَاجَ فيك الحَنينَا ؟
وقد خَلَعْتَ إسارَك[2] وعِشْتَ كالناسِ حِينا
أو عشتَ كالهادِئينَا !

* * *

لَقِيتَها يا فُؤادِى أَنَكْسَةُ الحبِّ لَقْيَا ؟
كالنارِ تحتَ الرَّمَادِ مايلبثُ الحبُّ حَيَّا
ماأعجبَ الحبَّ دُنْيَا !

* * *

ياقلبُ فَاذكُرْ عَذَابَك فى الشكِّ أَو فى اليقينِ
فهل نَسيتَ اضطرابَكْ ؟ بين القَلَى[3] والحنينِ
وبين سُودِ الشُّجُونِ ؟

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ ، نكسة : من نَكَسَ : قَلَبَ أو طأطأ رأسه من خِزى .
(٢) إسارك : قيدك .
(٣) القلى : البُغض والهجر .

وبيـنَ إنْ قِيـــلَ غَابَتْ أو قِيـلَ : الآن تَأْتِى !
وبيـــنَ فوزٍ مُبَـــاغِتْ أو حسرةٍ بعـــدَ فَوْتِ
وحَيْرَةٍ كلَّ وقتِ

أراكَ ياقـــلبُ لَمَّـــا تَسمَّــعْ ، ولم تَتَذَكــــرْ
ومـــا تحاولُ كَظْمـــاً(٤) لِخَفــقِكَ المُتَسعِّـــرْ(٥)
وما تريدُ التدبُّرْ(٦)

* * *

عَلَـيْكَ يَاقـلبُ وِزْرَكَ(٧) فاخفقْ إذَنْ بَلْ فَخَاطِرْ ؟
فليس يُجْدِيكَ(٨) حَذَرُكَ إذَا هَمَـمْتَ تُحَـــاذِرُ
خاطرْ بنفسِكَ خَاطِرْ ؟

---

(٤) كظما : إخفاء الغيظ أو كتمانه .
(٥) المتسعر : الشديد أو شديد الاضطراب والحرارة .
(٦) التدبر : الإدراك والفهم .
(٧) وزرك : ذنبك وإثمك .
(٨) يجديك : يفيدك .

على أطلال الحُبّ[1]

تَفَـرَّدَ ذلك الطَّلَـلُ[2] وطـاف بركنِـه الوَجَـلُ[3]
يُغشّى اليـأسُ صَفْحَتَـه ويُبْـرِقُ تحتَـه الأمـلُ
وتهْـمِسُ حولَه الذِّكْـرَى فتلمـعُ بينها الشُّعَـلُ
جَفَـاه[4] أهلُـه مَلَـلاً فَخيَّـمَ فوقَـه المَلَـلُ
عَزيـزٌ عَهْدُهـم فيـه عزيـزٌ أنْتَ ياطَلَـلُ

* * *

بَنَـاه خيـرُ بَنّـاءِ بَنَـاه الحبُّ مُبْتَدِعـا
وبَثَّ عَلى جَوانِبِـه مَفَاتِـنَ تُفتِـنُ الوَرِعَـا[5]
وأطْلَـقَ حَولَـه سِحْـراً يَبُثُّ الشَّوقَ والوَلَعَـا[6]
وأَنْشِدُ باسمِـه شِعْـراً مِنَ الآمالِ مُنتَزَعَـا
وظَلَّـلَ أهلَـه الأمـلُ فمـاذا جَدَّ يا طَلَلُ ؟

* * *

خريـفٌ بَاكِرٌ حَـلاَّ خريفُ الحُبِّ والعُمْـرِ
فَحَطَّـمَ كُلَّ شَامِخَـةٍ[7] على الأحـداثِ والدَّهْـرِ
وعَطَّـلَ[8] كُلَّ فاتِنَـةٍ مِن الإغْـراءِ والسِّحْـرِ
وأبْطَـلَ كُلَّ سَاحِـرةٍ وأسْكَتَ نَغْمَـةَ الشِّعْـرِ
فَعَـادَ بِنَـاؤُه طَلَـلاً فوَيْحَكَ أيُّهـا الطَّلَـلُ

* * *

(١) نشرت ١٩٣٤ .
(٢) الطلل : مابقى من آثار الديار والجمع أطلال .
(٣) الوجل : الخوف والفزع .
(٤) جفاه : هجره .
(٥) الورع : التقىّ .
(٦) الولع : شدة الحب .
(٧) شاخة : مرتفعة والمراد متعالية .
(٨) عطّل : جردها من زينتها .

دَلَفْتُ(٩) إليــه مَلْهُوفــاً   تحُثُّ حَنينى الذِّكْــرَىٰ
فَأَطْــرَقَ لا يُحَدِّثُنـــى   وأرْسَلَ زَفْــــرةً حَرَّىٰ
وَجَـدْتُ لِوَقْدِهــا لَذْعــاً   كَأَنى أَلْــمَسُ الجَمْــرَا
وتـاهتْ نَفْسى الوَلْهَىٰ(١٠)   وأَسْرَتْ رُوحِـى السَّكْـرَىٰ
وقُلْتُ وقَـدْ نَزَا(١١) أَلَمِـى   « فِداكَ الكونُ ياطَلَلُ » ؟

(٩) دَلَفْتُ : مشيتُ على مهل (رويدا) .

(١٠) الوهى : الحزينة التى فقدت عقلها من شدة الحزن أو الحنين الشديد .

(١١) نزا : من نزا ينزو :وَثَبَ ، ويقال نَزَا به قلبه إلى الشىء : طمح ونازع إليه ونزا به الشر : ثار وتحرّك .والمراد : هاج .

صَدَىٰ قُبْلَة(١)

حرارتُها لَم تَزلْ فَائِــرَه(٢) … ونَكْهَتُها(٣) لم تَزلْ عَاطِرهْ
أُحِسُّ حرارتَها فى دَمِـى … كما تَصْرُخُ الشعلةَ الثَّائِرهْ
وأنْشَقُ نَكْهَتَهـا كالشَّذَىٰ … يفوحُ من الزهرةِ النَّاضِرهْ
وتخطـرُ ريَّانـةً فى فَمِـى … كما يَخْطُر الحُلْمُ بالذَّاكِرَهْ
وبينَ يَدىَّ صَدَىٰ ضَمَّةٍ … تُرَدِّدُ كالنَغْمَـة السَّائِـرهْ(٤)
أجَلْ ! أليْسَ هَذا الذى قد ضَمَمْتُ … سِوى نَغْمَـةٍ حُلْـوةٍ عَابِـرَه
أذلك جِسمٌ ! فأيـنَ الخيـالُ … وأيــنَ عَرَائِسُه النَّافِــرهْ ؟
تَقَـدَّسْت مِنْ قُبْلـةٍ قَدَّسَتْ … مُنَـاى وأوْهَامِـى الحَائِـرهْ
وأزْكَتْ حَياتِـى وإنَّ الحيـاةَ … هى الفِتنـةُ الحَيَّـةُ الطَّائِـرهْ
أجـلْ هى أطْهَـرُ ما فِى الوجـودِ … فما الرِّجْسُ إلّا القُوىٰ الخَائِرهْ(٥)
لجَسَّمْتِ ما كانَ فى خاطِـرِى … خيـالاً وأُمْنيـةً طَائِـرهْ
وقَـرَّبْتِ لِلَّـمْسِ ما لم تَكُـنْ … تُقَرِّبُـهُ الفكـرةُ الخَاطـرهْ
وأسْرَيْتِ بالـرُّوحِ فى لَثْمَـةٍ … تُحِسُّ بِهـا الشَّفَـةُ الشَّاعِـرهْ
أمُعْجِزةٌ أنْتِ تَمْزِجُ بين الجِسمِ … وبيـنَ القُـوىٰ الطَّافِـرهْ ؟(٦)
قُوىٰ كلِّ هَيْكلِ هذا الوجـودِ … كذلك قدرْتِ يا قَادِرَهْ !
وإنّــى لأُغْمِضُ فِى نَشْوةٍ … وأُمْسِكُ أنْفَـاسِى السَّاعِـرهْ(٧)
وأخْطِرُهـا قُبلـةً فى فَمِـى … فأسْمَعُ أصداءَهـا السَّاحِـرهْ

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٣٧ .
(٢) فائرة : شديدة .
(٣) نكهتها : طعمها .
(٤) السائرة : المنتشرة .
(٥) الخائرة : الضعيفة الساكنة .
(٦) الطافرة : من طَفَرَ : وثب : أسرع .
(٧) الساعرة : الحارة .

وأستَرْجِعُ اللحظاتِ القِصَارِ		فَأُلْفِي بها صُوراً وَافِرهْ
وأعْرِضُها مَنْظَراً مَنْظَراً		كما عُرِضَتْ قبلُ لِلبَاصِرةْ
ثَوانٍ تَرَكَّزَ فيها الزمانُ		تُبَارِكُ دُنيايَ والآخرةْ

غِنيٌّ...؟ ![1]

غنيَّـــةٌ أنتِ بالتعبيـــــرِ قد ذَخَـــرَتْ
أطــواءُ نفسِكِ منـــه زادَ أحْقَـــابِ [2]
وهَبتِنــى مِنْـــــه أشتاتـــاً منوَّعـــةً
وزدتِنِـــى منـــه فى جُودٍ وإِسهـــابِ[3]
فى كل جَارحـــةٍ عُنـــوانُ مَلْحَمَـــةٍ
من الحديثِ ، وسرٌّ جِدَّ جذَّابِ
تقصُّ تاريخَهـــــا فى فنٍّ راويـــــــةٍ
منسَّقِ النَّبْـــرِ [4] ذى لحنٍ وإِطـــرابِ
وإِنَّ تاريخَهـــــــــا أُقْصُوصةٌ جمعتْ
تجاربَ الكـــونِ فى أحـــلامِ أربـــابِ
تجاربُ الكـــونِ فى سِـــحْرٍ وفى فِتَـــنٍ
من نُضْرةِ الـرَّوضِ أو مِنْ وَحْشَةِ الغَـــابِ
ومِـنْ سَنــاءِ الــدَّرارِى [5] فى تألُّقِهـــا
ورهبـةِ الكـونِ فى جُنْـحِ الدُّجَـىٰ الخَابِـى
ومِـنْ غُمـوضِ الصَّحَـارِى فى مَجاهِلِهـــا
والعيلـمُ [6] الـرَّحبُ يَطْغَـىٰ جَدُّ صَخَّـابِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٧ .

(٢) أحقاب : مفردها حِقبة : وهى المدة لا وقت لها ويقال ثمانون سنة فأكثر .

(٣) إسهاب : إطالة وتوسّع .

(٤) النبر : إبراز النطق والصوت .

(٥) الدّرارى : مفردها دُرِّىٌّ : نسبة إلى الدُّرّ فى حُسْنِه وبهائه .

(٦) العَيْلَم : البحر أو ذكر الضبع ، وقد يكون المراد العالم .

ومــن صيــالِ الضَّوارِى فى تَمحُّمِهـــا
ومــن أغاريــدِ أطيـــارٍ وتَنْعَـــابِ
وفرحـــةُ الظَّافـــرِ الـــنَّشوانِ خَافِقَـــةٌ
تختـــالُ مُعْجَبـــةً فى خَطـــوٍ وثَـــابِ

* * *

هذا حديـــثُكِ بيَنـــا أنتِ صَامِتـــةٌ
وَغَيْتُـــهُ كلُّـــه فى صَمْتٍ مِحْـــرابِ
فهـلْ بلـــغتُ مدَى ما أنتِ زَاخِــرةٌ (٧)
من التجـــاربِ فى خَلْـــقٍ وإنْجـــابِ ؟
لا . لا وحـــقكِ لم أبلـــغْ سِوى طَرْفِ
من الحديثِ على وَفْـــرٍ وإطنـــــابِ
وخَلْـــفَ ذلك كَنْـــزٌ كُلُّـــه طُرَفٌ
يزيـــدُ مَذْخُـــورُه (٨) فى كفِّ وهّـــابِ
وإنَّ عِنْـــدك ما تُعطِينـــه أبـــداً
للسائليـــــنَ بإفْصَاحٍ وإغْـــرابِ

* * *

العيـــنُ . ماذا تَقصُّ العيـــنُ مِنْ خَبـــرٍ
مُسَلْسَلٍ فى حَنايـــا النـــفسِ مُنْسَابِ ؟
ومـا الـذى أبْدعـــتِ للفـــنِ إذ هَمَست
للأمْنيـــاتِ فلـــبَّتْ بِضْعُ أسْرابِ ؟
وأفْصَحتِ عن حنيـــنٍ كامـــنٍ وهَـــوىٰ
يَسْرِي الهوينىٰ شَفُوفاً بيـــنَ أهْـــدابِ ؟
والثغـــرُ . ماذا يبثُّ الثغـــرُ من قُبَـــلٍ
فى صمتِه العَذْبِ ، بل فى سِحْرِهِ السَّابِى (٩)

---

(٧) زاخرة : فاخرة من زَخَر يزخر : فَخر ، مَلأ ، جاش .
(٨) مذخورة : مدخرة لوقت الحاجة ، مملوء . (٩) السابى : الآسر من الأسر .

وإن فيـــــه لقُبــــــلاتٍ قد ارتَسَمتْ
من بعد ما نَضَجَت ، لِلَّاثِـمِ (١٠) الصَّابى

* * *

والجسمُ . ماذا يقـولُ الـجِسمُ قد خَفَـقَتْ
فيــه الحيــاةُ ، وتــاهتْ تيــهَ غَلَّابِ ؟
يقــولُ ما تَعْجَــزُ الدُّنيـــا بِرُمَّتِهـــا
عن أن تقــولَ بتصويــــرٍ وإِعــــرابِ

* * *

خُلاصَةٌ أنتِ من فَنِّ الحيـــــــاةِ حَوتْ
جَميــعَ ما تُبــدِعُ الدُّنيــا لإِعْجَــابِ
غنيـــةٌ أنتِ بالتعبيــــرِ قَد ذخــرتْ
أطــواءُ نَفْسِك منــــه زادَ أحقــــابِ

(١٠) اللاثم : الذى يقبِّل .

وحي جديد (١)

فِى خِفَّةِ الطَّيْرِ ... فى نُضْرَةِ الزَّهْرِ
لَاقيتُها عَرَضاً (٢) ... بَسَّامةَ الثَّغرِ
فتّانةً تُغرِى ... بالسِّحْرِ والطُّهْرِ
تَهْفُو (٣) فَتَحْسَبُها ... لحناً هَفَا يَسْرِى
فى لَفْتةِ الجِيدِ ... فى خَفْقةِ الصَّدْرِ
« تَقْسِيمُ » موسيقى ... مَنْغُومةِ النَّبْرِ (٤)

* * *

يا بَسْمَةَ الفَجْرِ ... يا نَفْحَةَ العِطْرِ
أسْكَرْتِ وِجْدَاني ... مِنْ لَوْنِكِ الخَمْرِى
ألْهَبْتِ إحْسَاسِي ... بالشَّوقِ كالجَمْرِ
وَهَمسْتِ فى قَلْبى ... وهَتَفْتِ فى صَدْرِى
وبَعَثْتِنِى أشْدُو ... للحُبِّ بالشِّعْرِ
وكأنّنى رُوحٌ ... تَقْفُو (٥) خُطا سِحْرِ
مَفْتُونَةٌ تَرْنُو (٦) ... للكَونِ فى سُكْرِ
والكَونُ يَشْمَلُها ... بالأُنسِ والبِشْرِ

* * *

عَجَبِى لِمَا أَلْقى ... مِنْ لُغْزِكِ السِّحْرِى !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٧ .
(٢) عرضا : مصادفة أى بلا تدبير سابق .
(٣) تهفو : تسرع فى مشيتها .
(٤) النبر : المراد : مرفوعة الصوت .
(٥) تقفو : تتبع أثر الخطا .
(٦) ترنو : تديم النظر .

وَحَــــىٌّ يُوسْوِسُ لى   فى السِّرِّ والجَهْــــرِ
حوَّلتِ عُمْــــرِىَ من   شَطْــرٍ إلى شَطْــــرِ
حبَّبْتِنى ، عَجَبَـــا !   فى عِيشَةِ الوَكْـــرِ (٧)
قد كنتُ أرْهَبُهـــــا   كالنَّـــابِ والظُّفْـــرِ !
وإِخَالُهـا شَرَكـــاً (٨)   فى البَـــرِّ والبَحْـــرِ !
إذ كنتُ أدْمَغُهـــا (٩)   بالشَكِّ والغَـــــدْرِ
فَملأْتِنـــــى ثِقَـــةً   بِجَمالِهـــا المُغْـــرِى
ورسمتِ لى صُوراً   لِفراخِهـــا الــخُضْرِ
تَزْقُــو (١٠) فَنُطْعِمُهـــا   بِحَنانِنــــا الـــنَّضْرِ
ونَــــرِيشُ أجْنِحَـــــةً   مِنْ رِيشِهـا النَّـزرِ (١١)
فَتطِيرُ هَازِجَـــةً (١٢)   فى جَوِّنـــا الشِّعْـــرِى
وتـــؤوبُ وَادِعَـــــةً   للـــعُشِّ كالطَّيْـــرِ !

* * *

يَا فِتْنَتِــــــى ، هَذَا   طيـــفٌ مِنَ السِّحْــرِ
إِنْ تأذَنِــى أضْحَــىٰ   شَطــراً مِنَ العُمْـــرِ
فَهبِــى لى رُوحَـــا   مِن رُقْيَـــةِ الثَّغْـــرِ
هى قُبْلَـــــةٌ تُمْضِى   مَا شِئتِ مِنْ أمْـــرِ
وكَأنَّهـــــــا قَدَرٌ   بِسَعَادتِـــى يَجْـــرِى

---

(٧) الوكر : عش الطائر الذى يبيض ويفرخ فيه .   (٨) شركا : مصيدة .
(٩) أدمغها : أتهمها .
(١٠) تزقو : تصيح الأفراخ طالبة الطعام من أبويها .
(١١) النزر : القليل .   (١٢) هازجة : مغنية .

أُكْذُوبةُ السُّلوان (١)

بعد عام أحس فى نفسه بالسُّلوان ، وأحس بمغاليق نفسه تتفتح للجمال . ولكنه تنبه إلى أن كلَّ نموذج جميل ينفتح له قلبه فيه شِيَةٌ أو سِمَةٌ من الجمالِ الذى حَسَبَ نَفسَه قَدْ سَلَاه وإذا هو يَهْفُو (٢) إلى الماضِى والماضى وحْدَه دونَ سِواه .

الآن أَعْلَـــــمُ أنّ كلّ خَواطِـــــرِى
تَهْفُـــو إِلَـــيكِ كَرَقْرَقَـــاتِ (٣) الطَّائِـــرِ
ما كان سُلْـــــوانى سِوى أُكْذُوبَـــــةٍ
خُدِعَتْ بِهـــا نَفْسِى خَدِيعَـــةَ شَاعِـــرِ
بَيْنَ الشَّغَـافِ (٤) وفى مُنَـاى وفى دَمِـــى
ألقَـــاكِ هَاجَّـــةً (٥) وبيـــنَ سرَائـــــرِى
أَنْسَاكِ ؟ ! كيـفَ وأنتِ بيـنَ جَوانِحِـــى
شَطْرِى الجَمِيـلُ وأَنْتِ وَحْـىُ خواطِـرِى ؟
أَنْسَاكِ والآمالُ والذِّكْـــــرىٰ معـــــاً
مَوْصُولَـــةٌ بِكِ فى صَمِيـــمِ مَشَاعِـــرِى ؟
وإذَا هَفَـــوتُ إلى الجمـــالِ فإنَّمـــا
أَهْـــوىٰ مِثَـــالَكِ فى الجَمَـــالِ العَابِـــرِ

(١) نشرت فى يونيو ١٩٤١ ، والسُّلوان : التعزى والتلهى عن الشىء (ويقال : السُّلوان : ماء إذا شربه العاشق سلا عن حبه) .

(٢) يهفو : يحن ويتشوق .

(٣) كرقرقات : كتحرك واضطراب (من رقرق الماء : تحرّك واضطرب أو سال أو لَمَعَ وبَرَقَ) .

(٤) الشغاف : غلاف القلب ..

(٥) هَاجَّة : من هَجَّ يَهجُّ هَجًا فهى هَاجَّة ، يقال أَجَّتْ النار واتقدت وسمع صوت استعارها .

أنْسَاكِ إذْ أنْسَىٰ حَياتِـــى كلَّهـــــا

فإذا حَيـــيتُ فأنْتِ أوَّل خاطِــــــرِ

نَبَضَ الربيـــعُ فَكُــــنْتِ أوَّل نابضٍ

فى خاطِـــرِى يهفُـــو وأوَّل زائــــرِ

وهفــوتُ للمــاضِى الــذى قد أوْدَعَتْ

نَفْسى لديــه رَغَائِبِـــى وذَخائِـــرِى

أنــا ذلك الماضِى الــذى لا يَنْــقَضِى

أنــا ذلك الماضِى يعــيشُ بِخاطِـــرِى !

حُلْمُ الحَيَاة(١)

« وهل الحب سِوى حُلْمٍ نَدِىٍّ فى صحراءِ اليقظةِ المُحْرِقَةِ ورُؤيا مُشِعَّةٍ فى ظلامِ الحياة ؟ » .

أَيُّها الحُلْمُ الذى كَانَتْ حَيَاتِى   مِنْ حَوالَيْـه دُعَـاءً وصَلاهْ
وتَسابِيـحَ وَعَتْهَـا أُغْنياتِـى   والْـتِشَاءً بِأَفَاوِيـقِ(٢) الحيـاهْ
أَيُّها الحُلْمُ الـذى أَطْلَقَنِى   مِنْ قُيودِى نحو آفَاقٍ عَجِيبَهْ
والَّذى فى الصَّحْوةِ قَدْ طَوَّقَنِى   بِتَهاوِيلَ من الوَهْـمِ حَبِيبَـهْ
أَيُّها الحُلْمُ الذى طَهَّرَ نَفْسِى   بالعذابِ الحُلْوِ والدَّمْعِ الطَّهُورْ
والـذى أَفْعَـمَ(٣) بالآمَالِ كَأْسِى   وحَبَانِى بعدَ رُشْدِى بِالغُرورْ !
أَيُّها الحُلْمُ الـذى رَدَّ عَلَيَّـا   نَزَقَ(٤) الطِّفْـلِ وأَهْـواءَ الغُـلَامْ
والـذى نَدَّىٰ بِدَمْعِـى مُقْلَتَيَّـا   وعلى إِثْـرِ بُكَائِـى الابتِسَامْ !
أَيُّها الحُلْمُ الذى جَسَّمَ وَهْمِى   فإذَا الأَوْهَامُ فى الدُّنيا حَقِيقَهْ
تَتَجَلَّىٰ فى أَحَاسِيسِى وَهَمِّى   صِلَةً بالرُّوحِ والجسمِ وَثِيقَهْ
أَيُّهـا الحُلْـمُ الـذى أَطْلَعَهـا   فى حَيَاتِى مِثْلَمَا تَطْلُعُ نجْمَهْ
وأَرَانِيها كَمَـــا أَبْدَعَهـــا   فِتْنَةً تَشْقَىٰ بها الدُّنْيا وَنِعْمَهْ
أَيُّها الحُلْمُ الـذى هَيَّأَ لِى   أَنَّها فى ذلك الكونِ فَرِيدَهْ
والــذى جَسَّمَ فيها أَمَلِـى   وأَمانِىَّ اللَّهِيفَـاتِ(٥) الشَّرِيـدَهْ
أَيُّها الحُلْمُ الـذى ظَلَّلَهـا   فى خيالى بِأَعَاجِيبِ الظِّلالْ
فبـدتْ حُورِيَّـةً جَلَّلَهـا   أَلَقُ(٦) الطُّهْـرِ وإِشْرَاقُ الجَمَالْ

---

(١) نشرت فى يونيو ١٩٤٣ .

(٢) أفاويق : مفردها ، الفيقة : اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، والمراد مانسعد به فى الحياة .

(٣) أفعم : ملأ .

(٤) نزق : خفَّ وطاش (الخفة والطيش) .

(٥) اللهيفات : مفردها لهيفة : محترقة القلب .

(٦) ألق : بريق ، ضوء .

أيُّها الحُلْمُ الذى صَوَّرَهَا كُلَّ يومٍ صُورَةً مِنْها طَرِيفَهْ
كلهـا تَبْـدُو ـــ ومَاأكْثَرهـــا ـــ عَذْبَـةً جَذَّابَةَ اللَّمْحِ شَفِيفَـهْ
أيُّها الحُلْمُ الذى جَمَّلَ عِنْدى كُلَّ ماعَنَّ لَها مِنْ نَزَوَاتْ !
والذى عَلَّقَ وِجْدَانِى وَجَهْدِى بالذى يَبْدُو لها مِنْ بَلَوَاتْ !
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذى أَوْقَدَهـــا شُعْلَةً هَوْجَاء تَذْكُو فى دَمِى
كلّمـا تَلْـمَسُ كَفِّـى يَدهَـــا تَلْمَسُ النَّشْوةُ قَلْبِى وفَمِـى !
أيُّها الحُلْمُ الذى كَانَ وكَانْ أينَ نَحْنُ الآنَ مِن هذَا الزَّمَانْ ؟
أيْـنَ أطْيَـافُكِ أوْهَـامُ العَيَـــانْ أينَ يَاحُلْمُ ؟ لقد كُنْتَ وكَانْ !
أيْنَ أنْتَ الآنَ يا سِرَّ حَيَاتِى أينَ أنْتَ الآنَ يَامَعْنَى وُجُودِى !
أينَ يا وَحْيَ نَشِيدِى وصَلاتِى ؟ أينَ ؟ فى وَادٍ مِنَ الصَّمْتِ بَعِيدِ
بينَنَا وَادٍ مِنَ البُعْدِ سَحِيقْ بَيْنَما أنْتَ هُنَا مِـلءُ فُؤَادِى
كَإلٰـهٍ حَوْلَـه الصَّمْتُ العَمِيـقْ وهُـو فى كلِّ شُعُـورٍ وفُـؤَادْ
لِمَ يَاحُلْـمُ قَدْ أيْقَظْتَنِـــى فَإذَا الصَّحْو خَواءٌ[7] فِى خَواءْ
لِمَ يَاحُلْـمُ قَد فَارَقْتَنِـــى فإذَا الكونُ هَبَاءٌ فِى هَبَـاءْ
أيُّها الحُلْمُ تُرى كُنْتَ خِدَاعاً إيهِ مَاأصْدَقَـه هَذَا الخِـدَاعُ !
أيُّها الحُلْمُ الذى فَاتَ وَدَاعاً مااللذى نَمْلِكُه غَيرَ الـوَدَاعُ ؟

(٧) خواء : فراغ .

الكأسُ المَسْمُومَة[1]

أَقْلاكِ[2] أَقْلاكِ كالشيطانِ أَقْلاكِ — أَقْلاكِ كالسُّمِ يَسْرِى جَدُّ فَتَّاكِ
أَقْلاكِ : إِنَّكِ فى نَفْسِى وفى زَمَنى — وفى حياتِى أَفْعَىٰ ذَاتُ أَشْواكِ
سَمَّمْتِ عَيْشى وأَحْلامِى وَأَخْيِلَتى — وأنتِ شَيْطَانَةٌ فى سَمْتِ أَمْلَاكِ
وعِشْتُ أَرْعَاكِ فى قَلْبِى وأَنْتِ بلا — قلبٍ يُحِسُّ ويَرْعَىٰ كيفَ أَرْعَاكِ
مَنْ أَنْتِ ؟ مَاأَنْتِ ؟ إِنّى حَائِرٌ قَلِقٌ — أَأَنْتِ أُسْطُورةٌ فى سِفْرٍ[5] أَفَّاكِ ؟[6]

* * *

أَنْسَىٰ اللَّيالِى التى قَضَّيْتُها قَلِقاً — وأنتِ سَاكِنَةٌ رَاضٍ مُحَيَّاكِ
أَنْسَىٰ الدُّمُوعَ التى أرسلتُها غَدقاً[7] — ولستُ لولا هَواكِ المُرُّ بِالبَاكِى
وكِبْرِيائِى التى مَا كُنْتُ أَخْفِضُهَا — مِنْ قبلُ أو بَعدُ فى دُنْيَاى لَولَاكِ
أَنْسَىٰ . وأَذْكُرُ أَحْلامِى وأَخْيِلَتِى — كَأَنَّهُن نجومٌ بينَ أَحْلَاكِ[8]
وكلُّهُن نَسِيجُ الوَهْمِ في خَلَدِى[9] — ولَسْنَ غيرَ أَحابيلٍ[10] وأَشواكِ

* * *

أَقْلاكِ ؟ لَيْتَ ! فإنى لَسْتُ أَقلاكِ — أَهواكِ ؟ لَيْتَ ! فَإنّى لَسْتُ أَهْواكِ
أَهوَى وأَقْلَى وأيامِى مُوزَّعَةٌ — بينَ الهوىٰ والقِلَى كالضَّاحِكِ البَاكِى
هذا الرَّحِيقُ وهذا السُّمُّ قَد مُزِجَا — ولستُ أُرْوَى بكأسٍ غيرَ رَيَّاكِ

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٤٣ .
(٢) أقلاك : أكرهك .
(٣) سمت : هيئة .
(٤) أملاك : مفردها مَلَكٌ : مَلاك .
(٥) سفر : كتاب .
(٦) أفاك : الكذاب ، المفترى .
(٧) غدقا : غزيرة .
(٨) أحلاك : حُلِيّكِ أو حَلْيِكِ (ما تتزين به المرأة) .
(٩) خلدى : بالى .
(١٠) أحابيل : مفردها الأُحْبُولة : المصيدة .

هَاتِى لِىَ السُّمَّ صِرْفاً[١١] لا يُمَازِجُه   هذا الرحيقُ فإنِّى لستُ بالشَّاكِى
مَلَلتُ كَأْسَكِ لا ألتذّ نَشْوَتَها   ولا أُحطِّمُها تُحْطِيمَ سَفّاكِ[١٢]

(١١) صِرْفا : الخالص ، النقى من أية شائبة .   (١٢) سفاك : قاتل يريق الدماء .

وَحْيُ لِقَاء(1)

هَذَا اللِّقَاء كَأَنَّــه ذِكْــرَى مَكْنُونَــةٌ(2) في عالَــمِ النَّــفْسِ
وكَأَنَّـــه وَهْـــمٌ أُجَسِّمُـــه لا حَادِثٌ فى عَالَم الحِسِّ

* * *

هَذا اللِّقَاءُ الخَاطِفُ الوَاجِفُ(3) وَتَلَــفُّتُ الأَنْظَــارِ فى حَذَرِ
كثُمالَـةِ(4) الأَحْلَامِ ، كالذِّكْــرَى فى رِعْشَةِ اللفتَـــاتِ والصُّورِ

* * *

أُخْتَاه . وَاعجباً لَنا ! عُدْنَــا فى هذه الدُّنْيَــا غَرِيبَيْــــنِ
عُدْنَا إِذا مَا خِلْسَةٌ سَنَحَتْ نَمْضِى على حَذَرٍ كَلِصَّيـنِ !

* * *

أَلقَـاكِ مِثْـلَ الطيـفِ عَابِـرَةً وكأَنَّ مَا قَدْ كَانَ مَا كَانَا
وكأَنَّمـا الأَيَّـامُ ما شعَــرَتْ أَنَّـــا عَمَرْنَـــا قَطُّ دُنْيانَـــا !

* * *

وتُفَكِّرِيــــنَ كَأَنَّمَـــا افتَــــرَقَتْ من مَطْلَعِ الدُّنيـــا طَرِيقَانَـــا
وتذكُرِيـــنَ كأنَّمـــا اجْتَمَـــعَتْ فى خَاطِـرِ الأَيَّـــامِ ذِكْرَانَـــا !

* * *

ماأَنتِ ؟ إِنى لَمْ أَجِدْ أَبـداً أَنى كَشَفْتُكِ قَطُّ فى النُّورِ

---

(1) نشرت فى يونيو ١٩٤٤ .
(2) مكنونة : مختفية مصونة .
(3) الواجف : المضطرب الخائف .
(4) ثمالة : بقايا .
(4) مروعة : فزعة .

ما أنتِ إلا فكـرةٌ شرَدَتْ ... ماأنتِ إلا طيـفُ مذعـورِ !

* * *

وشقيَّـــةُ الخُطُـــواتِ عَائِـــرةٌ ... فى حَيثُما اتَّجَهَـتْ لِمَأْمُـولِ

وكأنّمـــا تَمْضِى مُرَوَّعــــةً ... وضميرُهـا يُضْفِـى(٥) لِمَجْهُـولِ !

(٥) يُضْفى : من أضاف الشئ إليه أى ضَمّه أو أسنده أو نسبه .

حُلْمُ الفَجْرِ[1]

عَجَباً ! أنْتِ مَاتَزَالِينَ حُلْمِي   وَمِثَالِي وَفِكْرَتِي وَنَشِيدِي
مَاتَزَالِينَ فِي خَيَالِي رَمْزاً   لِرَجَاءٍ مُنَوَّرٍ مِنْ بَعِيدِ
مَاتَزَالِينَ حَافِزاً لِجُهُودِي   مَاتَزَالِينَ غَايَةً لِوُجُودِي
أتَحَاشَاكِ[2] بِالجَفَاءِ[3] وبالبَأْ   سِ[4] فَأرْتَدُّ سَاخِراً مِنْ جُهُودِي
أتَحَاشَاكِ كَالجَحِيمِ وَكَالسُّمِّ   ولكن إليكِ يُفْضِي[5] شُرُودِي[6]

* * *

عَجَباً ! تَرْكُدُ الحَيَاةُ فَأنْسَا   كِ قليلاً فى غَمْرَتِي ورُكُودِي
فإذا دَبَّتْ الحيَاةُ تَرَاءَى[7]   كطيفٍ مُسْتَيْقِظٍ مِنْ هُجُومِ
وتَراءتْ تَرِقُّ حَوْلَكِ أطْيَا   فُ لِمَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ عُهودِ
كُلُّ مَا لَامَسَتْ يداكِ   ومَامَسَّ هَوانا مِن قَيِّمٍ وزَهِيدِ
أتملَّاه بالخيالِ وبالحِسِّ   كَذِى مِنْ عَالَمٍ مَوْعُودِ

* * *

عجباً ! بعدَ كُلِّ مَاكَانَ مِنَّا   مِنْ صِراعٍ دَامٍ وجُهدٍ جَهِيدِ
أتَمَنَّاكِ فى المَنَامِ وفى الصَّحْوِ   تَمَنِّيَ العَقِيمِ[8] وَجْهَ الوليدِ
وإذَا سِرْتُ فى الزِّحَامِ فَعَيْنِي   لخيالٍ مُسْتَشْرِفٍ[9] مِنْ بَعِيدِ !
لهفةً تَمْلأُ الحَنَايا حَنِيناً   لرجاءٍ مُجَسَّمٍ مَفْقُودِ
أنْتَ حُلْمُ الحياةِ فى صَحْوةِ الفَجْرِ   فأنَّى[10] لِحُلْمِنَا من مُعيدِ

(١) نشرت فى اكتوبر ١٩٤٤ . (٢) اتحاشاك : اتجنبك . (٣) الجفاء : البُعد .
(٤) البأس : القوة ، والمراد يجبر نفسه على الهجر والبعد ولكن لايقوى على هذا .
(٥) يفضى : ينتهى أو يؤدى . (٦) شرودى : تشردى . (٧) تراء : ظهر . (٨) العقيم : التى لاتلد .
(٩) مستشرف: يبدو على البعد .
(١٠) أنَّى : أداة استفهام بمعنى أين ، وكيف ، ومتى . والمراد يتمنى عودة حلمه . ولكن لا أمل .

انْتَهَيْنا(1)

إنْتَهَيْنا قد مَضَىٰ المَاضِى جميعاً ومَضَيْنَا
إنتهينَا لم نَعُدْ نسألُ أيَّانَ وأيْنَا
أو نَمُدُّ اليومَ للأحْلامِ والأوْهَامِ عَيْنَا
انْطَوىٰ الحُلْمُ الذى لاحَ زَمَاناً وانْطوَيْنَا
ويدُ الدَّهْرِ تمشَّتْ تُسْبِلُ(2) السِّتْرَ عَلَينا

* * *

إضْربِى(3) فى زَحْمَةِ الأرضِ على غيــرِ طَرِيقــى
فكـرةً ضَلَّتْ وحُلْمــاً يَتَــوارَى عَن مُفِيــقِ
ولُقــىً يقذفُــه الموجُ إلى الشَّطِّ السَّحيــقِ
وهَـوىً يَحْسِرُه الفَـنُّ ، على عَيـنِ الصَّدِيــقِ
وَسَنــىً يَطْــمِسُه الليــلُ إلى غيــرِ شُروقِ

* * *

وأنَــا المَكْــدُودُ(4) فَلْيُلْــقِ إلى الأرضِ عَصَاه
آنَ للمُجْهَـدِ أن تَسْكُــنَ فى الأرضِ خُطَــاه
آنَ أنْ يَصْمُتَ لاتَهْتِــفُ شوقــاً شَفَتَــاه
آنَ أنْ يُغْــمِضَ لاتُوقِظُــــه وَهْنــــاً رُؤَاه
جَاوزَ الجُهْــدُ قُوَاه ، فتَهــاوتْ قَدَمَـــاه

* * *

(1) نشرت ١٩٤٥ .
(2) تسبل : ترسل وتُرْخِى .
(3) اضربى : سيرى من السير أو المشى .
(4) المكْدُود : المَغْلُوب .

طَالَ هذا الحُلْمُ حتى صَارَ فى النَّفْسِ عَيَانَا
ومَضَينـا فى طريـقِ الوَهْــم تَنسَابُ خُطَانَــا
تَهْــدِمُ الأيــامُ مَانَبْنِــى فَتَبْنِيــه رُؤانَــا !
ونخوضُ الشَّوكَ يُدْمِينـا(٥) فَتَــمْضِى قَدَمَانَــا
تتبـعَ الوَهْـمَ الـذى صَاغَ مِنَ الشَّوْكِ جِنَانَــا

* * *

يَالهذا الحُلْــمِ والأيــامُ تَمضِى والليَالِــــى
عَابِثَـاتٌ بِالأمانِــى وهــو يَمْضِى لايُبَالِــى
يَغْـلِبُ الوَاقِـعَ فى الأرضِ بِتَحْلِيــق الخَيَــالِ
ويَـرَىٰ خَلْـفَ الرَّوَابِى والصَحَـارَى طيـفَ آلِ(٦)
فَيرودُ الأفــقَ ظَمــآناً مَشُوقَــاً للظِّــــلالِ

* * *

قَد مَضَى والعُمـر يَمْضِى وَالأمَانِـى وَالزَّمَــان
وانْتهَيْنَــا . وصَحَــا بَعْـــد الأوَانِ الحالمان
عَجَباً . قدْ كان حُلماً . لَيْتَ شعْرى كَيْفَ كان
الْعَيَـانُ الْيَـوم كالحُلــمِ وحُلْمِــى كالْعَيَــان
صَمَتَ الدَّهـرُ عَيـاءً وَمَضَى يَخْطُـو الزَّمَــان

(٥) يدمينا : يجعلنا ننزف دماً .
(٦) آل : سراب .

الوصف

وادعاً كالزَّهرِ حَيَّاه النَّسيمْ
ساهيا كالصَّمْت فى ظلِّ الوُجُومْ
حَالِماً يصْحُو قليلاً ويهيمْ
بين أطياف الأماني
وخيالات الهمومْ

سيد قطب

وردةٌ ذَابلة(١)

قد ذَوَتْ نُضْرتُهـــا وبـــدت كالميّتِ المُحْـــتَضرِ
تُفْتَحُ الأجفانَ أو تُغمضها فتحةَ الضّعْفِ وغَمْضَ الخَوَرِ(٢)
وشَذَاهَـــا لَم يَزَلْ يُنْعِمُنـــى فيعيدُ الشّجْـــوَ لى بالذِّكْـــرِ

(١) نشرت فى ١٩٢٥ .

(٢) الخور : الضعف والانكسار .

العُود(١)

مُحَلِّلُ القَلبِ أنْغاماً وألْحاناً   ومُلْهِمُ الوَحْى إسراراً وإعلانا
يموقظ النَّفسِ إنْ طَافَتْ بِهَا سِنَةٌ   وأنتَ تهمِسُ بالأنْغامِ وَسْنانا
بِمُطْلِقُ الرُّوحِ تَسْمُو فى معارجِها(٢)   وتطرقُ العالَمَ العُلْوِىَّ أحْيانا
وباعثُ الذِّكَرِ اللائى إذا اشتجرتْ   أثَرْنَ فى النَّفْسِ آلاماً وأشْجَانا
وواهبُ الحِسِّ لُطْفاً فى مَدَارِكِه   ومُوحِى الشِّعرِ إحْساساً وأوْزَانا
أسَلْتَ(٣) نفسِى بالألحانِ تُنْشِدُها   إنشادَ ذِى شَجَنٍ قَدْ هَامَ تَحْنَانا
كأنَّ ألحانَكَ اللائِى تُرَدِّدُها   أطيافُ ذِكْرَى ؛ توارتْ ؛ تُرْجِعُ الآنَا
كأنَّها خَطَرَاتٌ فى مُخيِّلَةٍ   نُحِسُّها ؛ ثم لا نستطيعُ تِبْيانا
كأنَّها هَمْسُ جِنٍّ أو ملائكةٍ   أسرٌّ عن عالِمِ الإنسانِ كِتْمانا
تسيلُ فى النفسِ والأسماعُ مُرْهَفَةٌ(٤)   وإنَّ للنفسِ مِثْلَ الجسمِ آذانا !
وتستحثُّ خَيالاً كان فى دَعَةٍ   فيذرعُ الكونَ آفاقاً وأزمانا
وتملأُ النفسَ باطمئنانِها ثِقَةً   وتغمرُ القلبَ إخلاصاً وإيمانا

* * *

حديثُ أىِّ فؤادٍ أنتَ تَذْكُرُه   أباسِمٌ فَرِحٌ أمْ كَانَ حَزْنَانا ؟
وأىُّ وَحْىٍ لَنا تَرْوِى رسَالَتَه   فيؤمِنُ الناسُ أفْكاراً وَوِجْدَانا ؟
عَنِ القُلوبِ جميعاً أنتَ تُخْبِرُنا   عنِ الأناسِىِّ ما خَصَّصتَ إنسانا

---

(١) نشرت فى ١٩٢٧ .   (٢) معارجها : صعودها .

(٣) أسَلْتَ : من أسْلَى ، يقال : أسْلَى فلانا عن كذا : جعله يسلو ، أسلاه عن الشىء : يسليه أى أنساه ، والمفروض أن تكون أسْلَيْتَ (ضرورة شعرية) .

(٤) مُرْهَفَة : دقيقة (تسمع بدقة وانتباه) .

عن الحياةِ وما فِيها تحدثُنا فكلُّنا مُؤمِنٌ يزدادُ إيقانًا[٥]
عن الطبيعةِ تَروِى وهى تُلْهِمُنَا هذا الحديثَ ، فما نَحْتَاجُ بُرْهَانَا

(٥) إيقانا : ثباتا وتحققا ووضوحا ، من أيقن ويقال : رَجُلٌ يَقِنٌ بالشيء : مُولَعٌ به .

بريشة الشعر[1]
أو
صورة صادقة

كانَ بالأمسِ ، وبالأمسِ القريبْ يَتَـراءى كالأمانِــى هَاهُنــا !
هائماً كالـرُّوحِ يغـلُو ويَـؤوبْ والرجاءُ العَذْبُ فى وَادِى المُنَى

وَادِعاً كالزهرِ حيّاه النسيمْ
سَاهِيا كالصمتِ فى ظِلّ الوُجُومْ[2]
حَالِما يصحُو قليلاً ويَهِيمْ[3]
بين أطيــافِ الأمانِــى
وخيــالاتِ الهمــومْ

* * *

زهرةٌ قد كَادَ يَعْرُوها[4] الذُّبُولْ ثم حَيّتْهــا تباشيــرُ الربيــعْ
فهى تَرْنُو بين صَحوٍ وذُهولْ . مثلما تختارُ فى العينِ الدُّموعْ

وهو لَحنٌ مِن أناشيدِ السماءْ
أرسلتْه فى تضاعيفِ الضّياءْ
فوَعَاه كلُّ ذى حِسٍّ بَراءْ[5]
وشعــورٌ كالنسيــمْ
فى الحَنَــانِ والنقــاءْ

* * *

---

(١) وصف لصديق عزيز كتبت فى ١٩٢٨ ونشرت بالبلاغ الأسبوعى ١٩٣٠ بعنوان (صورة صادقة) .
(٢) الوجوم : الحزن فى صمت .
(٣) يهيم : يسير دون هدف .
(٤) يعروها : يصيبها .
(٥) براء : برىء : شريف .

دُميةٌ تُوحِى بأشتاتِ المَعَانِى وهى سَكْرَىٰ فى حِمى الصمتِ العميقْ
هادئاتٍ مِثْلَ أطيافِ الأمانِى ساميـاتِ الوَحْى كالعطفِ الرَّفِيقْ
وهو مَا أدْرِى مَلاكٌ أمْ بَشَرْ
فهو رُوحٌ هَائِمٌ لا يَسْتَقِرْ
وهو صَفْوٌ لم يخالطْه الكَدَرْ
والأناسِىُّ لِئـامْ
مثلَ شيطانٍ نُكُرْ

* * *

كان بالأمسِ ولَكِن قد تولَّى ذلك الأمْسُ فَخلَّانى وغَابْ
وإذَا بِى مُوحِشٌ(٧) لا أتسلَّى والخصيبُ النَّضْرُ كالجَدْبِ اليَبَابْ(٨)
أذكرُ الساعاتِ(٩) وَمْضًا يَنقضينْ
ثم يَعْرُونى لِذكْرَاها الحنينْ
فيهيجُ الوجدُ والشوقُ الدَّفِينْ
إيه ساعاتِ الأمانِى
أتُرىٰ قَدْ تَرجعينْ ؟

---

(٦) نُكُر : مكروه بشع مُستنكَر . (٧) موحش : وحيد .
(٨) اليباب : الخراب .
(٩) ومضا : بريق سريع الانطفاء ، والمراد : تنتهى فى سرعة بالغة .

هَدْأةُ الليل(١)

هَدَأ الليـــلُ وهَـــاجتْ بِيَ الشُّجـــونُ ... وصَحَـا جَفْنِى لَدىٰ غفْـــوِ الجفُـــونْ
وتـــــوارتْ ضَجَّـــــةُ العَالَـــــمِ فى ... هَدْأةِ(٢) الليـــلِ يُغَشِّيها السُّكُـــونْ
حَنَّتْ . الـوُرْقُ(٣) فلمَّـا هَجَـعَتْ(٤) ... بَعـدَ لأيٍ(٥) هَيـجَتْ عنـدِى الحنيـنْ
ذكريـــاتٌ مَا لَهـــا تَتْبعُنـــى ... حيثما سِرْتُ وأيـــانَ أكُـــونْ
صُورٌ شتـــــــىٰ إذا ما عَرضَتْ ... صَوَّرَتْ لى واضحـاً طيـفَ السنيـنْ
وأرَتْنِـــى كيـــفَ يمضِى العُمْـــرُ لا ... يشعـــرُ المرءُ به حتـــى يَحِيـــنْ
يَتـــقضَّى العُمْـــرُ فى أحلامِنـــا ... وإذا نَصْحُـــو صَحَتْ غُولُ المَنـــوُنْ
وأرتْنِـــــى شَبَحـــاً مِنْ عَدمٍ ... يتبـعُ الأحيـــاءَ أنَّـــىٰ يَنزِلُـــونْ
يَبْلَـــعُ المَـــاضِى مِنْ آثارِهـــم ... فَاغِـــراً فَاهُ لِمَـــا يَسْتَقْبِلـــونْ

* * *

إيـــه يا ليـــلُ أرانِـــى مُغْرَمـــاً ... بحديثٍ مِنْكَ يُشْجِـى السَّامعيـــنْ
هاتِ ما عِنْـــدَكَ لا تبخـــلْ به ... بلسانِ الصَّمْتِ والوَحْـى المُبيـــنْ
أوْحِ للأنْـــفُسِ ما حُمِّلْتَـــــه ... من جلالٍ وخُشُـوعٍ ويَقيـــــنْ
هاتِ يا ليـــلُ أحَـاديثَ الهوىٰ ... واتْـــلُ يا ليـــلُ شُجُـــونَ العاشِقيـــنْ
وادَّخِـــرْ فيك صَدىٰ أنَّاتِهـــم ... لا تُضِعْ يا ليـــلُ أصْدَاءَ الأنيـــنْ
إنَّهـــا ذوبُ قلـــوبٍ فُطِـــرَتْ ... ونفـــوسٌ داميـــاتٌ وعُيـــونْ
كَم سلامـــاً فيك قد حُمِّلْتَـــه ... من مُحبٍّ وامِقٍ(٦) القـــلبِ حَزِيـــنْ

---

(١) نشرت فى يونيو ١٩٢٨ .
(٢) هَدْأةٌ : سكون عن الحركات .
(٣) الوُرْق : الورقاء : الحمامة .
(٤) هنجعت : نامت ليلا .
(٥) لأى : جُهْد ومشقة
(٦) وَامِق : محب ودود .

رُبَّ سِرٍّ غامضٍ أُودِعْتَـــــــه		في حَنايــا الصَّدْرِ مَخْبــوءٌ دفيــــنْ
ضَاقَ صدْرُ الصَّبِّ عن كتمانِـــه		فأراكَ السِّرَّ دونَ العالميـــــــــنْ

* * *

مُرْ يا ليـــلُ فقـــد أشْجَيْتَنـــى		عَلَّ فى الصُّبــحِ هدوءاً أو سُكــونْ
إنّ لى فِيكَ لَشَجْـــــــواً وأسَىٰ		ومُنَاجَـــاةً وشَكْـــوىٰ وحنيـــنْ
عبَثــاً أنْجُــو بروحِــى مِنْ حنيـــنٍ		هُو أصلُ الوَجْـدِ عِنْــدِى والشُّجُــونْ
إننــى أهْــواكَ يا ليـــلُ ولكــنْ		أنْتَ بالإشفـاقِ والعطـفِ ضَنيــنْ(٧)
تبــعثُ الأشجـــانُ مِنْ مَكْمَنِهــا		رحمةً يا ليـــلُ بالمستيقِظيــــنْ

(٧) ضنين : بخيل .

الصُّبْحُ يَتَنَفَّس[1] !

نَسَمَــاتٌ زَفَّهَــا الفجــرُ الوليــدُ　　بعــد ما جَاشَ[2] بها صَدْرُ الحَيــاه
ناعمــاً مِثْــلَ أنفــاسِ الــورودِ　　بَلّــلَ الطــلُّ شَذَاهــا بِنَــدَاه

* * *

كانت الدُّنيــا يُغشِّيها السكــونُ　　وظــلامُ الليــلِ والنــومُ العَميــقْ
طِفْلةٌ قد ضمَّهــا الليــلُ الحَنــونُ　　ضَمَّــةَ الــرحمةِ كالأمِّ الشَّفُــوقْ !

* * *

وتــراءىٰ الصُّبْــحُ في سَمتٍ بديــعِ　　فإذا الطِفْلــةُ تَصْحُــو من سُبَــاتْ
تُرْسِلُ الأنفــاسَ فى رِفْــقٍ وديــعِ　　وإذا الأنفــاسُ تلك النَّسَمَــاتْ

* * *

وإذا الزهــرُ يُحَــيِّ فى ابتســامِ　　ذلك الصبــحَ ويرنُــو في هُدوءْ
كابتسامِ الطفلِ فى عهــدِ الفِطــامِ　　حينما يَحْلُــمُ بالثَّــدْى الــمَلِيءْ !

* * *

وإذا الطيــرُ وقَــد رَانَ النُّعــاسُ　　فوقَ عينيــهِ[3] تَنَــزَّي فَصَحَــا[4]
يرمــقُ النــورَ بهمسٍ واختــلاسِ　　فَيُحَيِّيــه طَرُوبــاً مَرِحَــا

* * *

وانبثاقُ الفجرِ من سُدْفِ[5] الظلامِ　　مثلمــا يَبْسَمُ للعَانِــي الأمَــلْ
يَلْثُمُ الكــونَ ببشرٍ وابتســامِ　　ويُحييــه برفــقٍ في القُبَــلْ

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٢٩ .　　(٢) جاش : امتلأ .　　(٣) تنزى : توثّب وتسرّع .

(٤) فَصْحَا : ظهر ضوؤه والمراد أن الطيور انطلقت مع ضوء الصبح تتوثب .

(٥) بهدف : سواد .

وتـــرى الأنــفسَ فى هذا الحَنـــــانِ سَاكِنــــاتٍ بيـــنَ أحضانِ الطَّبيعَـــه
ساهيـــاتٍ رَاضيـــــاتٍ فى أمــــانِ تُرْسِلُ الطــرْفَ(٦) بِنَظَــراتٍ وَدِيعــه

* * *

عَالِمـــاتٍ فى كَراهـــا(٧) يَقِظـــاتٍ ! سابحاتٍ فى التَّعِــلَّاتِ(٨) الـــوِضَاءْ
تُنشِدُ الآمالَ عَذْبَ الأغنيــــــاتِ بيـــنَ سَمْــعِيها ويحدُوهـــا الرَّجَــاءْ

* * *

فتــرةٌ فى مَطْلِـــعِ الفجـــر تمـــرّْ هى حُلْـــمٌ مثـــلَ أيـــامِ الطُّفُولَــــه
فإذا مَرَّتْ فجــــوٌ مُكْفَهِــــرٌّ هو فى الطِّفْـــلِ شبـــابٌ وكُهُولَــــه

* * *

ليتنــــى عِشْتُ بأحضَانِ الصَّبَــــاحِ أو قضيتُ العُمْرَ أستمتــعُ طِفْــلَا !
لا ولا هذا من الدَّهْـــرِ يُتـــاحُ لا ولا قد عُدتُ أستمتـــــعُ كَلَّا !

---

(٦) الطرف : النظر .
(٧) كراها : نومها
(٨) التعلات : المبررات والأسباب والمراد تنعم بمظاهر الصباح

عبث الجمال(١) .. !

غَادةٌ مِراحٌ طروبٌ ، لم تقنعْ أنْ تعبثَ بالقلوب والأرواح ، فعمدتْ إلى جماعةٍ من الطير ، اتخذنَ لَهن عُشًّا بين أحضان شجرة ، تَذُودُهن عن عشهِن الهادىء فى عبث قاسٍ ، وكلما عُدْنَ إلى العشِّ ، عادتْ هى إلى الذودِ !

دَعِيها تُغَـرِّدْ لَحنها وتُرَجِّــــعُ(٢)   وتمرحْ ما شاءت وتَلهُـــو وتَرتَـــعُ
دَعيها تُنَمِّـقْ(٣) للحيـــاةِ تحيـــةً   وتبعثُهـــا لحنـــاً يَلَـــذُ ويُمْتِـــعُ
دَعيها تُعَبِّـــرْ عن مَشوقٍ مُتيـــمٍ   تَلِجُّ(٤) به الذِّكرى ؛ فيهفُو ويَنْـــزَعُ
دَعيها فَفِـى أَلحانِهـــا ، الحبُّ نَاطـقٌ   ومِـن وَحْيِـه تَشدُو مَلِيًّـا وتَسْجَـــعُ
دَعيها فقـــدْ رَوَّعْتِهـــا وتَرَكْتِهـــا   مُشتَّتَـــةً حَيْـرى تُطِـلُّ وتَرجِـــعُ !

* * *

عزيـــزٌ عليها عُشُّهــــا دَرَجَتْ(٥) بِهِ   فِراخـــاً نَحيـلاتٍ تَهُـــمُّ فَتَقْعُـــدُ !
يُطالِعُهـــا رُوحُ الربيـــعِ فتَنْـــتَشِي   ويَدْهَمُهــا(٦) قَرُّ الشِّتـــاء فَتَجْمُـــدُ
وتَــنْشَقُ أنفـاسَ الصَّبـــاحِ نَديـــةً   فَتَنْـدَى ؛ ويَحْدُوها الرَّجاءُ فَتَسْعَـــدُ
وظَلَّلَهـــا فى عشِّهـــا الحبُّ حَانِيـــاً   عَلَيها قويًّــــاً مُنْـــعِشاً يَتَجَـــدَّدُ

* * *

فَكَـــانَ لها زاداً إذا قَلَّ زَادُهـــــا   ورَوحــــاً ورَيْحَانـــــاً ولَحنـــاً يُردَّدُ

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٢٩ .   (٢) تُرَجِّعُ : تردّد .   (٣) تنمّق : تنقش وتزين .

(٤) تلج : من لجَّ فى الأمر : لازمه وأبى أن ينصرف عنه .

(٥) درجت : نشأت .   (٦) يدهمها : يُفاجِئها .

ويَـا طالمَـا غَنَّتْ ويـا طالما بَكَتْ سُروراً بقـربٍ أو حَنينـاً إلى ذِكْـرىٰ
ويا طالَما ارتـاعتْ(٧) لِخَـطْبٍ مُدَاهِمٍ فكـانَ لها مَنْجَىٰ وكَانَ لَهـا سِتْـرَا
وكَم ليلـةٍ مَرَّتْ وكَم أشْرَقَ الضُّحىٰ وكَمْ أمَّـلَتْ خيراً ؛ وكَـم حَذَّرتْ شَرّا
دَعيها . بمهـدِ الذكريـاتِ أمينـةً تُطيفُ بها كالومضِ مُسْرِعَةً تَتْرَىٰ(٨)
دَعيها أجَـلْ لا تَعْبَثِـي بشعورِهـا ولا تَحْرمِيها خيرَ ما حَفِظَتْ ذُخْـرَا

* * *

وإن لا يكـنْ بُدٌّ من اللهـوِ فاعبثِـي بألبابنـا لا بالطيـورِ الهَوائـمِ !
وَهَبْتُك إحسَاسِي فمـا شئتِ فاصنعِي أميناً لعهـدِي مُخْـلِصاً غيـرَ نَادِمِ
وقَـاكِ الجمـالُ السَّمْـحُ كلَّ مَلامَـةٍ وعَـتْبٍ(٩) فَلا تَخْشَى مَقالـةَ لائـمِ
ولكنَّهـا الأطيـارُ تَلْهُـو بريئـةً فمـا بالها تُدْهَـىٰ بِفَعْلَـةِ ظَالـمِ !؟
دَعيها ــ فَدَتْكِ النفسُ ــ لا تعبثي بها فمـا كان أَوْلَاهـا بِرَحْمَـةِ رَاحِـمِ !

---

(٧) ارتاعت : فزعت .
(٨) تترى : متتابعة .
(٩) عتْب : المراد : المؤاخذة .

يومُ خريفْ(١)

وَقَفَ الكونُ شَاخصاً(٢) فى سُكُونٍ وتَـراءىٰ لِخَاطِـرِى كالحزيــنِ !
وشُخُوصُ الأحداثِ يُغْرِقُها الصَّمْتُ فتبــدُو كَباهتــاتِ الظُّنُــونِ
وكـأنَّ الزّمـانَ سَاوره(٣) الحُـزْنُ فَأغْفـىٰ إغفــاءةَ المُسْتَكِيــنِ(٤)
وكأنَّ الأفلاكَ أجْهدَها السَّيْرُ فناءتْ بِحِمْلِ عِبْءِ القُرونِ !
وَكـأنّ الأقـدارَ أرْخَتْ يَدَيْهـا وَتراخَتْ عَنْ صَرْفِها للشئُـونِ

* * *

وقفَ الكونُ سَاهِماً ليس يَدْرِى أينَ يَمْضِى ؛ وأينَ لَو شَاء يَمْضِى ؟
طَالَمــا دَارَ بالأنــامِ ودَارُوا بينَ رَفْعٍ مِنَ الحياةِ وخَفْضِ
ثم ماذَا ؟ تَساءَل الكونُ : ماذَا ؟ أحيـاةٌ مابيـنَ غَزْلٍ ونَـقْضٍ ؟
أيّمــا غَايــةٍ نَؤمُّ(٥) إليها أىُّ قَصْدٍ قَضَيْتُه أو سَأقْضِى ؟
تَعَبٌ ضَائعٌ وجُهْــدٌ غبيــنُ(٦) ومَصيـرٌ مُقنَّـعٌ ليسَ يُرضِى !

* * *

وسَرَىٰ اليـأسُ والخُمُـولُ إليـه فَتراخَىٰ فى سَيْـرِهِ كالبليـدِ !
وتَمْشى الهُمُودُ(٧) فى كلِّ شيءٍ مِشيةَ الـدَّاءِ بالأسَىٰ والكُنُـودِ
فإذا الدَّوحُ(٨) فى وجُومٍ كئيبٍ وإذا الطيرُ فى ذُهُولٍ شَريدِ
وإذا الزَهْرُ فى الرياضِ أسيفٌ(٩) كصغارِ الأيتامِ فى يومِ عيدِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢ . (٢) شاخصا : ماثلا أمامى . (٣) ساوره : واثبه : أو صارعه : هَيّجه .
(٤) المستكين : الخاضع الذليل . (٥) نَؤمُّ : نتجه إليها . (٦) غبين : ضعيف ناقص .
(٧) الهمود : الضعف . (٨) الدوح : الشجر .
(٩) الأسيف : الرقيق القلب البكّاء .

وإذا بالزمانِ يعطُو[10] كَسيحاً   كأسيرٍ يُساقُ نِضْوِ[11] القيودِ

* * *

وكأنَّ السَّماءَ والأرضَ ، مَرْضَى   بَرِمَاتٌ بِثِقلةِ العُوَّادِ ![12]
وترى السُّحبَ فى السماءِ تُغشّى   ناظرِيهَا كَصَفْحَةٍ مِنْ رَمَادِ
وتَرى الأرضَ كالكظيمِ[13] مِنَ الحُزْنِ   ثَكُولاً[14] تَسرْبَلَتْ[15] بالحدادِ[16]
والفَنَاءُ المريضُ ، طافَ عليها   طائفٌ مِنْه فى ثَنَايا الرُّقَادِ
كلُّ شَىءٍ يرنُو إلى كلِّ شىءٍ !   كسجينٍ يَرْنُو إلى الجَلَّادِ

* * *

مَأْتَمٌ صَامتٌ يُهوِّمُ فيه   شَبَحُ اليأسِ والقُنُوطِ العَقيمِ
ليسَ موتٌ وليسَ ثَمَّ حَيَاةٌ   كُلُّ شىءٍ فى صمتِه كالسَّقِيمِ
والوُجُومُ الذى يُغشّى عليها   كاسِفُ البالِ مُمْعِنٌ فى الوُجومِ !
وخُفوقُ الأرواحِ أبطَأ نَبْضاً   كَخُفُوقِ النُّجُومِ خَلْفَ السَّدِيمِ[17]
أَسْبَلَتْ[18] عَيْنَهَا الحياةُ سَآما   واسْتَنَامتْ لليأسِ والتسليمِ !

---

(١٠) يعطو : من عَطَا يعطُو : تناوله باليَدِ .

(١١) النِّضْو : المهزول ، يقال : فلان نضو سفر : مُجْهَدٌ من السفر : والمراد نضو القيود : شديد الضعف والهزال من قيوده .

(١٢) العوّاد : مفردها عائد : زائر المريض .

(١٣) كظيم : كاظمة : ممسكة نفسها من الغضب .

(١٤) ثكول : من فقدت ولدها .

(١٥) تسربلت : لبست .   (١٦) بالحداد : ملابس الحداد (السوداء) .

(١٧) السديم : التعب أو الضباب الرقيق أو بقع سحابية مغيمة فى الفضاء .

(١٨) أسْبَلَتْ : أرخت .

الجبار العاجز(١)

على إفريز محطة القاهرة ، أنزل قطار الصعيد ، كتلة بشرية ، تتنزى(٢) وتتلوى ؛ وتصرخ فى حشرجة مفزعة . هذه الكتلة هى بقايا رجل متحطم ؛ صريع أشل ، يتنزى الصرع فيه ، وتتلوى صرخاته ؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سِحْنَتِه أن هذا العجز ليس أصيلا فيه ، وأن له ماضيا جبارا ؛ فى ناحية من النواحى ؛ وأنه يألم أكثر ما يألم ؛ لهذا العجز الطارىء الجديد .

* * *

حَطَّمَ الدَّهْرُ قُواه فانْحَطَمْ ... وتنَزَّى(٣) الداءُ فيه والألَمْ
ودَوّتْ من فيه تُعوِى صَرْخَةٌ ... تَتَلَوّى فيه حتى تَحْتَدِمْ(٤)
صَرْخَةُ الجبارِ يَشكُو مُرْغَماً ... ذِلَّةَ الشَّكْوَى وإهوانَ(٥) الرَّغَمْ(٦)
يَشْتَكِى العجزَ وما يُؤلِمُه ... فيه إلا كَبْحُ نفسٍ تَضطرِمْ
يَشتكى العجزَ الذى أقعدَه ... عَنْ صِراعاتٍ وهولٍ يَقْتَحِمْ
تسمعُ القوةَ فى صَرْخَتِه ... مِن وَراءِ العجزِ تَلْوِى فَتَصِمْ(٧)
ويَهُمُّ البأسُ فى أشلائِه ... ناهضاً ؛ لكنما العجزُ جَثَمْ

* * *

أيُّ معنى تَحتوِى صَرْخَتُهُ ؟ ... أىُّ ماضٍ فى ثَنَاياها ارْتَسَمْ ؟
هو ماضٍ نَازَلَ الدهرَ به ... فى عِنادٍ شامخٍ حتى انْحَطَمْ
هو ماضٍ غامضٌ تَكْتُفُه ... جَلْجَلاتٌ(٨) ، وهَزِيمٌ(٩) ؛ ورُجَمْ(١٠)

---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ . (٢) تتنزى : تكثر حركتها . (٣) تنزى : المراد زاد الألم .
(٤) تحتدم : تشتد . (٥) إهوان : مصدر (هان) قبل إعلاله والمراد : الذلة .
(٦) الرَّغْم : على كره منه . (٧) فتصم : من شدة الصرخة تُفقد السمع .
(٨) جلجلات : صوت فى حركة . (٩) هزيم : صوت الرعد . (١٠) رُجَمْ : أحجار القبور .

هو ماضٍ مَاردٌ مُقْتَحِـــــمٌ لايهابُ الموتَ فيمـــا يَعْتَـــزِمْ
هو ماضٍ ! أيُّ ماضٍ ؟ يالَه مُبْهَمُ التعبيرِ كالدَّهرِ الأَصَمْ(١٠)

(١٠) الأصم : المراد الذى لايستجيب .

نَاحِتُ الصَّخْر(١)

أو

« الفاعل »(٢)

لِمَنْ طَرْقَةٌ خَرْسَاءُ صَمَّاءُ تُعْوِلُ(٣)   أقضَّ(٤) بها النُّوَّامَ فى الفجرِ مِعْوَلُ(٥) ؟
لِذلكم الصَّخَّـارُ يَحْطِـمُ صَخْـرَةً   ولمَّـا يَزَلْ لليلِ فى الصُّبْـحِ مَدْخَـلُ
أكبَّ على تحطيمِـه وانتحاتِـه   كَرَاجٍ له فى ذلك الصَّلْـدِ(٦) مَأمَـلُ
يُطَـوِّحُ فى عُرْضِ الـفَضَاءِ ذِرَاعَـه   ويهوى على الصَّمَّاءِ كالخَطْبِ يَنْـزِلُ
ولـكنَّها تَلْقَـاه صَمَّـاءَ لَمْ تَلِـنْ   وقد خُذِلَتْ كَفَّاهُ ، والصَّخْرُ يَخْذُلُ
يدورُ حَوالَيها لِيُـدْرِكَ مَقْتَـلاً   وهَيهاتَ فى الصُّلْدِ الأصمَّـاءِ مَقْتَـلُ
ويَغْمِزُهـا غَمْـزَ الخبيرِ ويَنْثَنِـى   يحاولُ مَا أعيـاه ، لا يَتَحَـوَّلُ
وقـد جَاشَ فى أعضائِـه كُلُّ نَابضٍ   وسَالَ دَمٌ فى صورةِ الماءِ يَهْطِـلُ !
وحيـنَ توالتْ طَرْقَـةٌ بعـدَ طَرْقَـةٍ   تَفَتَّتَ تحتَ العَزْمِ مَاكانَ يَصْمَـلُ(٧)
فَأَرْخَى ذِراعَيْـه ، وأَسْنَـدَ جِسْمَـه   إلى مِعْوَلٍ ؛ نَضَّاه(٨) للكـدحِ مِعْـوَلُ

* * *

تَسيـلُ جُهـودٌ أو دِمَـاءٌ نَقيـةٌ   لِيُـنْصَبَ تِمْثَـالٌ ؛ ويُرْفَـعَ مَنْـزِلُ
ومـانَصْبُ التمثالِ للكـادحِ الشَّقِـىِّ   ولـيسَ له فى ذلك الـقصرِ مَوْئِـلُ !
ولكـنْ قُصارَاه شَرابٌ ولُقْمَـةٌ   ومَأمَلُـه فى ذلك الصَّلْـدِ مَأكَـلُ !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) الفاعل : كلمة متداولة تعنى (العامل) فى قطع الصخر من الجبل أو يعمل فى الحفر .
(٣) تُعْوِلُ : رفع الصوت بالبكاء والصياح .
(٤) أقضّ : أقلق .
(٥) مِعْوَل : آلة لتحطيم الصخر .
(٦) الصَّلْدُ : الصُّلْبُ الأملس الشديد .
(٧) يَصْمَل : مايكون ضخماً صُلْباً .
(٨) نضاه : حَرّكه وقلقه .

قِفَـارٌ كمثلِ الصَّخْـرِ أسودَ كالـدجى	وأفراخُـه كُثْـرٌ ؛ وأنْثَـاه مُطْفِـلُ[9]
فإن كانَ إكليـلٌ فهـذا جَبينُـه	وَإنْ كانَ تمثـالٌ فهـذا المُمَثَّـلُ
ويـارحمةَ الإنسانِ أدْعُـوكِ فَاخْجَلِـى	أمـامَ بنـى الإنسانِ إنْ كانَ يَخْجَلُ !

(٩) وأنثاه مطفل : لها طفل رضيع ..

حُلْمُ النِّيل(1)

هَازَجَ(2) بالنشيدِ تلْوَ النَّشيد وهـو يَمْضِى إلى مَدَاه البَعِيدْ
ذكرياتُ القُرونِ قَدْ صَاغَها النيلُ نشيداً ، فيَالَه مِنْ نَشيدْ !
يَنْظِمُ السِّحْرَ وَالكَهَانةَ والفَنَّ ، ويَشْدُو بكلٍّ هَذَا القَصِيدْ
منذُ فَجْرِ التاريخِ لَمْ يَتَبَدَّلْ لَحْنُه العَذْبُ مِنْ قَدِيمٍ جَدِيدْ

* * *

حَالِمٌ بالرَّجَاء عِنْدَكَ يَانيلُ سَعِيدٌ بحُلمِكَ المَعْهُودْ
يَنْبُتُ الزَّهرُ فى خُطَاكَ بَهِيجاً ذاك حُلْمٌ تأويلُه فى الوُرُودْ

(1) نشرت فى أكتوبر ١٩٣٨ .

(2) هازج : تُغنَّى .

وداع الشاطىء[1]

من الفردوس إلى الجحيم

أُحْـــلُ[2] يا شَطُّ ما تَشاءُ فإنِّـــى ... رَغْمَ سحرِ الجمـــالِ والموجِ رَاحِـــلْ
رَاحِــــلٌ حَشْدُ نفسِه لفَتَـــــاتٌ ... ليسَ عن فِتنَـــةِ الجمـــالِ بِغَافِــــلْ
قَدْ دَعَتْـــهُ إلى الرَّحيــــلِ دِيـــارٌ ... فى صَميمِ الجحيمِ تُدْعى الشَّواغِــلْ
هي قبـــرُ الآمالِ والفـــنِّ والحبِّ ... وقَيـــدٌ عن كلِّ ماشَاقَ شَاغِــــلْ
وهـــى دَارِى التـــى دَرَجْتُ[3] عليها ... وإليها المآبُ مَهْمــــا أحــــاوِلْ !

* * *

أُحْـــلُ ياشطُّ بالجمــــالِ طَلِيقــــاً ... من قُيــودِ الزمـــانِ نَشْوانَ وَاهِــلْ[4]
أسْكَرَتْـهُ الأمـــواجُ وهـــى تُزَجِّــى[5] ... دَفَعـــاتِ الحيـــاةِ فى كلِّ نازلْ
فيـــرَى نفْسَهُ خفيفــــاً غريــــراً ... قاهــــراً قادراً يجوزُ الحوائِــــلْ[6]
دَفَعَاتُ الحيـاةِ فى المَـوْجِ أسْنَــى[7] ... من بَريـــقِ الآمالِ فى نفسِ آمِـــلْ

* * *

أُحْــلُ ياشطُّ بالعَــــرائِسِ حُوراً[8] ... سَابحاتٍ والموجُ ظمـــآنُ نَاهِـــلْ
كالفِتَـالِ الحِيتَـــانِ فى البحــرِ وَثْبــاً ... وانثنـــاءِ الغِـــزْلانِ والشطُّ ذَاهِـــلْ
فتنـــــةٌ تَسْكُبُ الحيـــــاةُ عليها ... سِحْرَهــــا والعيـــونُ حُورٌ[9] قواتِـــلْ

* * *

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٤٠ .
(٢) أُحْلُ : فعل الأمر من حَلا الشىء يَحْلُو حلاوة ، ويقال : حلا الشىء له فى عينيه : لَذَّ وحَسُن .
(٣) درجت : نشأت وسرت .
(٤) واهل : ساهٍ (من سَهَا : غَفَلَ) .
(٥) تزجى : تدفع إلى الأمام .
(٦) يجوز الحوائل : يجتاز الصعاب أو الموانع .
(٧) أسنى : أضوأ (من الضوء) .
(٨) حوراً : الفتيات الحسناوات .
(٩) حور : مفردها حوراء : شدة بياض العين فى شدة سوادها (من جمال العيون) .

واندفـاعُ الأمـــواجِ يُوقِــظُ فى النَّفْـــ ـــسِ ظَمـاءً مُرَقْرَقـــا فى الدَّخائِـــلْ[10]
وانطلاقـــاً من التَّـــزَمُّتِ والْعُـــرْ ـــفِ وشَوْقـــاً إلى المباهِـــجِ واغِـــلْ[11]

* * *

أُحْـــلُ ياشطٌّ لن نُطيـــقَ انْفِـــلاَتاً من رَحيـــلٍ إلى جحيـــمِ الشَّواغـــلْ

(١٠) الدخائل : مفردها داخل : ماقى باطن النفس .
(١١) واغل : متعمق .

الوادى المقدس(1)

على ضِيفافِ الخلودْ وفى شعابِ الزمنْ
والدهر يحبُو وليدْ قد كان هذا الوطنْ

* * *

يافجرُ مَنْ ذا رآكْ تجولُ تلكَ السماءْ
وليسَ حَيٌّ سِواك تُهدِى إليه الضياءْ ؟

* * *

رأتْك تلك الضِّفافْ رأتكَ تلك البُرورْ(2)
رأتْكَ قبلَ المطافْ وأنتَ طفلٌ غريرْ

* * *

وشِبْتَ والدَّهر شَابْ وحنَّكَتْك(3) الحياهْ
والنيلُ بادى الشبابْ والزهر يَقْفو خُطاهْ

* * *

يَنْسَابُ مثلَ النَّغمْ فى عَزفِ نايٍ طروبْ
وكانسيابِ الحُلُمْ تُضْفِى عليه الغيوبْ

* * *

خريرُهُ صَلَواتْ مُعَطَّرَاتُ النشيدْ
وموجُهُ أُغنياتْ مُرَتَّلاتُ القصيدْ

* * *

يانيلُ كَمْ من شِراعْ يانيلُ كم من سَفينْ(4)

---

(1) نشرت فى مايو ١٩٤٤ .

(2) البرور : مفردها البَرُّ (الشاطىء)

(3) حنكتك : ألبتك التجربة والمعرفة .

(4) سفين : سفينة .

أسْلَمْتَهـــــــا للــــــــــوَداعْ	علــــى مَـــدَارِ السِّــنِيـــــن

* * *

يانيــــلُ كَمْ من جُمـــــوعْ	ماجَتْ بتــــلك الضفــــافْ
يانيـــــــــلُ كم من زروعْ	وذِى وذِى للقطــــــــافْ

* * *

وأنتَ صِنـــــوُ(٥) الخلـــــود	وفى يديْك الزِّمــــــــــامْ
وكـــــلُّ عامٍ تعـــــودْ	مُجـــــدِّدَ الأيــــــامْ

* * *

تجرى فتجـــــرى الحيـــــاه	ويُمْـــــرِعُ(٦) الشاطئــــانْ
ويستفيـــــقُ الرُّعـــــاه	وتمرحُ القُطْعــــــــانْ

* * *

ويَـــــنشطُ الــــــزرزورْ	يجمِّـــــع العيـــــدانْ
لِعشه المغْمُـــــــورْ	بفرحـــــه الوَسنــــانْ

* * *

أكادُ خلـــــفَ القـــــرون	أُحِسُّ رِكْـــــزَ(٧) الجمـــــوعْ
أراهُـــــمْ مُهطعيـــــنْ(٨)	فى موكبٍ للربيـــــــعْ

* * *

قد شمَّـــــروا للــــــحصاد	وخَلَّفــــــوا أمشيــــــزْ
فى فرحـــــــةِ الأولادْ	تسابقُـــــوا للبكُـــــورْ

* * *

ومـــــوكبٌ للـــــرَّواحْ	فى كلِّ يومٍ يؤوبْ
يزُّفـــــه الفــــــلاحْ	على مَدارِ الغـــــروبْ

* * *

من الحقـــــولِ المَريعـــــة	إلى الحِمـــــىٰ والدِّيـــــارْ

---

(٥) صنو : رفيق .

(٦) يمرع : ينعم الشاطئان بالخصوبة .

(٧) ركز : صوت خفى .

(٨) مهطعين : مسرعين فى خوف .

تضمُّ فيـــــه الطبيعــــــــة   أبناءَهــــــا الأبـــــــــراز

* * *

لُحُونُــــــه من صيــــــاخ   ومـــــن رُغـــاءِ النَّعَـــمْ (٩)

ومــــن رجيـــع النُّبَــــاخ   ومـــن ثُغـــاءِ الغنـــمْ

* * *

على مَدارِ القــــــــــرونْ   يسيـــرُ فيـــه الرُّعـــاةْ

كأنهم خالـــــــــــدون   ما بُدِّلُـــــوا فى الحيـــاةْ

* * *

أُحبُّ فيكَ الخلــــــــــودْ   يأأيُّهـــا الـــــــــوادِى

أُحب فيك الصمــــــــــودْ   للْقاهـــــرِ العَـــــادِى

* * *

تَصبُّ فيكَ الوفــــــــودْ   وأنت يقظــــانُ ساهــــــرْ

تصوغُهــــم من جديـــــدْ   كأنما أنتَ ساحــــــــــرْ

* * *

يا مَهبِـــــــــــطَ الأسرارْ   من الغيـــوبِ العميقَـــــةْ

يا موطـــــنَ الأسحــــارْ   من القـــرونِ السحيقـــةْ

* * *

يَأوِى إلـــيك الزمـــــانْ   خوف البِلَـــى رالفَنـــاءْ

يأوى لحصن الأمـــــــانْ   فيستمـــــدُّ البَقـــــاءْ

* * *

ووجـــهك الفَتَّـــــانْ   بِلونــــــــــه الأسمَرْ

يـــا طـالمــا يَـــزْدانْ   بـــزرعـــك الأخـضـــرْ

* * *

ترنُــــو له عينــــــاى   فى فتنـــــةِ العـــــاشقْ

يا أرضُ يا دُنيـــــــــاى   يا آيــــةَ الخالــــــقْ

* * *

---

(٩) النَّعَم : الحيوانات .

يا أرضُ كَم تَحْلُبين   بالزهرِ أحلامَ شاعرْ
رُؤاكِ طولَ السنين   يا أرضُ ، تلك الأزاهرْ

* * *

وريحكِ المعروف   يشمُّه أنفي
في خاطري مألوف   مميز العَرْفِ

* * *

يا أرض ، هذا الصعيدْ   مقدسٌ في ضميري
سَرىٰ عليه الجدودْ   وأخلدوا للقبور

* * *

يكادُ فَرْطُ الحنينْ   إليهمُ في شعوري
يردهم شاخصينْ   إليَّ خلفَ الدهورْ

* * *

يا أرضُ سرٌّ دفينْ   مُغيَّبٌ في ثراكِ
يَرُدُّنا مُوثقين   إليكِ أسرَى هواكِ

* * *

هذا الثرى المنثور   في صفحة الوادي
عرفته في الضمير   رفات أجدادي

* * *

يا أرض . هذا النشيد   من وحيك العبقريّ
فَاقضِي له بالوجود   بسرِّك القُدسيّ

فى ليلةٍ من لَيالى الربيع(1)

فى الجوِّ رائحةٌ تُوسْوِسُ فى الحَنَايـــا والصُّدُورْ
نَشْوانـةٌ خَدِرَتْ (٢) يُعاوِدُهـا التـوثُّبُ والفُتـورْ
فَتهيـمُ كالشوقِ المجنَّـحِ فى مَتاهَـاتِ الضَّميـــرْ
وكـأنَّ رائحـةَ الحيـاةِ تَدِبُّ فى عَبَـقٍ (٣) مُثيــرْ

* * *

وأُحِسُّ بالنغمـاتِ سَاريـةً تَرَقْرَقُ (٤) فى الدِّمَـــاءْ
كهُتـافِ مشتـاقٍ تَوَلَّـه لا يكـفُّ عَنِ الدُّعَـــاءْ
الأرضُ تَفْتِنُـــه ويَرْنُـــو فى ابتهالٍ للسَّمَـــــاءْ !
والصَّمتُ يَغْمُرُه وفى الأَحْنَاءِ (٥) وَسْوَسَةُ الغِنَـاءْ !

* * *

والحبُّ والأشواقُ والظَمَـــأُ المُغَلْغَـــلُ للحيـــاهْ
وهَواتِـفُ الدُّنيـا إلى القُبَـلِ المُليحـةِ فى الشِّفَـاهْ
وتَرَقْـرُقُ الحُرَّقَـاتِ (٦) فى شَغَـفٍ يَهيـمُ إلى مَدَاهْ
وتطلُّـع الصُّوفـــىِّ فى شوقٍ إلى ذاتِ الإِلَـــهْ !

* * *

هو ذا الربيـعُ وإِنَّـه لَهـو الهَواتِـــفُ والحَنيــــنْ
أَبـداً يَهيـــجُ إلى عَوَالـــمَ تائهـــاتٍ لا تَبيــنْ
ويُهَدْهِـدُ الأحـلامَ والذِّكـرَاتُ شَتَّـى والفُنُـــونْ
فإِذَا الحيـاةُ هوىً يَرِفُّ وفتنـةٌ وشَجـــىً دفيـــنْ

---

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٤٥ . (٢) خدرت : عراها فتور واسترخاء . (٣) عبق : رائحة الطيب الدائمة .
(٤) ترقرق : تتحرك وتضطرب . (٥) الأَحْناء : الجوانب . (٦) الحرّقات : نوع من العصافير .

جَمَالٌ حَزِينٌ (١)

أَجَلُّ من الحُزْنِ والمَأْتَمِ جَمَالُكِ . إنْ كُنْتِ لَمْ تَعْلَمِى !
وَقَدْ دار حولَ الجبين الخمارُ (٢) تَشَعْشَعَ (٣) كالليلِ بالأنْجُمِ !
كما أرْسَلَ الصبحُ لآلاءَهُ (٤) بَرِيئاً مِن الصِّبْغِ كالعَنْدَمِ (٥)!
وفى شَفَتَيْكِ الجَنَى والرَّحيقُ ولكن طَهُرتِ فَلَمْ تَأْثَمِى
وَكَفُّكِ (٦) فى الصمتِ حُزنٌ شَفِيفُ (٧) سِوى قُبْلَةٍ وصَوصَتْ (٨) فى الفَمِ !
وفِتْنَةُ هذا الجَمَالِ العَميقِ وطُهْرٌ نَمَاكِ إلى مَرْيَمِ

* * *

هُو الحِلْمُ بينَ ضِفَافِ الجِنَانِ يَرِفُّ (٩) على ثَغْرِكِ المُلْهِمِ (١٠)
ويَطْرُقُ عَيْنَيكِ فى سَبْحَةٍ إلى عَالَمٍ شَاعِرِيٍّ ظَمِى
تَحجَّبَ بينَ شِعابِ (١١) الغُيوبِ وأومضَ (١٢) فى قلبكِ المُفْعَمِ (١٣)
ضَميرِى يُحِسُّكِ أُغْرُودةً (١٤) على شَفَتَىْ خاطِرٍ مُبْهَمِ (١٥)

---

(١) نشرت فى يناير ١٩٤٨ .

(٢) الخُمار : دخل فلان فى خُمار الناس : فيما يواريه ويستره ، والخِمَار : ماتغطى به المرأة رأسها .. وهذا هو المراد والأصوب .

(٣) تشعشع : انتشر . (٤) لآلاءه : بريقه والمراد إشراقته .

(٥) العَنْدَم : صبغ تختضب به الفتيات والمراد أنها مشرقة بطبيعتها بريئة من الأصباغ والألوان .

(٦) كفُّك : كفاك . (٧) شفيف : الشفَّاف ، والمراد حزن كشف عما بداخلك.

(٨) وَصْوَصَتْ : ضَيَّقَتْ ويقال وَصْوَصَتْ المرأة : ضيقت نقابها فلم يُرَ منه إلا عيناها ، والمراد أنها قُبْلَة سريعة خفيفة .

(٩) يَرِفُّ : يتلألأ . (١٠) الملهم : المحرك للقلوب . (١١) شِعاب : طرق .

(١٢) أومض : لَمَعَ . (١٣) المفعم : المملوء . (١٤) أغرودة : أغنية . (١٥) مبهم : مجهول .

الرثـــاء

ودمُ المختـــار مـا زالَ نديّـــ

ـــا يستـحثُّ الخَانِعينَ الضُّـــعَفَاءْ

وضحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ الـ

يوم يدعـــو مَنْ يجيبـــون الدُّعـــاء

سيد قطب

وَحْيُ الخُلُود(1)

الموتُ مرحلــــةُ الخلــــودِ　　والذِّكْــرُ عُمْــرٌ لا يَبِيــدُ(2)

فإذا انتهى أجَــلُ العظيـــ　　ـم فَذِكْــرُه أجــلٌ جَديــدْ

ماتَ الزعيـــــمُ ولم تزلْ　　آثــارُه تُحْيــى الجنــودْ

وَمضَى شهيـــداً طاهـــراً　　يانِعْـمَ ذَيَّــاك الشهيــدْ

هو عَلَّــمَ الشعبَ الجِهـا　　دَ وأيقــظَ القــومَ الرُّقــودْ

هو كانَ رَوحــاً بينَنــا　　يَحيَـا فَيُحْيــى مَنْ يُريــدْ

هو كانَ كالأمــلِ المُـضى　　ءِ وكانَ كالجَدِّ(3) السعيــدْ

هو قد حَبَا(4) الأشبـالَ مِنْ　　عَزَماتِـــــه باسَ(5) الأسودْ

فإذا مَضَى الأسدُ الهصو　　رُ فَخَلْفَــه أسدٌ عَتيــدْ

وإذا خَبَا(6) الــرأىُ الرَّشيـ　　ـدُ فَبَعْــدَه رأىٌ رشيــدْ

ياسعــدُ أدْمَـنتَ الجُهــو　　دَ فحسبُنــا تلك الجُهــودْ

* * *

نَمْ مطمئنـــاً بعدمَــا　　عَلَّمْتَنــا معنــى الوجــودْ

الشعبُ بعــدَكَ لم يَعُــدْ　　يُثْنِيـه وَعْــدٌ أو وعيــدْ

الشعبُ لايرضَى القُيــو　　دَ ولم تنـلْ منـه القُيــودْ

الشعبُ نَصَّبَ(7) مصطفــا　　كَ وكاتــمَ السِّرِ الــوَدُودْ

وهــو الأمِيــنُ على العهــو　　دِ فمـا يخُــون ومايَحيــدْ

* * *

---

(1) نشرت فى أبريل ١٩٢٨ .

(2) لايبيد : لايفنى ولاينتهى .

(3) الجد : الحظ .

(4) حبا : منح وده وعطفه .

(5) باس : بأس : القوة والصلابة .

(6) خبا : إختفى .

(7) نصّب : اختاره خليفة لك .

يا أيُّهــــا الخَلَــفُ العظيــــمُ ويا أخا الرأى السديـــدْ
الشعبُ خلْـــفكَ كُتلـــةٌ في مَوقــفِ الهولِ الشديـــدْ
أقْـدِمْ على الخَصْـمِ العَنيـــدِ يَحُـوطُكَ الجيشُ العتيـدْ(٨)
مُسْتَلْهِمـــاً وَحْـــىَ الفقيـــدِ فإنــه وَحـــىُ الخُلـــودْ
إنَّ الحيـــاة لِمـــن صَحَـــا ليستْ لِعُشَّاقِ الهجُــــــودْ(٩)

(٨) العتيد : المستعد الجاهز .

(٩) الهجود : النوم والراحة .

الذكرى الخالدةُ لسعد العظيم(١)

هى هذه الذكرىٰ لثالثِ عامِ ... حَثَّتْ رَكائِبَها يدُ الأيـــامِ ؟
هى هذه ذكرىٰ الخُلودِ ورَمْزه ... وشعارُه الباقِ على الأعــوامِ
ذكرى البُطولةِ والزمانُ يَحفُّها(٢) ... بجلالِه فتجِلُّ(٣) فى الأفهـــامِ
جاءتْ تُحَدِّثُ فى جَلالِ رَوْعَةً ... مَحفُوفـــــــــــةً بمرارةِ الآلامِ
بَيْنَـا تُذَكِّـرُ بالحيـاة إذا بها ... تَرْنـو(٤) مُحَدِّثةً بِطَـرْفٍ دَامِ(٥)
مَمزُوجـةَ الألـوانِ تعْصِف تارةً ... وتعــودُ هَامِسةً بوَحْـيٍ سَامِ
هى كالخلودِ المحض غيرَ محددٍ ... وهـى اليقيـنُ يَبُضُّ(٦) بالأحـلامِ
وهى النفوسُ خَيالَها فى رَوْعةٍ ... أخَّـــاذةٍ مَسحـــورةِ الإلْهـــامِ
مَشْدُوهَــةً ماإنْ تَفيـقُ وحولَهـا ... زُمَـــرٌ(٧) من الأشبـــاحِ والإلهامِ
مغمورةَ الأطرافِ شَاعِرةً(٨) الحَشَا ... فى غمزةٍ تَطْغَىٰ وفيضٍ طامٍ(٩)
هى هذه الذكرىٰ وذاكَ جَلالُها ... تَخْنِى لِرَوْعَتِها أعــزُّ الهامِ(١٠)

* * *

أمْضَتْ ثلاثاً كالقرونِ طويلةً ... سُودَ المفارقِ جُلِّلَتْ بِقَتَامِ(١١)
عَصَفَتْ بمصرَ الحادثاتُ كأنَّها ... كانتْ مُهيَّـــأةً على الأقـــدامِ
ومَشَتْ بها هُوجُ الرِّياحِ جريئةً ... تَجْرى لغـايتِها بغيــرِ زِمـــامِ
وعَلَتْ رؤوسٌ كنّ أخفضَ هَامةً ... وأذلَّ من عِيرٍ(١٢) بكلِ مَقَامِ

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٣٠ .
(٢) يحفها : يحيط بها .
(٣) فتجِل : تعظم .
(٤) ترنو : تديم النظر : تتأمل .
(٥) بطرف دام : طرْف : نَظَرٍ ، دامٍ : من الدم والمراد : نظرة أسى وحزن .
(٦) يَبُضُّ : يمتلىء ، من بَضَّ البدن يَبُضُّ : امتلأ ونضر .
(٧) زُمر : جماعات .
(٨) شاعرة : مشتعلة والمراد ثائرة الأفئدة .
(٩) طام : زائد (من الزيادة الشديدة) .
(١٠) الهام : الرؤوس ومفردها هامة .
(١١) قتام : غُبار أسود .
(١٢) عِير : حمار .

هم قَد دَعَىٰ دَاعِي الغرورِ فأسرعُوا ... وهم ارتضَوْا من دَهْرِهم بِحُطَامِ
ودَعَاهُم الوطنُ الكريمُ فأعْرَضُوا ... وتسلَّلوا للخصْمِ غيرَ كِرَامِ
هدمُوا من الدستورِ رُكناً قائماً ... وتعلَّلوا بالزُّورِ والأوْهَامِ
وتَصيَّدُوا للشعبِ كلَّ مَسبَّةٍ ... كيدَ العدوِّ وطعنةَ الأخصَامِ
لولا جلالُ الذكرياتِ ذكَرْتُ مِنْ ... آثامِهم مُستَبْشَعَ الآثامِ !

* * *

يا سعدُ والذكرى تُثيرُ شجوننا ... وتَهُدُّنا بالعزمِ والإقدامِ
وتُطِلُّ رُوحُكَ فى جلالٍ صامتٍ ... يُزْرِى (١٣) بكلِّ إشارةٍ وكلامِ
يا سعدُ تُولِيكَ القلوبُ حُشاشَةً ... مِنْها تقومُ بواجبِ الإكرامِ
وتَزُفُّ أنفاسَ النَّسيمِ رقيقةً ... تَسْرِى مزودةً بكلِّ سَلامِ
يا سعدُ شخصُكَ فى القلوبِ مُجَسَّمٌ ... فى كلِّ تِمثالٍ هناك مُقامِ !
إنّ الذى يحيى مَشَاعِرَ أُمَّةٍ ... تحييه بالأرواحِ لا الأجسامِ

* * *

يا أيُّها الثاوى وفى تذكارهِ ... وَحْى الخلودِ وآيةُ الإلهامِ
اليوم تُذْكَرُ والجلالُ مُخيِّمٌ ... والصمتُ يبعث شَاجِىَ الأنغامِ
وتمرُّ أجيالٌ وأنت مُغيَّبٌ ... عنا وذكرُك فى المشاعرِ نَامِ
إنَّا فَقَدْنا بافتقادِكِ طلعةً ... وبَقِيتَ ذكرىٰ خُلِّدَتْ بِدَوامِ
فى كلِّ نَفْسٍ من سَنَاكَ بَقيةٌ ... وبكلِّ رُوحٍ منك فيضٌ هَامِ (١٤)
هذا هُو الشعبُ الذى خَلّفتَه ... وسطَ الطريقِ مُيمماً لِأمامِ
هو لا يزالُ مُجاهِداً كعهودِه ... هو لا يزالُ مُؤيدَ الأعْلامِ
أمّا الأُلىٰ نكثُوا العهودَ فما رَعَوا ... إلاًّ ولم يَستَمْسِكُوا بِذِمامِ
فهم البُغاثُ (١٥) جَليلُهم وحقيرُهُم ... وهُم الذِّئابُ تَفَجَّعُ فى الإجرامِ
يا سعدُ لا تقلقْ لِفَعْلَةِ خارجٍ ... أنتَ الخبيرُ بهذه الأقزامِ !
حَمَلَ اللواءَ وصارَ بعدَكَ مُصطفىٰ ... يقفُو (١٦) خُطاكَ فكانَ أخلصَ حَامِ
قد يَذْهبُ الليثُ الهصورُ وإنّما ... تبقىٰ الليوثُ عن العرينِ تُحامِى

---

(١٣) يزرى : يحقّر . (١٤) هام : غزير .
(١٥) البغاث : ضعاف الطير ويقال لكل ضعيف .
(١٦) يقفو خطاك : يتبع خطاك .

البطل (1)

فى مثل هذه الغمرات القاسية ، التى تعانيها الأمة المصرية الآن ، يمر كثير من الحوادث الجِسَامِ دون أن يثير انتباها ؛ لأن الأمة فى شغل عنه بما هى فيه ؛ فى شغل بالنكبةِ العامةِ عن النكبات الجزئية .

من ذلك وفاة السيد « العبيد » رئيس جمعية اللواء الأبيض فى السودان ؛ ذلك الشاب الجرىء الذى أَلّفَ جمعيته على إثر إخراج الجيش المصرى من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صِلة شطرى الوطن المفدى ، ووحدته المقدسة ؛ فى جُرْأةٍ عجيبة ؛ ورجولة كاملة ؛ وبطولة فذة غير عابِىء بسجن مُرْهِقٍ شديد ، ولا بتنكيل وحشى قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقيد وهو « سياسى » فى سجن رطب فى بقعة نائية من السودان تحيطُ بها الأَحْرَاجُ والمستنقعات ، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب ، وتحوم حواليها الحشرات القتالة . ثم لم يكتف الاستعمار بذلك « الاستعمار الذى يمثل المدنية !!! » بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه فى قطع الأَحْجار ورصف الشوارع حتى وَهَنَتْ قواهم وأصابت الشهيد الحمى فمات فى سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية ، بعد سبع سنوات كاملة لم تُهُنْ فيها نفسه ، ولم يخضع للإذلال .

هذا هو « العبيد » الذى يموت دون أن يشعر بموته فى مصر أحد . والشباب المصرى ، الشباب التافه الناعم ، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضعية ، الشباب الذى فقد رجولته ومميزاته ؛ ونسى ماضيه ووقفاته هذا الشباب فى شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه ، بل عن الانتباه لكل أمر ذى بال فى الحياة !

---

(1) نشرت فى ١٩٣١ .

وهذه القصيدة نفثةٌ من شابٍ يقضى بها حق الشباب وهذا ما يستطيع فرد أن يعمله ؛ فإذا كان بالشبان الآخرين حياة تعمل شيئا للذكرى كان بها ، وإلّا فحسبى هذه النفثةُ الحرىٰ .

سَجِّلى ياأرضُ وارْعَــىْ ياسماءْ
مَصْرَعَ الجبارِ بينَ العُظَماءْ
مَصْرَعُ الجَشَّامِ(٢) ما إن يَنْثَنِى
أو تُدَكُّ الأرضُ أو تُطوىٰ السماءْ
يقـفُ الهولُ لديــه خَاشِعــاً
وهو يَلْقَىٰ الهولَ بَسَّامَ الرِّضَاءْ (٣)

* * *

نالَ منه الموتُ ما لَمْ يستطعْ
نَيْلَه الغُصَّابُ فى سَبْعٍ وِلاءْ
عَذَّبُــوه ونَفَـــوه ومَضَوا
فى فنونِ الظُّلْمِ ما الظلمُ يَشَاءْ !
أرسلُوه حيثُ وادِى الموتِ إذْ
لا يَرىٰ الأحياءُ أطيافَ الرَّجاءْ
فى مَبــاءاتٍ (٤) تُلوِّى بَيْنَهــا
جَلْجَلاتُ الموتِ فى هَولِ الوبَاءْ
تَصْفُــرُ الرِّيــحُ بها مُعْوِلــةً
تنـذرُ الأحيــاءَ فيها بالفنــاءْ
وأرادُوا والمَنَايــــا حَوْلَـــــه
أن يُذِلُّوا فيه تلك الكِبْرِيَـاءْ

---

(٢) الجَشَّام : الذى تحمَّلَ التبعات الثِقَال ، من جَشِمَ يَجْشَمُ : ثقُلَ يَثْقُلُ : أو تكلَّفَ الأمْرَ على مشقةٍ
(٣) الرِّضاء : الرضا : تقبل واختيار الأمر .
(٤) مباءات : أماكن الوباء من وَبِئَتْ الأرضُ : كثر فيها الوباء أى كل مرض فاشٍ عامٍ .

فمضَىٰ يَأْنَفُ فى سُخْرِيةٍ
عيشَ ذُلٍّ هُو والموتُ سَواءْ
لم يقلْها : لَفْظَةٌ ، لو قالَها
لَقِى النَّعْماءَ مِنهم والوَلَاءْ

* * *

ليتَ أهلَ الأرضِ يدرونَ بما
صنعَ الغُصَّابُ بالنفسِ البَراءْ
أتُرىٰ أنْعَتُها وَحْشيةً
فى ظلامِ الكهفِ لَمْ تدرِ الضِّياءْ ؟
أظْلِمُ الوحشَ إذا شَبَّهتُه
بوحوشِ الغَربِ تمتصُّ الدِّمَاءْ !
يَفْتِكُ الوحشُ لِيحيَا بينما
يَفْتِكُ الغربىُّ حُبًّا فى الثَّرَاءْ !
يا شبابَ الشرقِ هذا موقفٌ
تَقْشعِرُّ الأرضُ منه والسماءْ
ودمُ المختارِ ما زالَ نديًّـ
ـا يستحثُّ الخَانِعينَ الضُّعفَاءْ (٥)
وضَحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ الـ
ـيومِ يدعُو مَنْ يجيبونَ الدُّعَاءْ

* * *

يا شبابَ الشرقِ والشرقُ إذا
لم تكونُوا جُنْدَه ضَاعَ هَبَاءْ
لا يردُّ الحقَّ قولٌ فَارِغٌ
تَذْهَبُ الرِّيحُ به عَصْفَ الهواءْ (٦)

---

(٥) هو الشهيد البطل عمر المختار الزعيم الطرابلسى وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل ، مخالفين فى ذلك كل تقاليد المدنية .

(٦) عصف الهواء : شديد الهواء .

إنّما يُجْـدِى جِهَـادٌ عَارِمٌ
وخِصَامٌ ونِضَالٌ وعَنَـــاءْ
إنما يُجْـدِى إذا نَبْعَثُهـا
كهزيمِ (٧) الرعدِ تُدوِى فى الفَضَاءْ
إنما يُجْدِى إذا ما أيْقَنُـوا
أننـا كالغَـربِ قومٌ أقْويـاءْ

* * *

يا شبابَ النيلِ ماذَا ؟ وَيْحَكُم !
أفأنتم حيثُ يُحييكُم دُعَـاءْ ؟
يا شباباً نَاعماً مُسْتَأْنِسـاً !
كَذواتِ الخِدرِ (٨) فى ظِلِّ الخِبَاءْ !
يا شبابـاً تافهـاً مُحْتَقَـراً
تأنفُ الأجيالُ منه فى ازدرَاءْ (٩)
يا شبابـاً هَمُّـه لَذّاتُـه
فهو يَحيا بينَ كأسٍ وخَنَاءْ (١٠)
يا شبابـاً قَصُرَتْ آمالُـه
كخَشَاشِ (١١)الأرضِ مَرمَاه الغِذَاءْ
يا شباباً نُكِبَ النيـلُ به
فى الأَمانِـى والتَّعلّاتِ الـوِضَاءْ
يا شبابَ النيلِ هَلْ أبصَرْتُمو
فى فَتى السودانِ كيفَ الشُّهداءْ ؟
عُمَـــرُ الإيمانِ بالحقِ له
مهجةٌ حَرّىٰ فجادتْ بالفِـدَاءْ

---

(٧) هزيم : صوت
(٨) ذوات الخدر : الفتيات الأبكار اللآتى يلازمن خدرهن .
(٩) يسر الشاعر أن يسجل الآن نهضة الشباب ومساهمته فى المشروعات الوطنية لمشروع القرش وسواه .
(١٠) خناء : المراد فساد . (١١) خشاش : حشرات الأرض .

يا شبابَ النيلِ هذا مَثَلٌ
جلالِ الموتِ فى ظِلِّ الإبَاءْ
ما يقولُ . الشِّعرُ فى هذَا ومَا
حِيلةُ الشِّعر ؟ وما طَوْقُ الرثاء ؟
موقفٌ جَلَّ عن الشعرِ فَهَلْ
يُكْمِلُ التاريخُ بَدْءَ الشُّعَراءْ ؟

ذكرى سعد (1)

خَمْسٌ مَضَيْنَ تُجُنُّكَ (٢) الأستارُ
فيها . وقبرُك كعبةٌ ومَنَارُ
فى كلِّ مطَّلعٍ وكلِّ ثَنيةٍ
ذكرىٰ تُزاحَمُ حولَها الأفْكَارُ
باقٍ على عَنَتِ الخُطوبِ وعَسْفِها
مجدٌ تَقَاصَرَ دونَه الأنظارُ
تتصرَّمُ (٣) الأيامُ وهو مُوطَّدٌ
يعنُو (٤) الخصومُ لديه والأنصارُ
وكأنه عَلَم (٥) يُنيفَ على الورَىٰ
ترنُو إليه وتَخْشَعُ الأقدارُ
وتَضَاءلَ الأشخاصُ عنه ويستوى
فى ظلِّه الأقزامُ والجبارُ !

* * *

مادا يُطيقُ الكونُ أن يَنْسَاه من
سعدٍ ؟ وكلُّ عظيمةٍ تَذْكَارُ ؟
هل كانَ إلّا فى العظائمِ مَوْئلاً
فى يومٍ تَشْخَصُ عندَه الأبصَارُ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢ .
(٢) تجُنُّك : تخفيك .
(٣) تتصرم : تمرّ.
(٤) يعنو : يخضع .
(٥) ينيف : من أناف: علا وارتفع .

تَذْوِى حَواليه الخطوبُ وتَنْثَنِى
كأشمَّ يَعْصِفُ حَوْلَه الإِعْصَارُ
فإذَا مَضَى الهولُ المُرَوِّعُ وانجلتْ
غمراتُــه وتَــرَاخَتْ الأَخْطَــارُ
أَبْصَرْتَ تحتَ الهولِ بَسْمَةَ هَادِىءٍ
راضٍ أشَمَّ كأنّــه المِقْــدَارُ
رُوحٌ تَجِلُّ عن الحياةِ وأهلِها
وصروفِهــا ، وتَحُفُّهــا الأسرارُ
رُوح البطولـةِ والبُطولـةُ طَلْسَمٌ
كالسحر تَدْهَشُ عِنْدَه وتَحارُ
أفذاكرٌ أنتَ الجموعَ وحَشْدَها
لما دَعَا سعدُ الجموعَ فَثاروُا ؟
ماذا أبـركانٌ تَفَجَّرَ أم تُرى
موجٌ أشمُّ أحمُّ ؟ أَمْ تَيـارُ
سِحر البطولةِ أو شُواظُ لَهيبها
يُذْكِى النفَوسَ فكلُّهـا مِغْـوارُ
ذكـرىٰ تُقدِّسُهـا البـلادُ كريمةً
وتصوُن رَوْعـةَ مَجْدِهـا وتَغَـارُ
هى بعضُ تاريخ البلادِ فَلَمْ تكُنْ
تاريـخَ فردٍ يَنْطـوِى ويُثَـــارُ !
ذكرى يَحِفُّ بِها الجَلالُ وتَنْزَوِى .
بإزائهـــــا الأحقـــــادُ والأَوْزَارُ
ذكـرىٰ تُطِلُّ كأنهـا قُدْسِيّـةٌ
فالكـلُّ تَحتَ ظلالِهـا أبـرارُ
فَلْتَعْنُ (٦) للذكرىٰ الجباهُ وتَنْحَنِ الـ
ـهامـــاتُ ولتتـــخَشَّعُ الأبصارُ

---

(٦) فَلْتَعْنُ : فلتخضع .

طليعة الضحايا(١)

« سَجِّلى يا أرضُ وارعَىْ يا سماءْ (٢)
مَصرَع النَّسْرينِ فى جوفِ الفَضاءْ (٣)

سَجِّليـــه بمدادِ الفخـــرِ لا
بلْ بفيضٍ من دِمَاءِ الشُّهداءْ

مَصْرعُ الآسادِ فى آجَامِهـــا(٤)
لا كما تُلْقَى مَنَايَاها الظِّبَاءْ !

سَجِّـــلِيها رَوعَـــةً قد مُزِجَتْ
من أسَىٰ الحزنِ ، ومِنْ فَيْضِ العَزَاءْ

وضَحَايـــا المجدِ فى مَذْبَحِـــه
يلتقى اليـاسُ عليها والرَّجـاءْ !

وهـى القُرْبـانُ (٥) يَفْدِى أُمـــةً
إيـه ما أكرَمَـه هذا الفِـدَاءْ

* * *

دَوْمـــاً والريـــحُ فى مُعْتَـــرَكٍ
صَاخِبِ الأنواءِ ، مَشْئُومِ العُواءْ

وظَـــلامٌ فى ظَلامٍ مُبْهَـــمٍ
يَخْشَعُ الهولُ لديـــه والفَنَـــاءْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ .

(٢) هذا البيت للمؤلف فى قصيدة سابقة .

(٣) هما المرحومان حجاج ودوس شهيدا الطيران .

(٤) آجامها : مفردها ، أَجَمَةٌ : الشجر الكثير الملتف .

(٥) القربان : مايقدم فداء لشىء آخر .

طَامِسُ الآثارِ مجهـــولُ الخُطَـــا
لا دليـلَ ، لا شُعَــاعَ ؛ لا ضِيــاءْ
وهما فى جَوْفِـــه تَحْدُوهُمَـــا
هِمَّــةٌ قَعْسَاءُ(٦) تأبَـى الانْــزِوَاءْ
يَلْطُمـــانِ الريــحَ إمّـــا لَطَمَـتْ
ويَروغــــانِ كأطيــــافِ الهَـــواءْ
أُشْرِبَتْ نَفْسَاهُمَـــا حُبُّ العــلا
وأرَادَاهـــا حيــــاةً فى السمـــــاءْ
قد أرادَا ؛ وأرادَ اللهُ ما
كانَ ؛ سُبحــــانَكَ تُمْضِى ما تَشَاءْ

* * *

إيــــهِ يا مِصْرُ عزاءً إنّمـــــا
أنتِ أولَـى بالتحيـاتِ الوِضَـــاءْ
قد بذلتِ اليـــومَ ما تَبْذُلُــــه
أمـــةٌ شَاءتْ حيــاةَ النُّبــلاءْ
أمـــةٌ قَدْ أعلــــنتْ قِسْمَتَهـــا
من صميـمِ المجدِ بيـنَ القُسَمَــاءْ !
ودمٌ يُهــــــراقُ فى تَضحيــــةٍ
سوفَ يَسْرِى نخوةٌ (٧) بيـنَ الدِّمَــاءْ

---

(٦) قعساء : قوية ثابتة .
(٧) نخوة : فخر وعظمة .

موت مبوسو[1]

سوسو هِرٌّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلةُ الحياة المقدسة بين يدى وهذه مرثيته ، أو مرثية الشعلة الخابية فيه :

لقد هَمَدَتْ فى الضُّلوعِ الحياةُ ... فما يَرْجُفُ القلبُ أو يَخفُقُ
وقد غَابَ لَألاؤُهَا فى العيونِ ... فما تَرْمُقُ (٢) الكونَ أو تَبْرُقُ
وقد سَكَنَتْ نَأْمَةٌ (٣) فى حَشَاه ... فما عادَ يَقْفِزُ أو يَمْرُقُ (٤)
فَيا قُرْبَهَا لَحْظَةٌ فى الزَّمانِ ... ويَا بُعدَ آثارِهَا تَنْطِقُ
وتَنْقُلُ من عَالَمٍ صَاخِبٍ ... إلى عَالَمٍ صمتُه مُطْبِقُ (٥)

* * *

تُقيمُ الحياةَ هُنَا مَأْتَماً ... وما إنْ تَنِى (٦) جَزَعَا تُفْرَقُ (٧)
وإنَّ الحياةَ لمجنونةٌ ... بِأبنائِهَا الكلُّ لا تُفْرُقُ (٨)
فجيعتُهَا فى صِغَارِ الفراشِ ... كموتِ الفتىٰ حَادِثٌ مُرْهِقُ
هو الموتُ فى كُنْهِهِ واحدٌ ... ويُزْهِقُ مِنْ بعدُ مَنْ يَزْهَقُ
قَد ادَّخَرَتْ فى صِراعِ الرَّدَىٰ ... فحقَّ لَها كلُّ مَا تَحْنَقُ ! (٩)

* * *

وتَرْجُفُ فى كلِّ حَىٍّ إذَا ... أصَابَ سِواه الرَّدَىٰ المُزْهِقُ
أشِعَّتُهَا فى جميعِ النفوسِ ... يُرقْرِقُهَا (١٠) مَصْدرٌ يَأْلَقُ (١١)

---

(١) نشرت فى نوفمبر ١٩٣٨ .
(٢) ترمق : ينظر فى مراقبة .
(٣) نأمة : الصوت الضعيف .
(٤) يمرق : يمرُّ سريعا .
(٥) مطبق : تام .
(٦) تنى : تضعف .
(٧) تُفرَق : تجزع وتخاف .
(٨) تفرُق : تفصل .
(٩) تحنق : تغضب .
(١٠) يرقرقها : يحركها .
(١١) يألق : يلمع .

فإن مَسَّه ما يَغُضُّ الضيـــــــــاءَ تَذَبْـذَبَ لَألاؤهـــا المُشْــرِقُ (١٢)
فيـــا دَمْعَـــةً رَقْـــرَقَتْ فى العيـــون لأنتِ الحيـــاةُ هَمَتْ (١٣) تَدْفُـــقُ
يَعِـــزُّ على النــفسِ فَقْـــدُ الحيـــاةِ فَتَجْـزَعُ للمـــوتِ إذْ يَطْـرُقُ (١٤)

(١٢) الحياة وحدة فى جميع الأحياء كمستودع الطاقة يمد فروعه المتفرقة ومتى مسّه ما يغض من طاقته تذبذب جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته .

(١٣) هَمَتْ : نزلت بغزارة . (١٤) يطرق : يأتى .

الزَّادُ الأخِير(1)

زَوِّدِينِى مِنَ الرَّجاءِ الأصيلِ ... مُشْرِقاً فيكِ فى المُحَيَّا الجميلِ
أنْتِ كَنْزٌ من الطَّلاقَةِ والبِشْرِ ... ودُنْيا من السَّنَا المَغْسُولِ
خِفَّةُ الطَّيْرِ وانطلاقُ الأمانِى ... بعضُ مَافيكِ وانطلاقُ السُّيولِ
وَهَجٌ(2) يُبْهِرُ النُّفُوسَ ويُزْكِى ... خَفَقَاتِ القُلوبِ عِندَ المُثُولِ
ذَخَرَتْكِ الحياةُ كَنْزَ حَيَاةٍ ... ورَصيداً لِمَالِها المبْذُولِ !

* * *

زَوِّدِينى لَكَادَ يَنْفَدُ زَادِى ... فى صِرَاعٍ مِنَ الحياةِ طَوِيلِ
كادَ يَخْبُو المِصْبَاحُ إلّا بَصيصا ... فاسْكُبِى الزيتَ فى بَقَايا الفَتِيلِ
كُنْتِ كالجَلْوَةِ المُشِعَّةِ نُوراً ... وهى اليومَ فى طَرِيقِ الأُفُولِ
فيكِ زَادٌ يَقُوتُنَا ويَقِينَا ... عَثَرَاتِ الطريقِ بينَ التُّلُولِ
أنْتِ لاغيرُكِ القَدِيرةُ أنْ تُزْ ... كِى حَيَاةً بِخَاطِرِى ومُيولِى

* * *

حِينَ أَلْقَاكِ يَغْمُرُ البِشْرُ نَفْسِى ... بِرَجَاءٍ مُشَعْشَعٍ مَوْصُولِ
وأرَى عِبْئِى الثقيلَ خَفِيفاً ... وأرَى نَاهِضاً بِعِبْئِى الثَّقِيلِ
وكَأنِّى اسْتَشْعَرْتُ رُوحَ شَبَابِى ... وَرَجَّعْتُ الزَّمَانَ صَعْبَ القُفُولِ(3)
فأعِيدِى إلىَّ مَاضِىَ عُمْرِى ... واغْمُرِيهِ بالبِشْرِ والتَّأمِيلِ
واطْلُعِى فى قِفَارِ نَفْسِى حياةً ... وإذَا مَادَجَى(4) عَالَمِى أوْمِضِى لِى(5)

---

(1) نشرت فى يوليو ١٩٤١ .
(2) وهج : توقد .
(3) القفول : العودة مرة ثانية .
(4) دجى : أظلم .
(5) أومِضى لى : أضيئى لى الحياة .

نُوسَةُ
أو
شَطْرٌ مِنَ العُمْرِ (١)

نوسه قطة صحبتنى اثنى عشر عاما ، تحتل مكان الطفل الحبيب ، وتشغل فراغه من نفسى وزمنى ، وتمنحنى من الود والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة ثم ماتت بين يدى...

أَغْمِضِى عينيك قد آنَ الأوانْ   ودَعِينى نهبةً للشجَنِ
وَأَمِّنِى دُنياكِ فى آتِى الزمانِ   ودَعِينى لُعْبَةً للزَّمَنِ !

* * *

هذه كَفِّى وقد مرَّتْ عليكِ   فى حَنَانٍ وارتياعٍ (٢) وولُوعِ
لم تُحَسِّيها ولم يَنْبِضْ لديكِ   قلبىَ النابضُ من بينِ الضُّلُوعِ

* * *

هذه الكفُّ التى كَمْ دَلَّلَتْكِ   وسَّدَتْكِ (٣)اليومَ أطباقَ الثَّرىٰ
أىُّ حاليْها تُرى أحنَى عليكِ ؟   ليتنِى أدرِى . ومن فينا دَرَىٰ ؟

* * *

ذلك الصَّوتُ الذى تَرْتقبينَ   قَدْ دَعَاكِ اليومَ من خَلْفِ الحِجَابْ
قد دعاكِ . إنّما لا تَسْمَعينَ   أُسْدِلَ السِّتْرُ وقد عَىَّ (٤) الجوابْ

* * *

أَنَا يا « نُوسةُ » والعهدُ قريبٌ   مُوحِشُ النفسِ شَجِىٌّ للمَغيبِ
مَوْضِعُ الصاحبِ والطفلِ الحبيبِ   قد خَلا فى ذلكَ القلبِ الغريبِ

* * *

---

(١) نشرت فى نوفمبر ١٩٤٢ .
(٢) ارتياع : جزع
(٣) وسدتك : جعلت تحت رأسك الثرى
(٤) عَىَّ : عجز

مَوْضِعُ الشَّطْرِ الذى قد عِشْتِ فيه   من حَياتِى مَوْضِعاً للحَدَبِ (٥)
مَا مَضَىٰ من دونِه أو مَايَليه   غربةٌ تَقْسُو علىٰ مُغْتَرِبِ

* * *

إننى أبْكِيكِ ياظلَّ الشبابِ   إننى أبكيكِ ياطيفَ البنين
رُفْقَةٌ طالتْ على خيرِ اصطحابِ   لَكِ عَطْفِى ولِىَ الوِدُّ المكينْ (٦)

* * *

لم يكن وِدَّ بُطونٍ وطعامِ   إنما وُدُّ اصطحابٍ ووفاءِ
طَالَمَا آثرتِ إنْ غِبْتُ الصيامَ   أو تَلُوذِينَ (٧) بِصَمْتٍ وانْزِوَاءِ

* * *

فإذَا عُدتُ فَوَثْبٌ ومُواءٌ   نَاطِقٌ بالشوقِ أو بالفرحِ
وألَاعِيبٌ وخَمْشٌ والْتِوَاءٌ   وتَثَنٍّ نَاطِقٌ بالمَرَحِ

* * *

طَالَما نَادَيْتِنِى عَذْبَ النِّداءِ   فى وَدَاعٍ حينَ أمْضِى أو لِقَاءْ
فى صباحٍ حينَ أصْحو أو مَسَاءِ   بِوُثُوقٍ واعتدادٍ وذَكاءْ !

* * *

طَالَما أحْسَسْتُ أنّى لكِ وَحْدَكِ   لاتطيقينَ شَرِيكاً أو شَبيهاً
طالما وَطأتِ فى حِجْرِى مَهْدَكِ   فَعْلَةَ الطفلةِ فى حُضْنِ أبِيهَا

* * *

كنتِ لى كلَّكِ فى هذى الحياةِ   أينَ مَنْ ألْقَاه فيها لِىَ كُلَّهُ ؟
كُلُّ مَنْ ألْقَى له فيها هَوَاهُ   ولَه آمَالُهُ فيها وشُغْلُهُ !

* * *

قد خَلا حُضْنِى وكَفِّى وذِرَاعِى   قد خَلا قَلْبِى مِنْ هَذا المَتَاعِ
مُنْذُ دَعا الموتُ فأصْغَيْتِ لداعِ   مَنْ دعَاه لم يُعقِّبْ لِوَدَاعِ

* * *

أنَا يا « نُوسةُ » أمْضِى والليالى   وخَواءٌ (٨) الموتِ يَغْشَىٰ عَالَمِى

---

(٥) الحدب : العطف والحنان
(٦) المكين : القوى
(٧) تلوذين : تلجئين
(٨) خواء : فراغ

رَسْمُكِ الشَّاخِصُ يبدُو كالخيالِ أو كَحُلْمٍ فى ضميرِ الحَالِمِ

* * *

وخَيــالاتُك فى كلِّ مَكــانٍ شَاخِصَاتٍ تَتــراءَى للعَيــانْ
تَصْحَبُ العُمْرَ على خطوِ الزمانِ هَاهُنا كنتِ وقَدْ كَانَ وكانْ

* * *

هذه أنتِ إلىَّ حُضنِى أوِيْتِ هذه أنتِ أمامِى قَد رَبَضْتِ(٩)
هذه أنتِ على صَدْرِى وَثَبْتِ لهفَ نفسى ! أينَ أنتِ أينَ أنتِ ؟

* * *

هاهُـو الصبـحُ فأيـنَ الوَثَبَـاتُ هذه كَفِّى فأينَ اللّمسَاتُ ؟
هاهو الأكلُ فأينَ الهَمْهمَاتُ ؟ أينَ أينَ ؟ كلُّ ماقد كَانَ فَاتْ !

* * *

أينَ قِطَّاتُكِ فى الحِرْزِ الأمينِ مَنْ دَنَـا مِنْهـا عليه تَثِبيـنْ
غير أنّى لِيَ وَحْدِى تأمنينَ وإذَا مُسّتْ فَبِى تَسْتَنْجِدين ؟

* * *

سَكَتَ الصوتُ وقد كَان غِنَاءً ! سَكَتَ الوَثْبُ وقَدْ كَانَ مَضَاءْ(١٠)
وامتلاءُ البيتِ قد أمْسَى خَواءَ كلُّ مَنْ فيه قد اسْتَلْقَى عَيَاءْ

* * *

هاهُنا كنتِ ؟ أمَا هذا ضَلالٌ ؟ وتهاويـلُ خمَّـارٍ(١١) أو خَبَـالْ ؟
لم يكنْ شَئٌ ولم يَطْرَأْ زوالٌ كلُّ مَاكَانَ خيالٌ فى خيالْ !

* * *

ضَلّــةٌ للنــاسِ فى آمالِهــا والمَنَايا رَابِضَاتٌ بالوَصِيــدِ(١٢)
زُمَـرٌ(١٣) تمضِى إلى آجَالِهــا والذى يَحيا يُرَجِّى فى الخلودِ !

---

(٩) ربضت : جلست
(١٠) مضاء : قوى
(١١) خمار : سكران ، خبال : عته أو لوثة عقلية
(١٢) بالوصيد : خفاء الدار
(١٣) زمر : جماعات

صَدَى الفَاجِعة[1]

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم . ثم هأنذا أعانى من الفجيعة فيه كأنها فجيعتى الخاصة ... فياويحَ لأولئك الذين عاشروه ، فأحبوه ووارحمتاه لهم كيف يعيشون ... ؟ .

جَفَّ الرِّثاءُ بخاطِرِى المَفْجُوعِ　　وصَمَتُّ لا أُفضى بغيرِ دُمُوعِى
إنى ذُهلتُ عَنِ المُصابِ بوقعِه　　حِيناً ، ذُهُولَ الوَاهِمِ المَخْلُوعِ
فَظَلِلتُ أُنصِتُ للرجاء ، وأتَّقى　　صوتَ اليقينِ الفَاجِعِ المَسْمُوعِ
أيَمُوتُ ؟ كَلاَّ ! لايموتُ وهذه　　مِصرٌ تُرجِّى نَجْمَه لِسطُوعِ
أيموتُ والأحداثُ تَهْتِفُ باسمِه　　أتكونُ تلكَ هُتَافَةَ التوديعِ ؟
قُلْ أيُّها النَّاعِى سِواه ؟ فما أرىٰ　　أنّى ــ وإنْ جَاهَدْتَنِى ــ بِسميعِ !

* * *

واويلتَاه ! أإنَّها الحقيقةُ　　جلَّتْ عن الإيجافِ[2] والترويعِ ؟
صمَتَ الذى قَدْ كَانَ أَلحَنَ حُجَّةً　　وتَجدَّدَتْ طعناتُه بِنَجيعِ[3]
مُتَفجِّراتٍ بالدِّماءِ كأنَّها　　كلماتُه فى قوةٍ ونُصوعِ[4]
كلماتُه اللائِى نَبضْنَ بِقَلْبِه　　ودِمَاؤُه من ذلكَ اليَنْبُوعِ

* * *

ياواهِبَ الوادِى مَرِيعَ[5] حَياتِه　　مابالُ عُمْرِكَ لم يكنْ بِمَرِيعِ ؟

---

(١) نشرت فى مارس ١٩٤٥ .

(٢) الإيجاف : من أوجف الشيءَ : حرّكه ، وجف القلب : خفَق ، قال تعالى ﴿ قلوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ والمراد : خفقان القلب واضطرابه .

(٣) نجيع : دَمُ الجوفِ ، يقال : « طَعْنَةٌ تَمُجُ النَجيعَ » أى طعنة تجعل دم الجوف ينزف .

(٤) نصوع : وضوح .　　(٥) مريع : خِصْب

يامانعَ[٦] الـوادِى العزيـزِ بِنَـفْسِه مابالُ عُمْرِكَ لم يكن بِمَنِيعِ ؟
خطَفَتْكَ عَادِيَةُ المَنُونِ وخَلَّفَتْ وَطَناً يُعَالِجُ سَكْرَةَ المَصْرُوعِ
لَخَلا مَكانُك ليس يَمْلأُ رَحْبَه إلا الأسَى وتفجُّعُ المَفْجُوعِ
لَخَلا مَكانُكَ والبلادُ تَهيَّأتْ تَخْطُو إلى أُفُقٍ رَسَمْتَ وَسِيعِ
وتَلَفَّتَتْ تُصْغِى لِصَوْتِكَ هَادِياً فى المُدْلَهِمِّ[٧] ورأيكِ المَسْمُوعِ
فَصَمَتَّ ـ باللهولِ ـ صَمْتَةَ وَاجِمٍ[٨] ماضٍ لغيـــرِ تأوُّبٍ ورُجُــــوعِ
وَاهـــاً لِمَصْرَ ويافجيعـــةَ أَهْلِهـــا فى الرائـــدِ المتفـــرِّدِ المَتْبُــــوعِ !

(٦) يامانع الوادى : يامن تمدُّ الوادى بالقوة وحاميه ، منبع : قوى محض .
(٧) المدلهمّ : المظلم والمراد وقت الشدة (٨) واجم : الساكت فى حزن

الوطنيات

تبغُـونَ الاسـتقلالَ ؟ تلك طريقُـهْ

ولقــد أخَـذْتُمْ بالطـريق فَيمِّمُـوا

وهو الجهــادُ حَميَّـــةٌ جَشّــامَةٌ

ما إن تخافُ من الرّدى أو تَحْجُمُ

سيد قطب

إلى البلادِ الشقيقة (١)

عَهدٌ على الأيـامِ ألا تُهزَمُـوا
فالنصرُ يَنبُتُ حيثُ يُهراقُ (٢) الدَّمُ
فى حيثُ تَعتَبِطُ (٣) الدِّمَاء فأيقنُوا
أن سوف تَحيوَا بالدماءِ وتَعْظُمُوا
تبغُونَ الاستقلالَ ؟ تلك طريقُهُ !
ولقد أخَذْتُم بالطريـقِ فَيمِّمُـوا
وهـو الجهـادُ حَمِيةٌ جشّامـة
ما إن تخافُ من الرَّدىٰ أو تُحجُمُ
إن الخلودَ لِمن يَطِيقُ مُيَسَّرٌ
فليمضِ طلابُ الخلودِ ويُقْدِمُوا
وطـنٌ يُقَسَّمُ للدخيـلِ هديـةً
فعلامَ يَحْجُمُ بعد هذَا مُحْجِمُ ؟
الشرقُ يا لَلشّرقِ تلك دِمَاؤُه
والغربُ يا لَلغرب يُضَرِّيه (٤) اللّمُ
الشرقُ ويحَ الشرقِ كيفَ تَقَحَّمُوا
حرماتِه الكُبْرى وكيفَ تَهجَّمُوا

---

(١) نشرت فى ١٩٣١ بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية .
(٢) يهراق : من هَرَق : صبَّه ، والمراد : تُسْفَك الدماء .
(٣) تعتبط : من عبطه الموت أى مات شابا صحيحا والمراد : دماء تسيل فى سبيل الوطن دون إكراه بل برضا ومنها : عبط فلان نفسه : رمى بها غير مكره .
(٤) يضريه : من الضرر .

غرتْهمُو سِنَةُ الكَرىٰ فتوهَّمُوا !
يا للذكاءِ ! فكيفَ قد غَرَّتْهُمُو ؟
سِنَـةٌ ومـرت والنيـامُ تيقظُــوا
فليعلمُوا مَنْ نَحنُ أو لا يَعْلَمُوا !
اليومَ فَلْيَلِغُوا (٥) الدّماءَ وفى غدٍ
فَلينْدَمُـوا عَنها ولاتَ (٦) المَنْـدَمُ

* * *

أبطـالَ الاستقـلالِ تلك تحيـةٌ
مِنْ مصرَ يبعثُها فؤادٌ مُفْعَمُ
إخوانُنا فى الحالِ والعُقْبى معاً
إخوانُنـا فيمـا يَلَــذُّ ويُؤْلِــمُ
مِصرُ الفتـاة ومـا تَزالُ فَتيةً
تهفُو إليكُم بالقلـوبِ وتَعْظُـمُ
فى كلِّ مُطّلـعٍ وكُـلِّ ثَنيـةٍ
نارٌ من الشرقِ الفتىِّ ستُضْرَمُ (٧)

(٥) فليلغوا : من لَغِىَ بالماء والشراب : أكثر منه وهو مع ذلك لا يَرْوَىٰ .

(٦) لات الندم : ليست الساعة ساعة ندم   (٧) ستضرم : ستشتعل .

مأساة البدارى (١)

ليس فى مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التى مثلها مأمور البدارى المقتول مع أهالى البدارى عامة ؛ وسجين البدارى خاصة ، وذلك الموقف العجيب الذى وقفته منها وزارة العهد المظلم البائد ، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها

ما ذلك ، العِرْضُ الشريفُ يُثْلَمُ ؟(٢)
وَيَسيل مِنْ حَنَقٍ حَواليه الدَّمُ ؟
ومن الذى سَام النفوسَ مَهانةً
يَأْبَى ويَأْنَفُها الذلولُ الأعْجَمُ ؟ (٣)
من كلِّ ما عَوْرَاء تُكْشَفُ جَهْرَةً
ويُهانُ مِنها ما يُصانُ ويُكْرَمُ
وكَرامَةٌ يَشْتَطُّ (٤) فى تحقيرها
نَذْلٌ حقيرُ القلبِ لا يَتَأثَّمُ (٥)
فى أيِّما بلدٍ نعيشُ ؟ وأيما
عهدٍ يَمرُّ على الكِنَانَةِ مُظْلِمُ ؟ (٦)
عهدٌ نُسَامُ (٧) الخَسْفَ فيه ونُبْتَلَى
نِقَمًا إذا قُمْنَا نَضِجُّ ونَنْقِمُ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢

(٢) يثلم : المراد ، يجرح ويهان

(٣) الذلول الأعجم : المراد الحيوان

(٤) يشتط : يبالغ فى وقاحة

(٥) لايتأثم : لايعبأ بارتكابه للآثام

(٦) نعت مقطوع مرفوع فى موضع اللم

(٧) نسام الخسف : نذوق الظلم والوحشية .

وَحْشِيَّةٌ كَشَفَ الزَّمَانُ حِجَابَها
لا بَلْ أشَدُّ من الوحُوشِ وأظْلَمُ
الوحشُ يَفْتِكُ جَائِعاً ويَعِفُّ عن
فتكَاتِه إذ مَا يَعِبُّ (٨) ويَطْعَمُ

* * *

يأيُّهـا الرُّفَقَـاءُ بالحيـوانِ لا
تَنْسَوا أنَاسيًّـا تَئِـنُّ وتَألَـمُ
فى مِصرَ قد تَلْقَى الكلابُ رِعايَةً
بينَا يُحَقَّـرُ شَعْبُهـا ويُحَطَّـمُ !
فى مِصرَ لا يَلْقَى المسيءُ جَزاءَه
لا بلْ يُكَافَأُ دونَـه ويُكَـرَّمُ
فى مِصر ما لا يَحْفَظُ التاريخُ من
فُحْشٍ يَعِجُّ (٩) بِها وفُحْشٍ يُكْتَمُ
فى مِصرَ ! لو فى مِصْر بعضُ كرامةٍ
غَضِبَتْ وفارَ على جوانِبها الدَّمُ !

* * *

ماذَا يَعِزُّ على الهوانِ نَصونُه ؟
لم يبقَ من حُرماتِنا ما نُكْرِمُ !
الموتُ ! يا لَلموتِ ! أشرفُ شِرْعةٍ
مما نُسامُ به ومِمـا نُوسَمُ (١٠)

---

(٨) يعب : المراد الشُّرب

(٩) يعجّ : يمتلىء .

(١٠) نوسم : من الوسم وهو العلامة التى تميزنا أننا نقبل الذل والخسف .

صوت الوطنية (١)

بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقي على مشروع خزان جبل الأولياء

ضجَّتْ الدُّنيا فماذَا تَرْتقِبْ
مِصرُ من أهوالِها حتى تَثِبْ ؟
ضجَّتْ الدنيا من الهولِ الذى
تركَ الدنيا جميعاً تَضطربْ
فَارَ ماءُ النيلِ أوْ صَارَ إلى
حُمَمٍ أو نِقْمَةٍ مِنْه تُصَبْ
وأرى مِصرَ تُعانى سَكْرَةً
وإذا تصحُو تولتْ تَنْتحِبْ ؟
مِصر . يا مصرُ . وما يُجْدِى البُكا
غضبةٌ يا مصرُ كالليْثِ وَثَبْ
غضبةٌ يا مصرُ . أو . لا . فادْرُجى
فى قيودِ الذلِّ وارضَىْ بالحَرَبْ (٢)

* * *

أفهذِى مِصرُ أم ماذا أرى ؟
أمةٌ أُخرى وشعبٌ مُنْقلبْ
أم تُرىٰ الأيامُ دارتْ دورةً
فإذا الأُسْدُ شِياهٌ تُحْتَلَبْ ؟
ما عَهِدْنا مِصرَ تُمطِى ظَهْرها
كَذلُولِ النُّوقِ مَنْ شاء رَكِبْ !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢

(٢) الحَرَبْ : سلب الأموال وكل ما يُمْلَكْ

المَطَايا حينَ تَخْشَى حَتْفَهَا (٣)
تُعطبُ السَّائِقَ من دونِ العَطَبْ !

* * *

مِصْرُ لَمّـا غَضِبَتْ غَضْبَتَهـا
لَمْ يَرُعْها (٤) الغربُ لما أنْ غَضِبَ
أرسلَتْهـــا صَيحـــةً داويـــةً
كهزيمِ الرعدِ جَيَّاشَ (٥) اللَّجَبْ
أنصتَ الغـربُ لها واستمـعتْ
أُذُنُ العَالمِ مِنْ خَلْفِ الحُجُبْ
وأحسَّ الظُّلْـــمُ مِنْهـــا رِعْـــدَةً
تتـمشَّى فِيـه كالـرُّعْبِ يَدُبْ
لم تُرُعْنا هَجْمَةٌ مِنْـه علىٰ
رُسُلِ الحقِ غَشُوماً يَحْتَـطِبْ
سالتْ الأنـفسُ فيها فارتـوتْ
تربةُ المجدِ بها بعدَ الجَـدْبْ
وَوَعاهَــا الدهــرُ فى آثـــارِهِ
جَذْوةً حمراءَ فى رَأْسِ الحِقَبْ

* * *

هذه يا مِصرُ ذِكْرىٰ فاذكُرِى
ما تولّىٰ وادأبِى خيرَ الدَّأبْ
أرجعِـــى الكَـــرَّةَ لا هَيَّابَــةً
واغلبى بالعزمِ أشتـاتَ النُّـوَبْ

---

(٣) حتفها : نهايتها (٤) يرعها : يفزعها
(٥) جياش اللجب : المراد أصوات الأبطال فى الحرب قوية فتية .

المِهْرَجان (١)

مَا هُتافٌ ثَمَّ فى كلِّ مكانْ ما دُعاءٌ ثَمَّ فى كلِّ لسانْ ؟
ما نشيدٌ تسْكُبُ (٢)الدنيا به أعذبَ الألحانِ فى سَمْعِ الزمانْ ؟
ما شعورٌ فَاضَ كالوحْيِ هَفَا فهفَا الشعرُ على كلِّ جَنَانْ ؟ (٣)
ما ابتهاجٌ وسُرورٌ ورِضَا وانطلاقٌ فى التمنِّى والأمانْ ؟
مِهْرَجانُ العرشِ والشعبِ مَعاً عاشَ فاروقٌ ، ودام المِهْرَجانْ

* * *

قَال لى الدهرُ ــ وقَدْ راودتُه (٤) عَن خَفَاياهُ فأفْشَى وأبانْ :
ليس كاليومِ جَمالاً وسَنَىً منذُ ما كان زمانٌ ومكانْ
ليس كاليومِ ابتهاجاً ومُنَى منذُ ما كانَ ابتداعٌ . وافتنانْ
غيرُ يومين وإنِّى حَافِظٌ فى سِجلِّى كلِّ ما كان وبانْ
يومُ ميلادٍ وفى يومِ ارتقى عرشَه السَّامِى فأعلاه وزَانْ (٥)
ثم هذا اليومُ يومُ المِهْرَجان عاشَ فاروقٌ ودَام المِهْرَجانْ !
أنتَ يا فاروقُ خيرٌ خَالصٌ بينما الخيرُ مشوبٌ فى الزمانْ
من ضَمِيرِ الشعبِ مِنْ يقظتِه مِنْ مناهُ مِنْ أغانيه الحِسَانْ
صاغكَ اللهُ سنَاءً وسَنَى صَانَكَ اللهُ وأعطاكَ الأمانْ !!
صَانَكَ اللهُ . فَإنَّا أُمَّةٌ تَقْدِرُ المُحْسنَ فى غير امتنانْ
كلَّ يوم أنت فيه مِهرجان عاش فاروقٌ ، ودام المهرجانْ !!

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٣٨
(٢) تسكب : تصب
(٣) جنان : قلب
(٤) راودته : خادعته وراوغته
(٥) وزان : من الزينة .

أنت فى مِصر قُوًى كامنةٌ منذ كانت مصرُ شعباً ذا كيانْ
يُسلِمُ الجيلُ إلى تابعهِ هذه القوةَ تَذْكو وتُصانْ
والليالى مُرهِصَاتٌ (٧) والدُّنى تَرْقُبُ الميلادَ آنا بعدَ آنْ
ثم شَبَّ الشَّعْبُ فى نهضتِه ناضجَ الفِكْرَةِ مشبوبَ الجَنَانْ
فإذا فاروقُ فى طَلْعَتِه تهتفُ البشرىٰ على كلِّ لِسانْ
ثم كان اليومُ يومُ المِهرجان عاشَ فاروقُ ، ودام المِهْرَجانْ !

* * *

أنت صِنْوُ الشعبِ فى تاريخِه كنتَ منه فى الأمانِى يومَ كانْ
قد تُوَافَى(٨) مَولِدُ النهضةِ والـ ـمَولِدُ الضَّاحِى ، فوافَ مَولِدانْ
وتوافى عَهْدُ الاستقلالِ والـ ـمرتقىٰ السَّامِى ، فوافت بُشْرَيانْ
حِكْمَةٌ هَذا التَّوافِى عَجَبٌ شاءها الله فجاءتْ فى الأوانْ
ثم وَافىٰ اليومُ ، يومُ المهرجان عاشَ فاروقُ ، ودام المهرجانْ

* * *

يا صديقَ الشعب قُدْ نهضتَه فى سباقِ الكونِ يَظْفَرْ بالرهانْ
وله مِنك شبابٌ طَامِحٌ يبعثُ الجَرأةَ فى قَلبِ الجَبانْ
كلُّ قلبٍ حينَ تدعُو هاتفٌ : إيه لبيكَ ، إلى شَطِّ الأمانْ
إيه لبيكَ ، وفيه نَشْوَةٌ وله مِنْ وَجْهِكَ السَّمْحِ ضَمانْ
إيه لبيكَ ، وقد طَهّره حُبُّكَ السَّامِى ورَوّاه الحَنانْ
كلُّ قلبٍ خافقٌ بِالمهرجان عاشَ فاروقُ ، ودامَ المِهرجانْ

* * *

شَعْشَعْ(٩) النَّغْمَةَ فى قِيثَارتِى وحيُكَ العَذْبُ فجوَّدتُ البيانْ
وجَرىٰ الشِّعْر وفى نَكْهَتِهِ من معانيك شذَى عَرْف (١٠) الجِنَانْ
فأنا الشَّادِى وفى رُوحى هوىً عَبْقَرِيُّ الوَحِى ذَاكِى الافتنانْ
وأنا الشاعرُ آفاقى سَمَتْ فَسَمَا مِنِّى بيانٌ ومَعَانْ
وأنا الغريدُ يومَ المِهرجان عاشَ فاروقُ ، ودامَ المِهْرَجَانْ

---

(٦) تذكو : تنمو (٧) مرهصات : من أرْهَصَ الشىء : أثبته وأسسه

(٨) توافى : أتى (٩) شعشع : انشر : امزج (١٠) عَرْف : رائحة .

وختاما .. مع الخالدين

أخـــى إنْ نمُـــتْ نَلْـــقَ أحْبَـابنَا

فروْضَـــاتُ ربِّـــى أُعـدّتْ لَنَـا

وأطيارُهــــــا رفـــرفت حَوْلَنــــا

فطوبى لنـــا فى ديـــار الخُلــود

سيد قطب

هُبَلْ .. هُبَلْ[1]

هُبَلٌ ... هُبَلْ رَمْزُ السَّخافَةِ والدَّجَل
مِنْ بَعْدِ ما اندَثَرتْ[2] على أيدى الأُباة
عادَتْ إلينا اليَوْمَ في ثَوْبِ الطُّغاة
تَتَنشَّقُ البَخورَ تحرِقُهُ أساطيرُ النِّفاق
مَنْ قُيِّدتْ بالأسْرِ في قَيْدِ الخنا[3]والارْتِزاق
وَثَنٌ يقودُ جُموعَهُمْ ... يا لَلْخَجَل

* * *

هُبَلٌ ... هُبَلْ
رمزُ السَّخافَةِ والجَهالةِ والدَّجَل
لاتَسْألَنْ يا صاحبي تلك الجُموع
لِمَن التَّعبُّدُ والمثوبَةُ[4] والخُضوع
دَعْها فما هي غيرُ خِرْفانٍ ... القطيع
معبودُها صَنَمٌ يَراهُ ... العَمُّ سام
وتكَفَّلَ الدُّولارُ كي يُضْفي عَلَيْهِ الاحتِرام
وَسَعى القطيعُ غَباوَةً ... يا لَلْبَطَل

* * *

(١) من مجموعة شعرية صدرت لي عمان تحت عنوان « لحن الكفاح » ، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع ، وحسنى أدهم جرار فى كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث) صـ ٤١ جـ ٤ ، هُبَل : صنم كان بالكعبة .

(٢) دَثَر الشيءُ ويَدْثُر : قدم ، ويقال دَثَرَ المنزل : بَلِىَ وتهدَّم .

(٣) الخنا : الفُحْشُ فى الكلام (٤) المثوبة : الجزاء

هُبَلْ ... هُبَلْ

رمزُ الخيانَةِ والجهالَةِ والسَّخافَةِ والدَّجَل
هُتَّافَـةُ التَّهريـج ما ملُّـوا الثَّنــاء
زعموا لَهُ ما ليس ... عِنْدَ الأنبياء
مَلكٌ تَجَلْبَبَ بالضِّياءِ وجاء من كَبِد السَّماء
هو فاتِـحٌ ... هُوَ عَبْقَـرِيٌّ مُلْهَـمُ
هو مُرْسَلٌ ... هو عالِـمٌ ومُعَلِّـمُ
ومن الجهالَةِ ماقَتَلْ

* * *

هُبَلْ ... هُبَلْ

رمـزُ الخِيانَـةِ والعَمالَـةِ والدَّجَـل
صِيغَتْ له الأمجادُ زائفَةً فَصَدَّقَها الغبي
واستَنْكَرَ الكَذِبَ الصُّراحَ(٥) وَرَدَّهُ الحُرُّ الأبي
لكنَّما الأحرار في هذا الزَّمانِ هُمُ القليل
فليَدْخلوا السِّجْنَ الرَّهيبَ ويَصْبروا الصَّبْرَ الجَميل
وَلْيَشْهَدوا أقْسَى رِوايَةْ ... فَلِكُلِّ طاغِيَةٍ نِهايَةْ
وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ أَجَلْ ... هُبَلٌ ... هُبَلْ
هُبَلٌ ... هُبَلْ

---

(٥) الصراح : الخالص الذى لايشوبه شيء .

أخي (١)

أخي أنتَ حُرّ وراء السُّدود أخي أنتَ حُرٌّ بتلكَ القُيودْ
إذا كُنْتَ بالله مُستعصِمــاً(٢) فماذا يَضيرُكَ كيدُ العبيــد

* * *

أخي سَتبيدُ(٣) جُيوشُ الظَّلام وَيُشرِقُ في الكَوْنِ فجرٌ جديد
فَأَطلِــقْ لِرُوحِكَ إشراقَهَــا تَرى الفَجْرَ يرمُقُنا(٤) من بعيد

* * *

أخي قد أصابَكَ سهمٌ ذليل وغَدْراً رَمــاك ذِراعٌ كَلِيــل(٥)
ستُبْتَرُ(٦) يَوْماً فَصَبْرٌ جميل ولم يَدْمَ(٧) بعدُ عرينُ الأسود

* * *

أخي قد سَرَتْ من يَدَيْكَ الدِّماء أَبَتْ أن تُشَلَّ بِقَيْدِ الإماء(٨)
سَتَرْفَــعُ قُربــانها ... للسَّمــاء مُخضَّبَــة بوسامِ الخُلــود

* * *

أخي هل تُراكَ سَئِمْتَ الكِفاح وأَلْقَيْتَ عن كاهِلَيْكَ السِّلاح

---

(١) الكفاح الإسلامي ـ الأردنية ـ العدد ٢٩ ـ الصادر في ٢٨ / ١٢ / ١٣٧٦هـ الموافق ٢٦ / ٧ / ١٩٥٧ م .

(٢) عَصَمَ إليه : لَجأ ، عَصَمَ الله فلاناً : حفظه من الشر ، اعتصم بالله : امتنع به واستمسك .

(٣) ستبيد : بَادَ يَبيدُ بَيْداً : هَلَك (٤) يرمقنا : ينظر إلينا

(٥) كليل : ضعيف (٦) ستبتر : بَتَرَه يَبْتُر : قطعه مستأصلا

(٧) يَدْمَى : الجُرح : ينزف دما

(٨) الإماء : مفردها أَمَة وهي المرأة المملوكة (العبدة)

فَمَنْ للضّحايا يواسي ... الجِراح ويرفــعُ رايتها مِن جديـــد

* * *

أخي هل سمعتَ أنينَ التُّراب تَدُكُّ حَصاهُ جيوشُ الخَـراب
تُمَـــزِّقُ أحشاءه بالحِــــراب وتَصْفَعُهُ وهوَ صلبٌ عنيـــد

* * *

أخي إنني اليومَ صَلبُ المِراس(٩) أدُكُّ صُخورَ الجبال الـرّواس
غداً سأشيحُ بفأس الخَلاصِ رءوس الأفاعي إلى أنْ تبيد

* * *

أخي إنْ ذَرَفْتَ عليَّ الدُّموع وَبَلَّلْتَ قَبري بها في خُشوع
فَأَوْقِدْ لَهُمْ من رُفاتي الشُّموع وسيروا بها نحو مَجْدٍ تليـد

* * *

أخي إن نَمُتْ نَلْقَ أحبابَنا فَروضاتُ ربِّي أُعِدَّت لَنـــا
وأطْيارُهــا رَفَــرَفَتْ حَوْلَنـــا فَطوبى لنا في ديارِ الخُلـود

* * *

أخي إنّني ما سَئِمْتُ الكِفاح ولا أنا ألقَيْتُ عني السِّلاح
وإن طَوَّقَتْنـــي جُيـــوشُ الظَّــلام فَإِنِّـــى على ثِقَـــةٍ ... بالصَّبـــاح

* * *

وإنّي على ثِقَةٍ مِنْ طريقـي إلى الله رَبِّ السَّنا والشروق
فإنْ عافَني السَّوْقُ أوْ عَقَّني فإني أمينٌ لعهـدي الوثيـــق

* * *

أخـــي أخَـــذُوكَ على إثْرِنـــا وَفَوْجٌ على إثْرِ فوجٍ جَديد

---

(٩) المراس : مَرِسَ فلان يمْرَس : كان شديدًا في معالجة الأشياء وذو مراس : ذو جلد وقوة وممارسة للأمور .

فإنْ أنـا مُتُّ فإنّـي شهيـد وأنْتَ سَتَمْضِي بنصرٍ جديـد

* * *

قَدِ اختارَنـا اللهُ في دعوتِـه وإنّـا سنـمضِي على سُنَّتِـه
فَمِنَّـا الذيـن قَضَوْا نَحْبَهُــم ومنّـــا الحفيـــظُ على ذِمَّتِـــه

* * *

أخي فَامْضِ لا تَلْتَفِتْ للوراء طريقُكَ قد خَضَّبَتْهُ الدِّمـاء
ولا تَلْتَفِتْ هَهنـا أو هُنـاك ولا تَتَطَلَّـعْ لغيـرِ السَّمــاء

* * *

فلسنا بطيرٍ مَهيض الجَنَاح ولـن نُسْتَـذَلَّ ولـن نُسْتَبـــاح
وإنّـي لأسْمَـعُ صوتَ الدِّماء قَوِيًّا يُنـادي الكِفَـاحَ الكِفَـاح

* * *

سَأَثْــأرُ لكـــنْ لِرَبٍّ وديـــن وأمْضي على سُنَّتي في يَقين
فإمّا إلى النَّصرِ فَوْقَ الأَنام وإمَـا إلى اللهِ في الخالِديـنْ

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
بين يدى الديوان	٩
مقدمة الديوان	٢٧
التمرد	**٣٧**
عزلة فى ثورة !!!	٣٩
اضطراب خانق !	٤٢
زفرات جامحة مكبوحة	٤٤
عاشق المحال	٤٦
حلمٌ قديم	٤٨
بعد الأوان	٤٩
الشكوى	**٥١**
سعادة الشعراء	٥٣
✓ سخرية الأقدار	٥٥
الصديق المفقود	٥٦
خراب ... !	٥٨
خريف الحياة	٥٩
✓ النفس الضائعة	٦٠
✓ الغد المجهول	٦٢
✓ غريب ... !	٦٣
مر يوم	٦٤

الموضوع الصفحة

إلى الثلاثين ٦٦
خطا الزمن الوثاب ٦٨
نهاية المطاف ٦٩

الحنين ٧١

عهد الصغر ٧٣
جولة فى أعماق الماضى ٧٤
✓ الماضى ٧٦
رثاء عهد ٧٨
عهد ذاهب ؟! ٨٠
السعادة حديث الأشقياء ٨٢
ليلات فى الريف ٨٣
العودة إلى الريف ٨٥
الليلات المبعوثة ٨٧
ريحانتى الأولى أو الحرمان ٨٩
عبادة جديدة ؟! ٩١
تسبيح ... ! ٩٢
فى السماء ٩٣
بين عهدين ٩٤
نداء الخريف ٩٦
هتاف روح ٩٩
دعاء الغريب ١٠٠
ابتسامة ١٠٢

التأمل ١٠٣

بسمة بعد العبوس ١٠٥
هدأت يا قلبى ؟! ١٠٧
الدنيا ١٠٨

الموضوع	الصفحة

عودة الحياة ١٠٩
البعث ١١١
الشعاع الخابى ١١٣
فى الصحراء ١١٥
بين الظلال ١١٨
الإنسان الأخير ١٢٠
إلى الشاطىء المجهول ١٢٣
السر .. أو الشاعر فى وادى الموتى ١٢٤
التجارب ١٢٩
خبيئة نفسى ١٣٢
الخطيئة ١٣٤
القطيع ١٣٥
على القمة ١٣٨
مصرع قصيدة ١٤٠
وجوه طريفة ١٤١
إلى الظلام ١٤٢
قافلة الرقيق ١٤٣
فى مفرق الطريق ١٤٥
أقدام فى الرمال ١٤٧
خدعة الخلود ١٤٩
الغزل **١٥١**
ليلة ١٥٣
نظرة موحشة ١٥٤
طيف ١٥٦
صوت ؟! ١٥٨
هى أنت ١٦٠
أحبك ١٦٢

الموضوع	الصفحة
تواردخواطر	١٦٣
عينان	١٦٥
حدثيني	١٦٦
خصام	١٦٧
بيانو وقلب	١٦٩
الظامئة	١٧٠
لماذا أحبك !؟	١٧٢
رسول الحياة	١٧٤
سر انتصار الحياة	١٧٥
المعجزة أو السهم الأخير	١٧٦
اللحن الحزين	١٧٧
الغيرة	١٧٨
مصرع حب	١٨١
الحنين والدموع	١٨٤
اللغز	١٨٥
قبلة	١٨٦
داعى الحياة	١٨٧
تحية الحياة	١٨٨
الخطر	١٨٩
يقظة	١٩١
رقية الحب	١٩٢
الحياة الغالية	١٩٤
الكون الجديد	١٩٥
حب الشكور	١٩٦
عصمة الحب	١٩٨
الانتظار الخالد	١٩٩
الحب المكروه	٢٠٠

الموضوع	الصفحة

نكسة ! ٢٠٢
على أطلال الحب ٢٠٤
صدى قبلة ٢٠٦
غنى ... ؟! ٢٠٨
وحى جديد ٢١١
أكذوبة السلوان ٢١٣
حلم الحياة ٢١٥
الكأس المسمومة ٢١٧
وحى لقاء ٢١٩
حلم الفجر ٢٢١
انتهينا ٢٢٢
الوصف **٢٢٥**
وردة ذابلة ٢٢٧
العود ٢٢٨
بريشة الشعر أو صورة صادقة ٢٣٠
هدأة الليل ٢٣٢
الصبح يتنفس ٢٣٤
عبث الجمال ٢٣٦
يوم خريف ٢٣٨
الجبار العاجز ٢٤٠
ناحت الصخر أو الفاعل ٢٤٢
حلم النيل ٢٤٤
وداع الشاطىء ٢٤٥
الوادى المقدس ٢٤٧
فى ليلة من ليالى الربيع ٢٥١
من صور الفن الجميل « جمال حزين » ٢٥٢

الموضوع	الصفحة
الرثاء	**٢٥٣**
وحى الخلود	٢٥٥
الذكرى الخالدة لسعد العظيم	٢٥٧
البطل	٢٥٩
ذكرى سعد	٢٦٤
طليعة الضحايا	٢٦٦
موت سوسو	٢٦٨
الزاد الأخير	٢٧٠
نوسة أو شطر من العمر	٢٧١
صدى الفاجعة	٢٧٤
الوطنيات	**٢٧٧**
إلى البلاد الشقيقة	٢٧٩
مأساة البدارى	٢٨١
صوت الوطنية	٢٨٣
المهرجان	٢٨٥
وختاما .. مع الخالدين	**٢٨٧**
هُبل . هُبل	٢٨٩
أخى	٢٩١
الفهرس	**٢٩٥**

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٧٩٦ / ٨٨

الترقيم الدولى ٦ ــ ٧٨ ــ ١٤٢١ ــ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : DWFA UN ٢٤٠٠٤

هذا الديوان

• صاحبه غنى عن التعريف ، فهو الأديب الشاعر الكاتب ، المفكر الإسلامى الكبير الشهيد سيد قطب .. خلال ثلاثين عاماً .. مع الشعر ، غاص فى أعماق النفس البشرية ، غرائزها وقيمها ومبادئها ، كاشفاً ومحللاً ومعللاً .

• قصائده تنم عن نفس رقيقة شاعرة ، لكنها عزيزة أبيّة غير هيابة .. قصائد هادفة فى ظلال الإيمان والورع والعفاف ، وأبياته كلمات حساسة معبرة ، وأساليب رقيقة مؤثرة ، تجعلك مستمتعاً منتشياً ، بل تذوب وجداً مع واقع الدنيا ومن خلال حطامها .

• يعطيك البسمة المشرقة ، والأمل الحلو ، والنظرة المتفائلة من خلال لذة الألم والجهد المرير ، ويجعلك تعيش فى أضواء الأفكار ، ويدفعك إلى الاستمتاع بالعمل الدءوب فى ظلال المتعة الروحية والمادية العفيفة .

• قُسِّم الديوان إلى أبواب ، وكل باب رُتبت قصائده حسب تسلسل تاريخ نشرها ، وتم شرح مفردات الأبيات بما يتفق مع المعنى اللغوى والدلالى ، وما يتفق مع المعنى المراد منها .

• مصادر الديوان : ديوانه (الشاطىء المجهول) ومن بطون المجلات الدورية والصحف اليومية فى الفترة من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٥٠ م ، ما عدا قصيدتى (هبل .. هبل) و (أخى) فقد كتبهما فى مرحلة التزامه الإسلامى .

• هذا الديوان يمثل جانباً من جوانب عدة فى عبقرية الملهم الشهيد سيد قطب .

والله من وراء القصد .

الناشر

الوفاء للطباعة والنشر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة .

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

فرع المنصورة : أمام كلية الطب ت : ٣٤٧٤٢٣ .... ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

فرع القاهرة : ٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٥١٨ / ٣٩٣٤٦٠٦